روايات أحلام

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

اكثر من حلم أقل من حب

لين غراهام

اكثر من حلم أقل من حب

لين غراهام

تابي كلوفر، الفتاة العنيدة والسليطة اللسان مستعدة لأن تفعل أيّ شيء كي تجعل البليونير اليوناني آشرون ديميتراكوس يدعم طلبها لتبني ابنة قريبه الصغيرة. لكن آخر ما توقّعته هو عرض الزواج!

لم يكن أمامها من خيار سوى القبول... حتى لو لم يتوقّف الثري المتعجرف عن النظر إليها بتعالٍ للحظة واحدة ! يمكن لتابي أن ترى أن الرجل الوسيم مستفيد من هذا العرض أكثر مما يبدو للعيان. إنما مع ارتفاع الستار الذي يفصل بين الحقيقة والكذب، هل سيتحوّل زواجهما إلى أكثر من زواج صوريّ؟

لبنان	5000 ل.ل.
الاردن	2.5 دينار
الكويت	1.25 دنس
الامارات	15 درهم
قطر	15 ريال
البحرين	1.5 دينار
السعودية	15 ريال
المغرب	25 درهم
تونس	5 دينار
عمان	1.5 ريال

www.darelfarasha.com
www.ifarasha.com

ISBN 978-9953-15-592-0

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A
كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

هذه الرواية خيالية وكل الأسماء والشخصيات والأماكن المذكورة فيها
هي من نتاج خيال الكاتب وأي تشابه فيها مع أي شخص حي أو ميت
أو شركة تجارية أو أحداث أو مواقع هو محض صدفة

جميع العلامات التجارية المستعملة في هذه الطبعة باستثناء شعار دار الفراشة،
هي ملك لشركة Harlequin Enterprises Limited
أو شركائها التجاريين وهي تستخدم بترخيص منها

تصميم الغلاف مرخّص له من شركة Harlequin Books S.A.
جميع الحقوق محفوظة

العنوان الأصلي لهذا الكتاب باللغة الإنكليزية
The Dimitrakos Proposition
First published in Great Britain 2014
Copyright © 2014 Lynne Graham

Arabic translation copyright © Dar El-Farasha, 2015

ISBN 978-9953-15-592-0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
طريق المطار - سنتر زعرور - ص.ب: 11/8254 بيروت - لبنان
هاتف/فاكس: 961-1-450950
Email: info@darelfarasha.com
http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

تعود إليكم «روايات أحلام» بعد غياب أردناه فترة تجدد، كفراشة تعاود الانطلاق من جديد أكثر تألقاً....

تعود إليكم بشكل أكثر أناقة وبقصص أكثر غنى كحلم طال انتظاره، فتجمّع حلماً بعد حلم، قطرة ندى بعد أخرى، لتهدر نهراً من أحلام....

تعود إليكم وفية لآمالكم وتوقعاتكم، الروايات التي لطالما أحببتموها وأخلصتم لها.... روايات أحلام!

بكل إخلاص

أسرة أحلام

www.elromancia.com

لين غراهام Lynne Graham

ولدت في شمال ايرلندا، خلال سنوات المراهقة كانت من القراء المتحمسين لـ Mills and Boon. تعيش لين زواجاً سعيداً مع زوجها المتفهم، الذي تعلّم الطهو ما إن بدأت بالكتابة!

حياتها مليئة بالحيوية والنشاط بسبب أطفالها الخمسة وكلبها الذي يثير الفوضى في كل مكان، كما أنها تملك كلب صيد صغير من نوع «التريير» وعندما تسنح لها الفرصة تعمل في حديقة منزلها بنشاط.

1 ـ لن أفسد حياتي!

أعلن ستافوس فانو، محامي آش، بصوت ثقيل مخترقاً الصمت المشحون بالتوتر، فيما هو يرمق بقلق الرجل المتجهم، الطويل القامة، القوية البنية الذي يجلس قبالته على المكتب: «هذه الوصية غير عادلة أبداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تاريخ توسّع الشركة ونجاحها».

لم ينطق آشرون ديميتراكوس، المليونير اليوناني مؤسس شركة «دي تي الكبرى للصناعة»، والمعروف باسم آش بين المقرّبين منه، ببنت شفة. لم يكن يثق بقدرته على الكلام. وعلى الرغم من أنه معروف بقدرته الفولاذية على التحكّم بأعصابه إلا أنّ هذه القدرة خانته اليوم. لقد وثق بوالده أنجيلو، بقدر ما يمكن له أن يثق بأحد ما، أيّ ليس كثيراً، إنما لم يخطر له أبداً أن الرجل العجوز يمكن أن يهدد الشركة التي بناها آش بجهده الخاص بهذه القنبلة التي شكّلتها وصيته الأخيرة. إذا لم يتزوّج آش خلال عام واحد، فسيخسر نصف الشركة وسترث زوجة أبيه وأولادها هذه الحصة، علماً أنّ وصية والده منحتها الكثير. هذا لا يُعقل؛ إنه لطلب غير عادل يتناقض مع الضمير والمعايير الأخلاقية العالية التي ظن آش أن العجوز يتمسّك بها. برهن ما

www.elromancia.com

حدث أنك لا تستطيع أن تثق بأحد وكأن آش يحتاج إلى برهان ودليل، كما أثبت أنّ المقرّبين منك هم أقدر الناس على طعنك في ظهرك في لحظة لا تتوقّعها.

أكّد آش من بين شفتيه المطبقتين: «دي تي شركتي».

فعارضه ستافوس بصوت أجش: «إنما ليس على الورق للأسف. لم تجعل والدك ينقل أسهمه لك على الورق، على الرغم من أنها الشركة التي بنيتها أنت، ولا نقاش في هذا».

لم يجبه آش. وقطّب حاجبيه فوق عينيه الداكنتين والباردتين برموشهما الطويلة جداً وراح يتأمل المشهد الشامل لمدينة لندن التي يشرف عليها مكتبه فيما بدت ملامحه الوسيمة جداً والنحيلة متحفظّة ومتوترة للغاية. وعندما تكلم في نهاية الأمر قال: «إنّ الطعن بالوصية أمام المحاكم سيتطلب وقتاً طويلاً ويُضعف كثيراً قدرة الشركة على العمل».

اقترح المحامي بضحكة خافتة ساخرة: «اختيار زوجة لك هو الحل الأقل ضرراً بالتأكيد. هذا كل ما تحتاج لأن تفعله كي تعيد الأمور إلى نصابها».

فأجابه آش من بين أسنانه المطبقة، وقد أطلق العنان للحظات لطباعه الحادة فيما هو يفكّر في المرأة المشوشة تماماً التي توقّع منه والده المضلل أن يختارها للعب هذا الدور: «كان أبي يعلم أني لا أنوي الزواج أبداً. ولهذا السبب تحديداً فعل فعلته هذه. لا أريد زوجة ولا أريد أولاداً. لا أريد لأيّ من هذا أن يفسد حياتي!»

تنحنح ستافوس فانو ونظر إلى رب عمله نظرة مشوّشة وراح يقيّمه. لم يسبق له أن رأى آشرون ديميتراكوس غاضباً أو لعل

الأصح أنه لم يره يُظهر أيّ شعور. فالمليونير، رئيس شركة دي تي، بارد كالثلج، بل لعله أشد برودة منه إذا ما صدّقنا النساء العديدات اللواتي تخلى عنهن في قصص غرامه القصيرة. كانت تصرفاته الباردة والمنطقية، وتحفظه وانعدام الشعور الإنساني لديه مضرب مثل بين من عرفوه. وتقول الشائعات إنه طلب من إحدى مساعداته، التي شعرت بآلام المخاض أثناء اجتماع عقده، أن تبقى حتى انتهاء الاجتماع.

علّق المحامي بحذر، وهو يفكّر في زوجته التي قالت إنها ستصاب بالإغماء إن رأت وجه آشرون حتى في الصورة: «أعذرني على بلادة ذهني لكني أرى أنّ النساء سيقفن في الصفّ كي يتزوّجن بك. والتحدي يكمن في اختيار زوجة وليس في العثور على واحدة».

أطبق آش شفتيه في ردّ حاد على هذا الكلام، رغم أنه أدرك أن الرجل اليوناني القصير القامة يحاول أن يقدم يد العون. كان يعلم أنه يكفي أن يشير بإصبعه ليحصل على زوجة بسرعة وسهولة كما يحصل على أيّ امرأة لفراشه. وكان يدرك تماماً ما يجعل المسألة بهذه السهولة: فالمال يشكّل عاملاً جاذباً. فهو يملك أسطولاً من الطائرات الخاصة ومجموعة من المنازل حول العالم، فضلاً عن الخدم الذين يبقون دوماً على أهبة الاستعداد لخدمته وخدمة ضيوفه. وهو يدفع جيداً لقاء الخدمات الجيدة. كما كان عشيقاً كريماً لكنه يتخلّص من المرأة بقسوة وسرعة كلما رأى علامات الطمع والسعي خلف المال في عينيها. وأصبح يلاحظ علامات السعي خلف المال أكثر وأكثر قبل أن يلاحظ الجسد الجميل ما جعل الجنس أقل مما يرغب

على جدول أعماله. فهو يحتاج الجنس كما يحتاج الهواء ليتنفس ولم يستطع أن يفهم لِمَ يجد الطمع والنفاق اللذين يترافقان معه منفرين للغاية. يبدو أنّ أثراً من الحساسية المفرطة التي يكرهها مدفون في مكان ما في أعماقه، وراسخ بحيث يعجز عن اقتلاعه من جذوره.

ولعل الأسوأ هو أن آشرون عرف السبب الكامن خلف الوصية، ولم يسعه سوى أن يتعجّب من عدم قدرة والده على أن يفهم أنّه يعتبر المرأة التي يحاول أن يدفعه نحوها بغيضة. قبل ستة أشهر من وفاة الرجل العجوز، حصلت مشادة عنيفة في منزل والده، فتجنّب آشرون زيارة المنزل منذ ذاك الحين ما شكّل إسفيناً إضافياً دُقّ في نعش عروس المستقبل. حاول أن يناقش المشكلة مع زوجة أبيه لكن أياً منهما لم يكن مستعداً للاستماع للمنطق ولغة العقل، لاسيما والده الذي أثّرت فيه قدرة السيدة على التمثيل ليقرر أنّ الشابة التي ربّاها منذ الطفولة ستشكّل الزوجة المثالية لابنه الوحيد.

وعاد المحامي يقترح بعفوية: «يمكنك طبعاً أن تتجاهل الوصية بكل بساطة وتشتري حصة زوجة أبيك في الشركة».

رمق آش الرجل الذي يكبره سناً بنظرة تهكمية وأجاب: «لن أدفع ثمن ما هو حقّ لي. أشكرك على وقتك».

فهم ستافوس إشارة آش فهبّ واقفاً على عجل ليغادر بعد أن قرر أن يُطلع زملاءه على الوضع فوراً بغية وضع خطة عمل: «سأجنّد أفضل الأدمغة في المؤسسة لإيجاد حلّ لهذه المعضلة».

أطبق آش أسنانه فبدا فكّه قاسياً وكأنه صخرة منحوتة، وأومأ برأسه على الرغم من أنه لم يكن يأمل كثيراً في إيجاد خطة

إنقاذية. فقد علّمته التجارب أن والده ما كان ليتصرف من دون أن يلجأ إلى مستشار قانوني ليطلب نصيحته وما كان ليضع شرطاً ملزماً كهذا في وصيته لولا ثقته بأنه غير قابل للنقض.

زوجة! أثارت هذه الفكرة اشمئزازه. علم منذ صغره أنه لن يتزوج يوماً ولن يكون أباً لطفل ما. فهو لم يرث جينة الرعاية والاهتمام والمحبة، ولم يرغب يوماً في أن يكبر أحدهم على صورته ومثاله أو أن يكمل طريقه كما لم يشأ أن يورث طفلاً ما الجانب المظلم من شخصيته، هذا الجانب الذي لطالما حبسه في داخله ودفنه في أعماقه. في الواقع، هو لا يحب الأطفال حتى، واحتكاكه المحدود بهم أكّد قناعته بأنهم يسببون الإزعاج والضجيج وأن التعامل معهم صعب للغاية. لِمَ قد يرغب أيّ عاقل بشيء لا بد من رعايته على مدى أربع وعشرين ساعة في اليوم، شيء يحرمك النوم لليالٍ؟ ولِمَ قد يرغب أيّ رجل بامرأة واحدة فقط في سريره؟ المرأة نفسها، ليلة تلو الأخرى، وأسبوع بعد الآخر. وارتعد آش حين تراءت له صورة هذا القيد الجنسي.

ثمة قرار عليه أن يتخذه، فقرر أن يتصرف سريعاً قبل أن يشيع خبر هذه الوصية السخيفة في سوق الأعمال ويلحق الضرر بالشركة التي تتمحور حياته حولها.

كررت عاملة الاستقبال الرشيقة والباردة كلامها: «ما من أحد يقابل السيد ديميتراكوس من دون موعد وعلم مسبقين. إن لم تغادري يا آنسة غلوفر فسأضطر لاستدعاء الأمن كي يخرجوك من المبنى».

ما كان من تابي إلا أن ارتمت بجسدها النحيل على الأريكة

الوثيرة في قاعة الاستقبال فيما جلس قبالتها رجل يكبرها سناً، يتفحّص وثائق أخرجها من حقيبته ويتحدث بلغة أجنبية على هاتفه الخلوي. كانت تعلم أنّ مظهرها مزرٍ إلا أنّ هذا لم يؤثر في ثقتها بنفسها في هذا المحيط الفخم، فهي لم تنم جيداً منذ بعض الوقت ولم تعد تملك ملابس لائقة كما أنها يائسة. وحده اليأس التام جعلها تقصد شركة دي تي لتطلب مقابلة ذاك الرجل الذي رفض باختصار أن يتحمّل مسؤولية الطفل الذي أحبته تابي بكل جوارحها. إن آشرون ديميتراكوس حيوان أناني ومتعجرف وما قرأته عن علاقاته النسائية في إحدى المجلات التي تنشر الفضائح لم يحسّن رأيها فيه. هذا الرجل الذي يملك مالاً لا يُحصى أدار ظهره لأمبر من دون أن يُبدي أيّ رغبة في لقاء تابي بصفتها وصيّة عليها معه أو من دون أن يسأل عن وضع الفتاة الصغيرة.

استدعت عاملة الاستقبال رجال الأمن بنبرة واضحة ورنانة تهدف من دون شك إلى إخافة تابي قبل وصول الحرّاس. انقبض وجهها الصغير لكنها لازمت مكانها وقد توتر جسدها النحيل فيما هي تحاول التفكير سريعاً بمقاربة أخرى لأنّ خطة اقتحام مكتب آش لم تكن تسير جيداً. لكن لم يكن أمامها خيار، على الرغم من أنها أدركت أن الوضع خطير للغاية بما أنّ هذه الشخصية القاسية الفؤاد أصبحت أملها الوحيد.

تدخّل القدر حين لم تكن تتوقّع هذا وأضاعت لحظة في التحديق حين رأت الرجل الطويل القامة الذي اعتادت أن تراه في المجلات يقطع ردهة الاستقبال وفي إثره بعض الرجال الذين يرتدون بزات رسمية. هبّت تابي واقفة وركضت خلفه

وهي تناديه باسمه الذي وجدت صعوبة في لفظه: «سيد ديميتراكوس! سيد ديميتراكوس!»

ما إن توقّف الرجل الطويل والقويّ عند المصعد وراح ينظر إليها بعدم تصديق، حتى وصل رجال الأمن مسرعين وهم يتلعثمون بالاعتذارات للرجل الذي يقف قبالتها!

ـ أنا تابي غلوفر، الوصية الثانية على أمبير!

راحت تابي تشرح له بعجلة فيما أمسك الرجلان اللذان برفقته بذراعيها فجأة وأبعداها خطوة عنه. وتابعت تقول: «يجب أن أتحدث إليك... حاولت أن آخذ موعداً لكني لم أستطع رغم أنه من المهم للغاية أن أتحدث إليك قبل نهاية الأسبوع!»

خطر لآش باستياء أنه لا بد من تعزيز الحراسة والأمن إذا ما سُمح لامرأة مجنونة أن تستوقفه في مبناه الخاص. ارتدت المرأة الشابة سترة بالية وسروالاً واسعاً وحذاءً رياضياً فيما ربطت شعرها الفاتح اللون إلى الخلف ولم تتكبد عناء وضع أيّ مساحيق تجميل على وجهها الشاحب. بدت صغيرة ونحيلة أيّ أنها ليست من النوع الذي يجذبه أو يلفت انتباهه... لكن ما إن جزم بذلك حتى لاحظ عينيها الملفتتين بلونهما الأزرق الذي يتدرج ليحاكي البنفسجي واللتين تطغيان على ملامحها الأخيرة الصغيرة.

وأضافت تابي لاهثة: «أرجوك! لا يمكنك أن تكون بهذه الأنانية... لا يمكن لأحد أن يكون كذلك! والد أمبير كان فرداً من أفراد أسرتك..».

فأجابها آش بنبرة جافة: «ليس لدي عائلة».

وأضاف متوجهاً إلى رجال الأمن الذين حلوا محل مرافقيه

في اعتقال تابي رغم أنها لم تبدِ أيّ مقاومة: «رافقوها إلى الخارج واحرصوا على ألا يتكرر هذا الأمر».

أخذها سلوكه على حين غرّة فهو لم يمنحها خمس دقائق من وقته كما بدا جلياً أنه لم يعرف حتى اسم أمبير، فالتزمت تابي الصمت للحظات. لكنها سرعان ما استعادت قدرتها على الكلام وانهالت عليه بالشتائم، مستخدمة عبارات لم تتلفظ بها قط من قبل. التمعت عيناه بعدائية غاضبة صدمتها للحظة إذ اكتشفت أن الواجهة الباردة التي يختبأ خلفها تخفي أعماقاً مظلمة.

وتدخّل صوت آخر: «سيد ديميتراكوس...؟»

أدارت تابي رأسها لتتفاجأ برؤية الرجل الذي رأته من قبل يجلس إلى جانبها في قاعة الانتظار.

اندفع ستافوس فانو إلى الأمام ليُذكّر آشرون ديميتراكوس بصوت هادئ يدلّ على الاحترام: «الطفلة... هل تذكر طلب الوصاية من قريبك الذي توفي والذي رفضته قبل أشهر؟».

تحرّكت ذكرى غير مترابطة في مكان ما من عقل آش ما جعله يقطّب حاجبيه ويسأل: «ماذا عنها؟»

صرخت تابي في وجهه وقد استفزها ألا يقوم بأيّ ردّ فعل وألا يبالي بمصير أمبير وما لهذا السلوك من تبعات على الفتاة: «أيها السافل الأناني! سألجأ إلى الصحافة... أنت لا تستحق سوى هذا. كل هذا المال المكدّس ولا تحسن استخدامه للخير!»

ـ اصمتي! اصمتي!

نهرها آشرون باليونانية ومن ثم بالإنكليزية.

فأجابته غير متأثرة وقد انتفضت فيها روح المقاومة التي

جعلتها تتجاوز سنوات من الخسارة وخيبات الأمل وقوّت عزيمتها: «ومن سيجعلني أصمت، أنت وجيشك الجرّار؟»

التفت آشرون إلى محاميه يسأله وكأنها غير موجودة: «ما الذي تريده؟»

ردّ ستافوس بنبرة حملت تلميحاً خفياً: «أقترح أن نناقش هذا في مكتبك».

شعر آش بصبره ينفد. قبل ثلاثة أيام فقط، عاد من جنازة والده ولم يتمكّن من أن يحزن على الرجل المسن الذي توفي فجأة جراء أزمة قلبية إذ غرق في مشاكل أسبوع يثير الإحباط. آخر ما يحتاجه هو مشكلة إضافية بشأن طفل لم يلتقه قط ولا يأبه لأمره. تروي فالتينوس، نعم، لقد تذكّر الآن هذا القريب الذي لم يلتقه أبداً والذي توفي فجأة محاولاً ترك طفلته تحت رعاية آش. إنه تصرّف مجنون لا يمكن تفسيره! هذا ما خطر لآشرون وهو يتذكّر الحوار المقتضب الذي دار بينه وبين ستافوس قبل أشهر. إنه رجل عازب، من دون أسرة، ودائم السفر، فكيف يمكن لأحد على وجه الأرض أن يفترض أنه قادر على التعامل مع طفلة يتيمة؟

لجأت تابي إلى الكذب بشجاعة في محاولة منها لبناء جسر من التواصل بينهما ودفعه للاستماع إليها: «أنا آسفة لأني شتمتك. ما كان عليّ أن أفعل هذا..».

فأجاب آش بصوت جليدي أشبه بالفحيح: «كلامك كتلة من القذارة. اتركوها. يمكنكم أن ترافقوها إلى الخارج عندما أنتهي منها».

صرّت تابي على أسنانها، ورتّبت سترتها ثم مررت يديها

بتردد على فخذيها. تأمل آش بسرعة وجهها البيضاوي الشكل، وتركّز اهتمامه على فمها الزهري الجميل فيما تراءت له صوراً عن استخدامات أفضل من الشتائم لهذا الفم. شعور الإثارة الذي تملّكه زاد من عصبيته ومن سوء مزاجه، وذكّره بأنّ وقتاً طويلاً مرّ منذ استسلم آخر مرة لرغباته. وأدرك أنه في حال سيئة للغاية إن كان يتفاعل مع امرأة جاهلة كهذه.

أضاف بنفور بارد: «سأمنحك خمس دقائق من وقتي الثمين».

فردّت تابي بنبرة ساخرة: «خمس دقائق فيما حياة الطفلة وسعادتها على كفّ عفريت؟ يا لكرمك!»

اجتاحت آشرون موجة من الضغينة لأنه لم يعتد مثل هذا السلوك الفظّ، لاسيّما من النساء: «أنت وقحة بقدر ما أنت فظة وسوقية الألفاظ».

ـ لقد أوصلني هذا إلى بابك، أليس كذلك؟ لم يوصلني التهذيب إلى أيّ مكان.

وراحت تابي تفكّر في الاتصالات الهاتفية العديدة التي أجرتها لتحصل على موعد إنما من دون جدوى. هل يهمها فعلاً إذا ما نعتها هذا المتكبّر المدلل الذي يملك ثروة طائلة بالفظة والسوقية؟ إلا أنّ عقلها كان يؤنّبها على مقاربتها العدائية والبعيدة كل البعد عن التصرّف الحكيم المناسب لهذه الظروف. ليتها تستطيع أن تتجاوز الواجهة الجليدية التي يضعها آشرون ديميتراكوس بينه وبين العالم، فهو قادر على مساعدة أمبير في حين أنها لا تستطيع ذلك. فالشؤون الاجتماعية ترى أنها لا تُعتبر وصية مناسبة على أمبير لأنها عزباء ولا تملك المال كما لا تملك بيتاً مناسباً.

استعجلها آشرون بعد أن أغلق باب مكتبه: «هيا تكلمي!»

ـ أحتاج مساعدتك كي تبقى أمبير تحت رعايتي. أنا الأم الوحيدة التي عرفتها وهي متعلقة بي. تخطط الشؤون الاجتماعية لأخذها يوم الجمعة ووضعها في مركز حضانة حتى يتم تبنيها.

تدخّل ستافوس فانو، محامي آشرون، قائلاً بصوت متعقّل كما لو أنه يتوقّع منها أن تكون مستعدة لتسليم الطفلة التي تحب: «أليس هذا أفضل حلّ في ظل الظروف الراهنة؟ أتذكّر أنك عزباء وتعيشين بفضل الإعانات الاجتماعية وستشكّل الطفلة عبئاً كبيراً عليك..».

شعر آشرون بالدم يتجمّد في عروقه ما إن سمع عبارة «مركز حضانة» إلا أنّ الشخصين الموجودين معه في المكتب لم يلاحظا ردّ فعله. إنه سرّ دفين، فلا أحد يعلم أن آش أمضى سنوات من عمره في الحضانة، على الرغم من أنّ أمه كانت واحدة من أثرى الوريثات في تاريخ اليونان، فانتقل من منزل إلى آخر، ومن عائلة إلى أخرى، واختبر الرعاية الصادقة واللامبالاة كما عرف القسوة المفرطة وحتى الاستغلال. ولم ينسَ يوماً هذه التجربة.

اعترضت تابي ورمقت وجه آشرون الجامد بنظرة تعكس الجرح الذي لحق بكبريائها: «لم أعش من الإعانات منذ أن توفيت صونيا، والدة أمبير. اعتنيت بصونيا حتى لحظة وفاتها ولهذا السبب لم أستطع أن أعمل. اسمع! أنا لست فتاة استغلالية. قبل عام، كنت أملك أنا وصونيا عملنا الخاص الذي بقي مزدهراً حتى وفاة تروي وإصابتها هي بالمرض. وخسرت مع خسارتهما كل شيء. أمبير هي أهم ما لديّ في عالمي، لكن وعلى الرغم

من أن تروي اختارني كأحد الوصيين عليها، إلا أنّ ما من روابط دم تجمعني بها ما يحدّ من حقي في المطالبة بحضانتها بحكم القانون».

استفهم آش بنبرة جافة: «لِمَ جئت إليّ؟»

فتحت تابي عينيها وقد أثار موقفه أعصابها رغماً عنها: «لطالما اعتبرك تروي شخصاً رائعاً..».

توتر آش، مذكّراً نفسه بأن كل ما قالته لا يعنيه، إلا أنّ فكرة إرسال طفلة بريئة إلى مركز حضانة أثار الكثير من ردود الأفعال المتنوعة والقوية في داخله، ردود أفعال ناجمة عن ذكرياته الخاصة.

ـ لكني لم ألتقِ تروي أبداً.

ـ حاول أن يقابلك لأنّ والدته أولمبيا كانت تهتم بشؤون والدتك بحسب ما أخبرني.

وفجأة، قطّب آش حاجبيه السوداوين المستقيمين فيما عاودته الذكريات القديمة. تذكّر جيداً أولمبيا كارولين التي عملت لدى والدته. لم يُدرك عندما أُثيرت مسألة الوصاية أن تروي هو ابن اولمبيا لأنه عرفها باسمها قبل الزواج فقط، على الرغم من أنه عاد بذاكرته إلى حدّ أنه تذكّر بشكل ضبابي أنها كانت حاملاً عندما تركت عملها لدى والدته. هذا الولد هو تروي على الأرجح.

قالت له تابي بإيجاز: «كان تروي تواقاً لإيجاد عمل هنا في لندن إذ كنت مثله الأعلى في الأعمال».

كرر آش بسخرية: «كنت... ماذا؟»

وتدخّل ستافوس فانو قائلاً بثقة بعد أن شعر أنه قادر على

التعامل مع هذه المسألة بسهولة أكبر من تعامله مع تلك الوصية التي تتطلب الكثير من البحث والجهد لإيجاد مخرج مناسب لها: «الإطراء الكاذب لن يجدي نفعاً ولن يحسّن الوضع».

عارضته تابي بحدّة وغضب وهي تركّز انتباهها مجدداً على آش: «ما قلته لم يكن إطراءً ولا كذباً. إنها الحقيقة. كان تروي معجباً جداً بإنجازاتك المهنية حتى أنه درس ونال الشهادة نفسها مثلك. كما أنه لطالما اعتبرك رئيس أسرته ما يفسّر اختياره لك كوصي على ابنته».

عندئذ، همس آش بنبرة ساخرة، فيما نظراته تتأملها وتزيد من توترها: «وأنا بسذاجتي المعروفة ظننت أنه اختارني لأني غني».

صرخت تابي في وجهه بغضب عارم وقد التهبت عيناها البنفسجيتان بمشاعر متقدة: «أنت شخص بغيض ومليء بالحقد والكراهية! كان تروي رجلاً رائعاً. هل تظن فعلاً أنه كان يدرك أنه سيموت في حادث سير في سن الرابعة والعشرين؟ أو أن زوجته ستُصاب بجلطة بعد ساعات على إنجابها طفلتها؟ ما كان تروي ليأخذ قرشاً لم يكسبه بعرق جبينه من أيّ شخص كان».

ذكّرها منتقداً: «لكن هذا الرجل الرائع ترك أرملته وابنته من دون مال».

ـ لم يكن يعمل فيما كانت صونيا تكسب ما يكفي من المال بفضل عملها. لم يكن أيّ منهما يتوقّع بالطبع أنهما سيموتان بعد عام من كتابة تلك الوصية.

ـ لكن من العدل أن يسميني وصياً على ابنته من دون أن يناقش المسألة معي. كان عليه أن يطلب الإذن مني أولاً فهذا هو التصرّف الطبيعي.

www.elromancia.com

لم تعلّق تابي على كلامه بل التزمت الصمت. أقرّت في داخلها أنه محقّ لكنها رفضت أن تعترف له بذلك.

وعاود تافو ستافوس التدخّل وقد أربكه مستوى العدائية بين ربّ عمله الذي لا يفقد عادة رباطة جأشه وزائرته الغريبة الأطوار: «ربما يمكنك أن تخبرينا كيف يمكن للسيد ديميتراكوس برأيك أن يساعدك كي نتجنّب إضاعة المزيد من الوقت؟»

ـ أريد أن أطلب من السيد ديميتراكوس أن يدعم رغبتي في تبني أمبير.

فسأل المحامي على الفور: «لكن هل هذا هدف واقعي يا آنسة غلوفر؟ فأنت لا تملكين منزلاً أو مالاً أو حتى شريك حياة. وخبرتي مع مصلحة الشؤون الاجتماعية وقضايا الوصاية على الأطفال تقول إنك تحتاجين كحدّ أدنى إلى حياة مستقرة لتعتبري مرشّحة مناسبة لتبني طفلة».

اتخذت تابي موقفاً دفاعياً وسألته بحدة: «ما علاقة أن يكون لديّ شريك حياة بهذا؟ كان لديّ العام الفائت ما يكفي من الانشغالات لأضيّع وقتي في البحث عن رجل».

قاطعها آشرون من دون تردد: «ويُعتبر العثور على رجل تحدياً مع أسلوبك في التعاطي».

فتحت تابي فمها الشهواني وأطبقته بغضب ثم دنت خطوة من الثري اليوناني لتقول بحنق: «أتتهمني بأني قليلة التهذيب وبأني لا أحسن التصرّف؟ وماذا عنك أنت؟»

تأمل ستافوس هذين الشخصين الراشدين اللذين يقفان قبالته، يتشاجران ويتبادلان الشتائم تماماً كولديه المراهقين ثم أشاح بنظره عنهما قبل أن يسأل: «آنسة غلوفر؟ وجود شريك في

حياتك سيشكّل فرقاً كبيراً في طلبك. إن تربية الطفل في أيامنا هذه مليئة بالتحديات ومن المعروف أن وجود الوالدين يجعل الأمر أكثر سهولة».

ردّت تابي بحدّة: «من المؤسف أنّ العثور على شريك بين ليلة وضحاها ليس بالأمر السهل!»

وتمنّت لو يفكّر هذا الرجل البائس في شيء آخر غير وضع العراقيل أمام سعيها لتبني أمبير. أليس لديها ما يكفيها من هموم؟

لمعت فكرة غريبة في عقل ستافوس فنقل نظره إلى آشرون متوجهاً إليه بالحديث باللغة اليونانية: «أتعلم، يمكنكما أن تساعدا بعضكما البعض..».

عبس آش وسأله: «كيف هذا؟»

ـ هي تحتاج إلى حياة مستقرة وشريك كي تنال الوصاية على الطفلة... وأنت تحتاج زوجة. ومع بعض التنازلات من كلا الجهتين والتفاوض القانوني الجدي، يمكن لكل منكما أن يحصل على ما يريد ولا حاجة لأن يعرف أحد غيركما الحقيقة.

لطالما كان آشرون سريعاً في تلقّف الفرص وفي امتصاص الصدمات لكنه بقي لثوانٍ مذهولاً، لا يُصدّق أن ستافوس تفوّه بهذا الكلام، أو حتى تجرأ على أن يقترح مثل هذه الفكرة المجنونة. رمق تابي غلوفر وعيوبها الكثيرة الظاهرة بنظرة ازدراء ثم قطّب حاجبيه قبل أن يقول لمحاميه بنبرة تعبّر عن الشكّ: «هل جننت؟ إنها فتاة بذيئة اللسان، عديمة التهذيب!»

فأجابه الرجل الأكبر سناً على الفور: «لديك المال الكافي لتنظفها وتظهر معها أمام الناس. أنا أتحدث عن زوجة تدفع لها

لتكون زوجتك، وليس عن زوجة عادية. إذا تزوجتما فستنتهي مشاكلك المتعلقة بملكية الشركة كلها..».

في الصمت المتوتر، ركّز آشرون على المشكلة الوحيدة الضخمة التي لن تزول في هذه الخطة وهي تابي غلوفر. لم تثر مسألة الزوجة وحدها ذعره، بل كان يفكر في ما عرفه عن تروي فالتينوس وأمه المرحومة أولمبيا ما جعل ضميره يؤنّبه.

ـ لا أستطيع أن أتزوجها فهي لا تعجبني....

ـ وهل ينبغي أن تعجبك؟ ما خطر لي أنّ هذا من المتطلبات الأساسية كي تفي بشرط قانوني لحماية شركتك. لديك الكثير من المنازل. أنا واثق من أنك تستطيع أن تضعها في واحد منها فلا تلاحظ وجودها حتى.

فاجأ آشرون محاميه حين قال بحزم: «في هذه اللحظة، يجب أن ينصب اهتمامي على الطفلة. أريد أن أطمئن عليها وعلى وضعها. لقد تجاهلت مسؤولياتي وأهملتها».

وفيما رمق ستافوس آش بنظرة قلقة بعد انحرافه المفاجئ والبعيد كل البعد عن شخصيته نحو الاهتمام بوضع الطفلة، شبكت تابي ذراعيها على صدرها في إحباط وحدّقت في الرجلين بعينين تقدحان شرراً وقالت: «إذا ما استمريتما في تبادل الحديث بلغة أجنبية وبالتصرّف كما لو أني غير موجودة..».

همس آش بصوت ناعم: «ليتك لم تكوني هنا».

كوّرت تابي قبضتيها وقالت: «أراهن أنّ قلة من النساء ضربنك في صغرك!»

تحدّتها العينان السوداوان اللامعتان فيما ارتسمت على وجهه القوي والنحيل ابتسامة مفاجئة: «لم تجرؤ واحدة..».

ذكّرت تابي نفسها بأمبير، واعتصر قلبها لمجرد التفكير في الطفلة التي تحب. لقد جاءت تطلب مساعدته من أجل مصلحة أمبير وحاجات أمبير أهم من أيّ اعتبارات أخرى، وأهم من شعورها نحو هذا الرجل البغيض. نزلت عليها ابتسامته المذهلة كطوفان من المياه الباردة. كان وسيماً بشكل لا يُصدّق، إلى حدّ يقطع الأنفاس وألمها أن يجد ردود أفعالها مسليّة. في الواقع، لم تكن تابي يوماً واهمة بشأن قدرتها على إثارة رغبات الرجال كامرأة. وعلى الرغم من أنها أقامت العديد من الصداقات مع شبّان في مثل سنها إلا أنها لم تخرج مع الكثير من الرجال وحاولت صونيا ذات مرة أن تلفت انتباهها إلى أنها قد تكون سليطة اللسان ومستقلة جداً وميّالة إلى النقد إلى حدّ لا يجذب الرجل العادي.

سارع ستافوس إلى التدخّل قبل أن يحتدم الصراع بين الاثنين: «أتريد أن ترى الطفلة؟»

فجأة، ارتسمت ابتسامة مشرقة على وجه تابي أشبه بأشعة الشمس المتلألئة فراح آشرون يتأملها بشكل مركّز، مطيلاً النظر إلى ملامحها الناعمة، مدركاً أنّه قد يجد امرأة جذّابة تحت هذه الواجهة من حبّ القتال. لطالما أحب النساء اللواتي يفضن أنوثة، أنوثة فعلية. أما هذه المرأة فغير ناضجة وغير مصقولة وهي أيضاً الوصية على حفيدة أولمبيا كما ذكّر نفسه بعناد، مكافحاً كي يركّز على العنصر الأهم في المعادلة كلها. والعنصر الأهم هو الطفلة أمبير. أطلق في سرّه شتيمة لأنه لم يكتشف العلاقة من قبل، ولعن كرهه الفطري للارتباط بأيّ شيء آخر عدا عمله. لم يكن لديه أقارب، أو علاقات حب أو حتى

مسؤوليات خارج إطار شركته وهذا ما يحبّه في حياته، إنما ليس على حساب الحدّ الأدنى من اللياقة والأصول. وتبقى ذكرياته عن أولمبيا التي لطالما كانت لطيفة وودودة مع الصبي الذي اعتبره الآخرون مزعجاً ومصدراً للمتاعب، من الذكريات القليلة الجميلة التي احتفظ بها من طفولته.

أكّد آشرون: «نعم. أريد أن أرى الطفلة في أسرع وقت ممكن».

أمالت تابي رأسها وقد أخذها هذا التغيير في موقفه على حين غرّة: «ما الذي جعلك تغيّر رأيك؟»

أخذ آشرون نفساً عميقاً وقد تملّكه الغضب لأول مرّة من نظام الحماية والدعم المتقن الذي أقامه من حوله إذ يحرص الأشخاص الذين يعملون لحسابه على ألا يشغلوا باله بأيّ تفاصيل من شأنها أن تلهيه عن العمل: «كان عليّ أن أتحقق شخصياً من وضعها عندما علمت بشأن الوصاية، لكني سأهتم بذلك الآن. واعلمي جيداً يا آنسة غلوفر أني لن أدعم طلبك لتبنّي الطفلة ما لم أقتنع بأنك الشخص المناسب لرعايتها. أشكرك على مساعدتك يا ستافوس، إنما ليس على الاقتراح الأخير..».

التقت العينان الداكنتان الساخرتان بنظرة المحامي العابسة قبل أن يردف: «أخشى أنّ تلك الفكرة تنتمي إلى عالم الأحلام».

2 ـ لست أنانية!

قالت تابي بصوت ضعيف بعد أن أعطت السائق عنوان الشقة التي تقيم فيها في الطابق السفلي والتي سمح لها صديقها جاك باستعمالها: «ليتك أنذرتني قبل أن تأتي للزيارة».

جمعت جاك وصونيا وتابي صداقة متينة بعد أن أمضوا سنوات مراهقتهم في دار الرعاية نفسه.

جلست تابي ببطء في المقعد الخلفي لسيارة آشرون الليموزين الفخمة وتجنّبت بشكل متعمّد أن تتأمل ما يحيط بها من ترف. لقد استمتعت بلحظة تفوّق مجيدة عندما خرجت من أبواب الشركة الرئيسية التي فتحها لها رجال الأمن أنفسهم الذين تعاملوا معها بفظاظة قبل ساعة في الداخل.

ـ إعطاؤك أيّ إنذار ليس بالأمر الحكيم. أريد أن أرى كيف تعيشين من دون أن ترتبي لي مسرحية ما.

وأخرج حاسوباً محمولاً وضعه على طاولة صغيرة ظهرت بعد أن ضغط على زر في القسم ما بين المقعدين الأمامي والخلفي.

صرفت تابي بأسنانها لصراحته. إنّ أيّ استعراض مزيّف ليس بخيار متاح أمامها في الغرفة الضيقة التي تعيش فيها مع أمبير. فالفضل يعود لجاك الذي يعمل في البناء وتطوير العقارات في

www.elromancia.com

تمكّنها من الاحتفاظ بأمبير. فلولاه لاضطرت إلى الانتقال إلى أحد ملاجئ المشردين وإلى التخلي عن ابنة صونيا. وآلمها ألا يُعتدّ بصداقتها الطويلة مع صونيا بقدر ما يُعتدّ بصلة القرابة البعيدة التي تربط آشرون ديميتراكوس بتروي. ما هي صلة القرابة هذه؟ جدة تروي كانت ابنة عم والدة آشرون، أيّ أنّ آشرون... ابن عم من الدرجة الثالثة أو ما شابه بالنسبة إلى أمبير؟ لكن تابي عرفت صونيا وأحبتها منذ كانت في العاشرة من عمرها. التقتا في مركز الأطفال حيث شعرت كلتاهما بالخوف الشديد من الأولاد الأكبر سناً. وقد اعتادت تابي التي نشأت في منزل يسوده العنف على أن تدافع عن نفسها على عكس الفتاة الأخرى التي تصغرها سناً. فصونيا كانت فتاة محبوبة، تعيش في كنف عائلة لائقة، لكنها فقدت والديها فجأة في حادث سير في حين أن تابي عاشت في منزل تعرّضت فيه لسوء المعاملة فاضطرت السلطات إلى فصلها عن والديها اللذين لم تعد تعرف إن كانا حيين أو ميتين. بعد انتقالها إلى مركز رعاية، تم تنظيم زيارات خاضعة للمراقبة وجرت محاولات عدة لإعادة تأهيل أمها وأبيها ولإعادة لمّ شمل العائلة، إنما تبيّن أن والديها متعلقان بأسلوب حياتهما اللامسؤول أكثر من تعلقهما بطفلتهما.

عمل آشرون ديميتراكوس بجدّ على حاسوبه، ولم يبذل أيّ جهد لتبادل أطراف الحديث معها. زمّت تابي فمها الجميل وراحت تتأمله. علمت أنه صنّفها كشخص من حثالة المجتمع. ألقى عليها نظرة واحدة وأطلق أحكامه بناءً على مظهرها الخارجي... ومما لا شك فيه أنّ الألفاظ التي استعملتها ساهمت في تعزيز قناعته.

لكنها شكّت في أن يعرف ما هو شعور المرء حين يصل إلى شفير الهاوية. قررت بامتعاض أنه شديد... الهدوء وصاحب رباطة جأش ملفتة. وراحت نظراتها البنفسجية تهيم على جانب وجهه الذي أضفت عليه الشمس سمرة جميلة، ولاحظت التجعيد الخفيف في شعره الأسود الكثيف والطول الملفت لرموشه السوداء الكثيفة فيما هو يدرس الشاشة أمامه. تخيّلي أن تكون رموش صديقك أشد كثافة وأجمل من رموشك، هذا ما خطر لها فزمّت فمها الناعم بازدراء.

أزعجها أن يبدو شخصياً أكثر وسامة مما يبدو عليه في صور المجلات. ظنّت أن الصور تخضع لبعض التعديلات لإبراز مظهره الغامض لكنها رأت أمامها دليلاً على عكس ذلك. لقد ورث الملامح الارستقراطية بخديه العاليين وأنفه المستقيم والطويل، وفمه المثير الذي يشبه فم التماثيل اليونانية الكلاسيكية. كما أنه طويل القامة وعريض الكتفين وطويل الساقين... في الواقع، لقد منّ الله عليه بكافة الخصائص الرجولية الجذّابة.

فكّرت في محاولة منها لمقاومة سحره والتركيز على عيوبه فقط أنه ليس بالشخص اللطيف الذي يهتم بالآخرين. وخطر لها كيف رفض أن يهتم لأمر ابنة تروي وصونيا، فوجدت صعوبة في أن تفهم اهتمامه المفاجئ بالمسألة وتكليف نفسه عناء الانتقال لرؤية أمبير الآن. وقررت أنها جعلته يشعر بالذنب وأنّ لديه ضمير بالتأكيد. هل هذا يعني أنه سيدعم طلبها لتبني أمبير؟

لم يستطع آشرون أن يفهم ما أثار حفيظته. فتابي غلوفر لا

يمكن أن تبقى هادئة في مكانها وقد تسببت حركة جسدها الصغير والنحيل على المقعد إلى جانبه بإلهائه ما أغاظه. وخطر له بنفاد صبر أنه شديد الملاحظة وذلك بعد أن لاحظ الأظافر المقضومة في يديها الصغيرتين، وحذائها الرياضي الرثّ، وسروالها البالي الضيق على فخذيها النحيلين، فكتم تنهيدة. شعر أنه غير قادر على فهم ما يحدث والمنحنى الذي تتخذه الأحداث، وعلى الرغم من أنه طلب من ستافوس أن يعود إلى مكتبه إلا أنه لم يكن سعيداً بالمسار الذي يسلكه. فما الذي يعرفه عن حاجات أيّ طفل صغير؟ ولِمَ شعر بالذنب إلى حدّ جعله يقرر أنّ هذه الشابة ليست مؤهلة لتكون الوصي الوحيد على الطفلة الصغيرة؟

عندما توقّفت السيارة، ترجّلت تابي من السيارة بخفة واندفعت لتنزل السلالم وتضع المفتاح في قفل البوابة المؤدية إلى الطابق السفلي. قالت بتوتر وهي تفتحها على اتساعها: «ها قد وصلنا».

جمد آش بعد أن خطا خطوة إلى الداخل بعد أن فاجأه المكان الذي تقيم فيه إذ رأى سقالات ودلاء وأدوات عدة في الأرض فيما تدلّت الأسلاك بشكل خطير من السقف. فتحت تابي أول باب يقع إلى الجهة الشمالية من المدخل فتبعها آشرون إلى غرفة صغيرة، بالكاد تتسع للأثاث ولطاولة تحمل إبريقاً وفرناً صغيراً وتكسوها كسرات صغيرة من الخبز. وشغلت التجهيزات الخاصة بالطفلة ما تبقى من مساحة تقريباً. هبّت الفتاة المراهقة التي كانت تجلس على السرير ومن حولها الملفات واقفة وهي تبتسم ثم جمعت أوراقها وتأهبّت للرحيل:

«أمبير كانت رائعة. لقد أكلت واستمتعت بزجاجة الحليب كما بدّلت لها حفاظها».

ردت تابي بهدوء على الفتاة التي تعيش في الشقة الواقعة في الطابق العلوي: «شكراً هيثر. أنا ممتنة لك على مساعدتك».

كانت الطفلة جالسة في سرير صغير حُشر بين السرير والحائط من جهة. راقبها آشرون من مسافة آمنة، ولاحظ كتلة الشعر السوداء المجعّدة والعينين البنيتين الكبيرتين والابتسامة المشرقة التي ارتسمت على وجهها ما إن رأت تابي.

سألت تابي وهي تنحني فوق السرير لترفع الفتاة الصغيرة وتحتضنها بقوة: «كيف حال فتاتي العزيزة؟»

التفّت الذراعان الممتلئتان حول عنقها فيما راحت العينان البنيتان الفضوليتان تتأملان آشرون من فوق كتف تابي.

استفهم آش: «كم تبلغ من العمر؟»

ردّت تابي بنبرة جافة: «ينبغي أن تعلم. لقد تجاوزت الستة أشهر».

ـ هل تعلم السلطات أنك تقيمين معها هنا؟

احمرّ خدا تابي انزعاجاً وهي تجلس على السرير إذ أنّ وزن أمبير يزداد يوماً بعد يوم ثم أجابت: «لا. أعطيتهم عنوان جاك. وجاك صديق اشترى هذه الشقة ليجددها ويبيعها وقد سمح لنا بكل طيب خاطر بأن نقيم هنا. ليس لديه مساحة كافية لنا في منزله».

ـ كيف يمكنك أن تعيشي في مثل هذا المنزل القذر مع طفلة صغيرة وتعتقدين أنك تعملين من أجل مصلحتها؟

انفجرت تابي قائلة وقد اتخذت موقفاً دفاعياً فيما وقفت

على الفور لتضع أمبير مجدداً في سريرها: «أولاً، هذا المكان ليس قذراً. إنه نظيف. لدينا تدفئة وإضاءة وثمة حمام مجهّز وراء هذا الباب».

وأشارت بيدها إلى الجدار المقابل لكن هذه الحركة لم تكن مجدية إذ ارتجفت ذراعها فسارعت إلى إنزالها. وتجمّعت الدموع فجأة في عينيها وبدأ الصداع الناجم عن الضغط النفسي يقرع طبوله في رأسها قبل أن تضيف: «أبذل حالياً ما في وسعي لكننا نتدبّر أمورنا».

علّق آشرون باقتضاب: «لكنك لا تتدبرين أمورك بشكل جيّد. ينبغي ألا تربي طفلة في مكان كهذا».

أحسّت بألم شديد أثاره التوتر يلفّ جبينها، فرفعت يديها لتحرر شعرها المربوط علّها تخفف بذلك الضغط الذي تشعر به. راقب آشرون شلال الشعر الأشقر الطويل وهو ينزل إلى خصرها ورأى أخيراً ما أعجبه في مظهرها: شعر أشقر طبيعي إلا إذا كان مخطئاً، فهذه الكتلة الفاتحة اللون لا جذور سوداء لها كما لا تتخللها خصلات مغايرة.

عارضته تابي بحزم وهي تتساءل لما يحدّق فيها بهذا الشكل الذي جعلها تشعر بمظهرها الرث أكثر من أيّ وقت مضى ولما لا تزال كرامتها مجروحة من كلامه عن نظافة المكان: «إني أبذل قصارى جهدي».

سألها آشرون بتكشيرة: «وكيف تعيلين نفسك؟»

ـ ما زلت أنظّف. لم أفقد زبائني كلهم عندما اضطررت للتوقّف عن العمل، وما زلت أعمل لحساب الذين بقوا. أنا أصطحب أمبير معي إلى العمل. غالباً ما يكون زبائني خارج

المنزل فلا يزعجهم وجودها معي. انظر إليها. إنها نظيفة وسعيدة كما أنها تشعر بالشبع. نحن نادراً ما نفترق.

سجّل آش المعلومة بتكشيرة ارتسمت على فمه المعبّر وقال: «أنا آسف، لكن أفضل ما لديك ليس كافياً. ولا شيء مما رأيته هنا يمكن أن يقنعني بخلاف ذلك. أنت لا تملكين منزلاً مناسباً لطفل، ويبدو جلياً أنك تعيشين على خطّ الفقر..».

اعترضت تابي بعنف: «المال ليس كل شيء! أنا أحبها وهي تحبني».

راقب آش الشقراء النحيلة وهي تنحني فوق حافة السرير لتداعب شعر الطفلة الصغيرة ولاحظ الابتسامة المشرقة التي أثارتها هذه اللمسة. اعترف في سرّه بأنه لم يختبر في طفولته مثل هذا الحب أو هذا الحنان، لكنه شخص عملي إلى أقصى حدّ ولم يعتد أن يغيّر رأيه بسهولة: «الحب لا يكفي وحده. لو كان لديك عائلة لتدعمك ومنزل مناسب لتربيتها لاختلف شعوري لكنك تعيشين وحدك في هذه الغرفة الصغيرة وتجرجرينها معك إلى عملك، وهذا خطأ».

وتابع يقول بقناعة راسخة: «يمكن أن تحصل على ما هو أفضل، يجب أن تحصل على أفضل من هذا وينبغي أن ترجّحي كفّة حاجاتها وليس حاجاتك الخاصة».

صاحت تابي غير مصدّقة ما سمعته وهي التي تخلّت عن الكثير لتعتني بصونيا بعد إصابتها بالجلطة ولتعتني لاحقاً بطفلتها: «هل تعني أني أنانية؟»

اغرورقت العينان الزرقاوان بالدموع، فزمّ آشرون فمه وردّ بإصرار: «نعم. بذلت على ما يبدو قصارى جهدك واعتنيت بها

منذ وفاة أمها لكن الوقت حان كي تتراجعي وتُقدّمي مصلحتها على مشاعرك الشخصية».

تدفّقت الدموع التي حبستها تابي في عينيها، فشعر آشرون لأول مرة في حياته بأنه نذل حقير علماً أنه أخبرها الحقيقة كما رآها. أنا أحبها وهي تحبني. نعم، رأى بوضوح قوة الروابط التي تجمعهما لكن هذا الحب لم يستطع أن يخفي حقيقة أنها تصارع من أجل البقاء. حفيدة أوليفيا تستحق ما هو أفضل من هذا.

ـ كم تبلغين من العمر؟

ـ أنا في الخامسة والعشرين من عمري.

اعترف آشرون بتجهّم، وهو يفكّر في أنها صغيرة جداً وغير ناضجة بما يكفي لتتحمل مثل هذا العبء وأنه كان عليه أن يتدخّل فور معرفته بقضية الوصاية هذه ليحلّ المسألة: «كان عليّ أن أتولى هذه المسألة منذ البداية».

ناقشته تابي: «لن تتولى المسألة إن كان هذا يعني أن أنفصل عن أمبير. ألا تستطيع أن تفهم كم أهتم لأمرها؟ أنا وأمها صديقتان من الصغر، وسأتمكن من أن أشاركها ذكرياتي عن والديها حين تصبح كبيرة بما يكفي لتطالب بمثل هذه المعلومات. يمكنك بالتأكيد أن تفعل شيئاً ما لتساعد؟»

لكن آشرون لم يشأ أن يتورط على المستوى الشخصي. لطالما تجنّب المواقف العاطفية والمسؤوليات التي لا تندرج ضمن أعمال الشركة، وهذا الموقف بالتحديد هو ما أثار قلق والده إذ رأى أنّ ولده الوحيد اختار أن يسير وحيداً في درب الحياة.

تأملت تابي ملامح آشرون الوسيمة، متوقفة بدهشة أمام كماله الرجولي.

ـ أنا مستعدة لأن أفعل أيّ شيء كي تبقى أمبير معي...

قطّب آشرون حاجبيه وسأل: «ماذا تعنين بكلامك هذا؟»

ـ ماذا تظن؟ أريد الاحتفاظ بأمبير بأيّ ثمن. إن كان لديك أيّ اقتراحات تقدّمها لي كي أكون أفضل والدة لها فأنا مستعدة للإصغاء ولأخذ النصيحة بعين الاعتبار.

اعترف آشرون بصراحة: «ظننت أنك تعرضين عليّ ممارسة الجنس».

اختنقت تابي بكلماتها لسوء الفهم هذا وقالت: «أحقاً؟ هل يحصل لك هذا غالباً؟ أعني... النساء... يعرضن وحسب؟»

أومأ آشرون برأسه ايجاباً.

اتسعت عيناها دهشة ورفعت رأسها فتساقط شعرها الأشقر الطويل كشلال من حرير على كتفيها. وانتقلت للحظات من إمكانية أن تكون جميلة إلى جميلة بالتأكيد بحسب تقويم آشرون واتقدت الرغبة في داخله، رغبة لم يكن يريدها أو ينوي إشباعها. إلا أنّ جسده عانده. صرف بأسنانه البيضاء الجميلة، كابحاً الأحلام الفاضحة، وقد تملّكه الغضب لأنه فقد القدرة على التحكّم في نفسه وهي سابقة خطرة بالنسبة إليه لاسيما في وجود هذه الطفلة البريئة.

علّقت تابي بعجز، وقد شعرت بالتوتر السائد في الجو من دون أن تدرك مصدره: «النساء يعرضن أنفسهن وحسب؟ لا عجب إذن في أن تكون واثقاً من نفسك إلى هذا الحد».

وحدّقت فيه فوجدت أنها تحب أن تنظر إليه، ولم تعرف ما الذي يسحرها إلى هذا الحد في هذه الملامح المنحوتة بيد فنان. عندما التقت نظراتها بنظرته الداكنة كمنتصف الليل، شعرت

بأحاسيس شديدة تتملكها وتثير حواسها كلها، شعور لم تتمكن من تجاهله أو إنكاره. إنها تشعر بالانجذاب نحوه. هذا اليوناني الثري بنظراته الرائعة والقلب القاسي بقساوة حجر الغرانيت يجذبها. وخطر لها وقد احمرّت وجنتاها الشاحبتان إحراجاً وخجلاً أنّ هذا الانجذاب الجسدي أحمق ومخيّب للآمال.

أنا مستعدة لأن أفعل أيّ شيء كي تبقى أمبير معي... وفجأة، استعاد آشرون سيطرته على نفسه وراح يفكّر من منظار جديد لم يعتده... وخطر له: لِمَ لا؟ لِمَ لا حقاً؟ لعل فكرة ستافوس ليست غريبة ومجنونة بقدر ما بدت له في بادئ الأمر. هو وهذه الفتاة الغريبة يحتاجان بعضهما البعض، ويمكنه بالتأكيد أن يحرص على أن تستفيد أمبير من الصفقة إلى أقصى حدّ فيرضي بذلك ضميره المتعب بشأن الطفلة.

رمى آشرون الطعم على الفور، تواقاً للوصول كعادته إلى صلب الموضوع: «ثمة طريقة كي تبقى أمبير معك».

انحنت تابي إلى الأمام وهي تحدق فيه بعينيها البنفسجيتين المفتوحتين على اتساعهما: «كيف؟»

ـ يمكننا أن نقدّم طلباً كثنائي لتبنيها...

رمشت تابي بعينيها وقد أخذها هذا الاقتراح المفاجئ على حين غرّة: «كثنائي؟»

قال آشرون بنعومة: «ستحصلين على ما تريدين إذا ما دعمتك أنا إنما ينبغي أن نتزوّج أولاً».

قدّم هذا الاقتراح بعد أن قرر ألا يعترف لها بحقيقة أنه سيستفيد هو أيضاً من اتفاقهما فموازين القوى في علاقتهما ستنقلب إذا ما اكتشفت الحقيقة وهو يرفض أن يقوم بهذه

المجازفة التي لا داعي لها فيجد نفسه ضحية الابتزاز. كلما قلت المعلومات التي تعرفها كلما قلّت سلطتها عليه.

ارتسم الذهول على وجهها الصغير البيضاوي وسألت: «نتزوّج؟»

ـ من أجل طلب التبني.

أخذت تابي نفساً عميقاً يعكس بصراحة عدم تصديقها: «دعني أفهم جيداً... أنت تقول إنك مستعد للزواج مني لتساعدني على أن أفوز بحضانة أمبير؟»

رمقها آشرون بنظرة ساخرة قبل أن يجيب: «أنا لا أقترح طبعاً زواجاً حقيقياً بل أقترح مراسم قانونية وطلباً مشتركاً لتبني الطفلة. بعدئذ، علينا أن نبدو للآخرين بأننا نعيش تحت سقف واحد حتى انتهاء الإجراءات».

إذن، هو لا يعرض عليها زواجاً حقيقياً بل زواجاً مزيفاً. لكن وعلى الرغم من ذلك، بقيت فكرة الزواج وفكرة أنه مستعد للذهاب إلى هذا الحدّ كي يساعدها، تشلّان تفكيرها.

ـ لكن لِمَ قد تفعل هذا من أجلنا؟ قبل بضعة أشهر، رفضت كلياً فكرة أن تتحمّل أيّ مسؤولية تجاه أمبير.

ـ لم أكن أعلم أنها حفيدة اولمبيا كارولیس...

قاطعته تابي لتسأل: «أولمبيا... من؟»

ـ والدة تروي. لم أعرفها إلا بشهرتها قبل الزواج. عرفتها في طفولتي لأنها عملت لحساب أمي وعاشت معنا.

وتابع آش كلامه معترفاً على مضض: «فقدت أيّ اتصال بهذا الجزء من العائلة بعد وفاة أمي. لكني أحببت أولمبيا فقد كانت امرأة طيبة».

www.liilas-romance.com

علّقت تابي عابسة: «لكنك غير مهتم بأمبير فعلياً. أنت لم تحاول حتى أن تحملها».

ـ لست معتاداً على الأطفال ولا أريد إخافتها.

ارتجل آشرون هذا العذر ووقف يتأملها وهي تحاول استيعاب كذبته ثم تابع كلامه قائلاً: «كان عليّ أن أهتم أكثر بالطفلة عندما علمت أني أحد الأوصياء عليها. ما كان وضعك ليصل إلى هذه النقطة الدقيقة لو قبلت بهذا الالتزام وتحمّلت جزءاً من المسؤولية».

اعترافه بالخطأ أرضى تابي وجعلها تهدأ إذ لم تكن مستعدة لهذا القدر من الصدق والصراحة من جانبه. لقد ارتكب خطأ وهو يتمتع بما يكفي من الرجولة كي يعترف بخطئه، وهو أمر احترمته. واقترب خطوة من السرير الصغير فابتسمت أمبير له ابتسامة مشرقة وهي تتوقع منه أن يحملها إلا أن يديه السمراوين بقيتا ملتصقتين بجانبيه، وأدركت تابي أنّ الشخص الخائف هنا هو آشرون وليس أمبير. كان طفلاً وحيداً بالطبع وافترضت أنه لم يحتك كثيراً بالأطفال الصغار فوقفته الجامدة قرب الطفلة عكست هذه الحقيقة بوضوح.

ـ إذن، غيّرت رأيك وتعتقد أنّ عليّ أن أتبناها؟

أعلن آشرون بصدق: «ليس تماماً. إذا قررنا أن نكمل فسأحرص على أن أشرف على وضع أمبير وإذا وجدت أنك أم قادرة على تحمّل المسؤولية فسأتركها في رعايتك كلياً بعد طلاقنا. ومن الطبيعي أن أؤمّن لك بعد طلاقنا منزلاً مناسباً لتربيتها».

قرر آش برضا أنه سيصيب عصفورين بحجر واحد، وسيحل

مشاكله كلها بقرار واحد. سيختار مكاناً هادئاً بعيداً عن الأنظار لعقد القران لكن إذا أراد أن يصدّق الآخرون أنهما زوجان وأن زواجهما صحيح فلا بد من أن تخضع أولاً لعملية تغيير كبرى.

قال آش بنبرة واضحة لا تقبل الجدل: «سأصطحبك معي إلى البيت. أحضري الطفلة واتركي ما عداها. سيوضّب العاملون لديّ مقتنياتك».

ـ هل تمزح؟ أتريدني أن أرافق رجلاً غريباً وأنتقل للعيش معه؟

وأخذت تابي نفساً عميقاً قبل أن تردف: «هل أبدو لك ساذجة واتكالية إلى هذا الحد؟»

تأملها آشرون من دون مواربة قبل أن يقول: «لديك فرصة واحدة فقط معي، وأحذّرك من أني لست برجل صبور. لا أستطيع أن أتركك تعيشين مع الطفلة هنا. وإذا قررنا أن نمضي قدماً في مسألة الزواج والتبني فثمة أمور لا بد من أن نقوم بها وأوراق لا بد من تحضيرها من دون إضاعة المزيد من الوقت».

انبعثت منه شرارات عكست عدم صبره وملأت المكان بالتوتر. ظن أنه يقدّم لها خدمة وأنّ عليها أن تستغل الفرصة وأن تتبع تعليماته وهو محق في هذا. لذا، لن تجادله وستُضطر لأول مرة في حياتها لأن تُبقي لسانها الحاضر دوماً للرد في فمها وأن تتصرّف بلطف ليبقى سعيداً ومستعداً لتقديم العون. نعم، عليها أن تثق به، لكن المنطق يشير إلى أن رجلاً ثرياً ووسيماً بقدره سيجد من حوله نساءً مثيرات أكثر منها هي المرأة العادية.

وضعت تابي حفاظات ورضّاعة وعلبة من الحليب في حقيبة رثّة مخصصة للأطفال ثم دسّت ذراعيّ أمبير الممتلئتين في سترة

بدت صغيرة بعض الشيء قبل أن تضعها وتثبتها في المقعد المخصص للسيارة والذي لم تستعمله منذ أن باعت سيارتها.

اتصل آشرون بمساعدته الشخصية طالباً منها أن تستعين بخدمات مربية كفوءة إذ لم يكن ينوي أن يجرجر الطفلة معهما أثناء رحلة التسوّق.

بقي آشرون يتحدّث عبر الهاتف طيلة الدقائق العشر الأولى من رحلتهم، فأعطى التعليمات وأجرى الترتيبات اللازمة وطلب من ستافوس أن يبدأ بإعداد الأوراق اللازمة. وأحس لأول مرة منذ أسبوع بأنه استعاد السيطرة على حياته وهو شعور جميل افتقده. استرق نظرة إلى تابي التي عملت على إشغال أمبير عبر الإشارة من نافذة السيارة إلى الأشياء التي يصادفونها. أطبق فمه بشدة بعد أن أدرك أن تابي غلوفر ستفيده جداً إذ كان مقتنعاً بأنّ التعامل معها لن يكون سهلاً.

سألت وهي لا تزال مشوشة بسبب النقاش الذي دار حول التبني والزواج: «إلى أين تأخذنا؟»

بالكاد استطاعت أن تصدّق أن الحظ ضحك لها ولأمبير واتخذ منعطفاً سحرياً لأن آشرون ديميتراكوس لا يشبه أبداً الجنيّة الصالحة.

أجابها آشرون على عجل: «سنعود إلى شقتي حيث سنترك... أمبير».

شرعت تابي تقول بحدة: «ومع من تنوي أن تتركها؟ العاملون لديك؟ لن يحصل هذا».

ـ لقد استخدمت مربية وستكون في انتظارنا. بعدئذ، سنخرج للتسوّق لنشتري لك بعض الملابس.

ـ أمبير لا تحتاج مربية وأنا لا أحتاج ملابس.

قوّم آشرون مظهرها بنظرة سوداء جعلت الاحمرار يعلو وجنتيها وقال: «بالكاد تكون ملابسك لائقة. إذا أردنا أن تكون التمثيلية مقنعة فأنت تحتاجين إلى ملابس».

التمع الغضب في عينيها البنفسجيتين وأدارت رأسها بحدة وهي تقول: «لا أحتاج..».

قاطعها آشرون بنبرة تحذيرية هادئة وقاطعة: «الفظي الكلمة وسأعيدكما إلى قبوك النظيف والصغير».

أخذت تابي نفساً عميقاً وحبسته، معترفة في سرّها بأنها وقعت في الشرك، وهو أمر لم تسمح به يوماً لأنّ الوقوع في الشرك يعني أن تكون ضعيفة. لكن إن قالت لا، إن رفضت أن تطاوعه فستفقد امبير إلى الأبد. ولن تتمكن من استعادتها فإذا ما أخذت أمبير من رعايتها ستخسرها إلى الأبد.

هل كان آشرون ديميتراكوس محقاً حين شعر بأنانية في رغبتها في الاحتفاظ بابنة صونيا لنفسها؟ آلمتها هذه الفكرة. وكرهت أن تعترف أنه أدرك ما لم تدركه هي لكنها علمت أن من ينظر إلى الأمر من الخارج يرى بوضوح أكثر من الشخص المعني مباشرة. كلّ ما تستطيع تقديمه لأمبير هو الحب وقد قال إنّ الحب ليس كافٍ. لكن تابي تُثمّن الحب أكثر لأنها حُرمت منه في طفولتها.

تعلّقت أمبير بعنق تابي في المصعد فيما هم يتوجهون إلى شقة آشرون، في ردّ فعل منها على توتر تابي المتزايد. ووقف آشرون جامداً في الزاوية البعيدة من المصعد المليء بالمرايا. تأملته تابي بإحباط يتزايد مع مرور الوقت، ولاحظت النظرة

المتحفظة في عينيه والبرودة البغيضة في وجهه النحيل والقوي. بدا بعيداً كل البعد عن العاطفية ما أثار حفيظتها. وغمرتها مشاعر متناقضة، وخشيت أن تكون قد اتخذت قراراً خاطئاً، وقدّمت مشاعرها على حاجات أمبير... وذنب من هذا؟ لم تشك في قدرتها على أن تكون أماً صالحة حتى التقت آشرون ديميتراكوس. وها هي تواجه الآن تحدي التخلي عن كبريائها واستقلاليتها لتكون على قدر توقعاته.

قالت له بصوت ضعيف: «لا أظن أن الأمر سينجح. فهو أشبه بخلط الماء بالزيت».

أجابها آش بشيء من السخرية: «لا حاجة لأي انسجام فكري بيننا. وتوقفي عن الجدل في كل تفصيل فهذا يثير أعصابي».

ـ المربية ليست بالمسألة البسيطة. من هي؟

ـ إنها أخصائية خاضعة لتدريب جيد ومن شركة معروفة. ما كنت لأخاطر بوضع الطفلة تحت رعاية أيّ كان.

تحدّتها عيناه الداكنتان فأشاحت بنظرها وقد احمرّت وجنتاها وجفّ فمها واشتدت قبضتها على أمبير أكثر مما ينبغي. وشعرت لثواني وكأن أمبير هي العنصر الوحيد الذي تبقى لها في عالمها الذي راح يتداعى من حولها. إنه يخيفها، وهذه الحقيقة جعلتها ترتبك. لكنها ذكّرت نفسها بأنه مستعد لأن يساعدها كي تحتفظ بأمبير، وهذا هو جوهر المسألة. عليها أن تعضّ على الجرح وأن تركّز على الهدف وليس على ما يتطلبه الأمر كي تصل إلى هذا الهدف.

وسمعت نفسها تسأل: «أليس هذا الزواج الذي تقترحه غير قانوني؟ أقصد الزواج الزائف؟»

أجابها بنبرة باردة: «ولِمَ سيكون غير قانوني؟ ما يحصل ضمن الزواج شأن خاص».

ـ لكن زواجنا سيكون خدعة.

ـ أنت تجادلين في تفاصيل صغيرة. خدعتنا هذه لن تؤذي أحداً. هذا الزواج سيجعل منا ثنائياً مناسباً لتبني الطفلة.

أشارت تابي: «عقليتك قديمة. في أيامنا هذه، يعيش الكثيرون معاً من دون زواج».

فقال لها آشرون بنعومة: «في عائلتي، نحن نتزوّج دوماً عندما يتعلق الأمر بالإنجاب وتربية الأطفال».

حسن، ذكّرني أني من عالم يختلف تماماً عن عالمك! وعلا الاحمرار وجنتي تابي وقد تملكها الارتباك من هذه الأفكار التي تراودها. لم يتزوّج والداها ولم يخطر لهما على الأرجح أن يتزوجا كي يجعلا ولادتها شرعية.

شردت نظرتها مجدداً نحوه حتى التقت بعينيه الداكنتين اللتين جعلتا الحرارة تشتعل في جسمها. وخطر لها أن شيئاً ما جذاباً وخطراً فيه حطّم دفاعاتها لكنها فضّلت أن تركّز انتباهها على أبواب المصعد التي انفتحت فسارعت إلى الخروج. لم تستطع أن تفهم كيف يمكن له أن يتصرف ككتلة متعالية من الجليد ويترك مثل هذا الأثر فيها.

www.elromancia.com

3 ـ تعويذة حظ

كانت المربية التي ارتدت زياً يشير إلى أنها من المربيات الأكثر كفاءة في مجالها، في انتظار آشرون وتابي في بهو شقة آشرون الفسيح. وقد تمكّنت في لحظات من أن تسحر أمبير التي تركت أحضان تابي راضية.

حثّها أشرون بنفاد صبر: «هيا بنا. لدينا الكثير لننجزه».

همست تابي وهي تكاد تصرف بأسنانها لفكرة أن يدفع هو ثمن ملابسها: «لا أحب التسوّق».

فسرّ لها آشرون بنبرة ناعمة كالحرير: «أنا أيضاً لا أحب التسوّق. في الواقع، جلّ ما أفعله في مجال التسوّق مع أيّ امرأة هو إعطاءها بطاقة اعتماد مصرفية. لكني لا أثق بأنك ستشترين الملابس المناسبة».

التزمت الصمت وهي تنسل إلى سيارة الليموزين التي انتظرتهما في المرآب تحت الأرض وقد قررت ألا تجادله وتخوض معه معركة تعلم سلفاً أنها لن تربحها. على أيّ حال، يمكنه أن يلبسها ما يريد لكنه لن يتمكّن من أن يغيّر شخصيتها الحقيقية.

انتظرتهما موظفة في محلات هارودز حيث بدا آشرون في

إطاره الطبيعي. لم تحاول تابي أن تفرض آراءها ووقفت مترددة فيما راح آشرون يشير إلى ما يحب ليتم سحب القياس المناسب لها عن المشجب. وسرعان ما وجدت نفسها في غرفة القياس مع كومة من الملابس لتجربتها.

أمرها آشرون بنفاد صبر: «اخرجي. أريد أن أراك في الثوب الزهري».

كبحت تابي همهمة الاستياء، وارتدت الثوب الصغير الأنيق ثم انحنت لتخلع جواربها قبل أن تخرج من الغرفة حافية القدمين.

قطّب آشرون حين توقفت عن التقدّم ودار من حولها محدّقًا في وجهها مدهوشاً: «لم أدرك كم أنت نحيلة وصغيرة الحجم».

عضّت تابي شفتها السفلى، مدركة أنها لم تتناول الكثير من الوجبات في الأشهر الأخيرة، وأنها نحيلة جداً وأنّ جسمها الجميل تقلّص مع أيّ دهون زائدة كانت عليه. لكنها قالت بنبرة المدافع عن نفسه: «لكني أقوى بكثير مما أبدو عليه».

تأمل آشرون باهتمام لم يخفه مقاييسها التي تبدو أشبه بمقاييس دمية، وانتقلت نظراته المركّزة من كتفيها الضعيفين إلى ساقيها الشاحبتين والنحيلتين. يمكنه أن يرفعها بيد واحد بسهولة. كان يحب المرأة ذات المفاتن البارزة لكنه وجد في بنيتها الرقيقة جمالاً يسرّ الناظر إليه. بالكاد برز صدرها في الثوب فيما لم يبرز ردفاها أبداً، لكنها بدت جذّابة وملفتة بشكل استثنائي يفوق العادة بشعرها الطويل الأشقر الذي أضاء وجهها البيضاوي الشاحب وعينيها البنفسجيتين

اللامعتين. وتساءل إن كان ليسحقها في السرير لكنه عاد وكبح هذه الفكرة المجنونة لأن هذا لن يكون بالطبع جزءاً من اتفاقهما. وجمد مكانه حين استدارت لتعود أدراجها إلى غرفة القياس فقد فاجأه وشم الوردة الملوّن الذي يشوّه بشرة ساعدها الأيسر البيضاء.

قال آشرون للموظفة التي تفرّغت لمساعدتهما برقة: «هذا الثوب لن ينفع. تحتاج لثوب بكمين كي يغطي هذا».

أحست تابي بقشعريرة قوية ووضعت يدها على العلامة التي كانت قد نسيت أمرها. استطاعت أن تشعر بالجلد القاسي والخشن للندبة تحت أصابعها، هذه الندبة التي استطاع الوشم أن يخفيها. واعتصر قلبها وتذكّرت الألم المرّ الذي ذاقته على الرغم من مرور سنوات على هذا الجرح. لقد اتخذت القرار الصحيح حين رأت أنها تستطيع أن تتعايش مع الوشم بشكل أفضل من تعايشها مع ما يذكرها باستمرار بالطفولة البائسة والرهيبة التي عرفتها، هذه الذكرى التي كانت تعاودها على غفلة منها كلما نظرت في المرآة. مما لا شك فيه أن الرسم ليس مثالياً فالجلد تحته بعيد كل البعد عن المثالية وقد حذّرها الشاب الذي رسم الوشم من هذا مسبقاً. وعلى الرغم من أن خطوط الوردة غير واضحة بعض الشيء إلا أنها حققت الهدف منها فأخفت الندبة ودفنت الذكريات الأليمة. ونادراً جداً ما كانت تابي تفكّر فيه.

سألها آشرون بانفعال من دون أن يخفي اشمئزازه: «كيف أمكنك أن تشوّهي جسمك بهذا؟»

أجابته تابي بنبرة مترددة وقد شحب وجهها: «إنها تعويذة تجلب الحظ الحسن. وقد رسمتها منذ فترة طويلة».

كانت الموظفة تقترب منهما وهي تحمل ثوباً بكمين طويلين فعادت تابي إلى غرفة القياس والعرق البارد يتصبب منها من جرّاء الصدمة، صدمة العودة وإن للحظات ورغماً عنها، إلى ماضيها العنيف. كانت الوردة تعويذتها التي تجلب لها الحظ والتي تخفي ما يذكّرها بما يمكن أن يحصل إن أحبت شخصاً غير جدير بالثقة. إذن، هو لا يحب الأوشام؛ حسن، وما شأنها بهذا؟ ارتدت الثوب الجديد، وملّست الكمين وخرجت مجدداً من الغرفة بعد أن استعادت هدوءها.

حدّق آشرون فيها بتركيز شديد. وزحف الاحمرار إلى وجنتيها فيما هو يتأملها بعينيه السوداوين وقد شعرت بالتوتر يثز في الجو بينهما. أحست بالتوق الشديد يجتاح كل خلية من خلايا جسمها، فجفّ فمها. أحست وكأنها مصابة بدوار أو ثملة فطرفت بعينيها بسرعة لشدّة ما شوّشتها هذه المشاعر.

قال بصوت أجش: «هذا الثوب يفي بالغرض».

رغبت بشدة في أن تلمسه إلى حدّ أنها كوّرت قبضتيها لتمنع نفسها من أن تمدّ يديها وتحقق رغبتها. أحسّت وكأنها دبور ينجذب إلى فخّ معدّ من العسل فقاومت ردود أفعالها بكل ما تبقى لديها من قدرة على السيطرة على نفسها. وحذّرها صوت صغير في رأسها: لا تلمسي، لا تلمسي، لكن بدا جلياً أنه يستمع إلى صوت مغاير إذ اقترب منها ومدّ يديه ليمسك بيديها ويشدّها إليه مجبراً أصابعها على أن تسترخي في قبضته.

www.elromancia.com

رفعت تابي ناظريها إليه فجمدت ولم تعد تجرؤ حتى على أن تتنفس. من هذه المسافة القريبة، لم تعد عيناه تبدوان سوداوين بل كانتا دوامة مذهلة ورائعة من ألوان العسل والذهب والكراميل، ألوان عززتها الرموش السوداء التي حسدته عليها. لامست أصابعه أصابعها بنعومة لم تتوقّعها من رجل بهذا الحجم والقوة فارتعشت رعشات خفيفة لم يسلم منها أيّ جزء من جسمها ما قضى على هدوئها. وتلوّنت وجنتاها بلون أحمر قانٍ لأنها علمت أيضاً أنه حرّك مشاعر عميقة فيها وأنها تغرق. وبحركة سريعة ومفاجئة، حررت يديها وابتعدت مغمضة عينيها للحظات في حركة تعكس اشمئزازها واستيائها من نفسها.

أصدر آشرون أوامره بصوته العميق: «جرّبي بقية الملابس».

اختفت تابي بوجهها المحمّر داخل غرفة القياس. يبدو جلياً أنه ضغط على كافة أزرارها، وعليها أن تمنعه من القيام بذلك وأن تقف في وجهه بحزم. إنه شخص مثير بالتأكيد وهو ساحر يفتن النساء. لقد أهانها حين تحدّث عن الوشم الذي تضعه ومن ثم حوّل تلك اللحظة بطريقة ما إلى شيء آخر بمجرد الإمساك بيديها في يديه والنظر في عينيها. لكنها ليست فتاة طائشة تضعف أمام أدنى اهتمام يظهره رجل وسيم، أليس كذلك؟ واعترفت في سرها بأنها فتاة عذراء ما يبرر ارتباكها في التعامل مع الرجال، هذا الارتباك الناجم عن افتقارها للخبرة. لم تختر أن تبقى عذراء لكن الأمور جرت على هذا النحو. لم ينجح أيّ رجل في أن يجعلها ترغب في التقرّب منه بشكل حميم.

دخل آشرون ديميتراكوس إلى حياتها وقلبها رأساً على عقب. فعلى الرغم من أنه يجذبها إلا أنها لا تحبه ولا تثق به أيضاً، فما معنى هذا وما الذي يعكسه من شخصيتها؟ هل هذا يعني أنها متهوّرة وطائشة تماماً مثل والديها اللذين فقدت الاتصال بهما منذ زمن بعيد واللذين لم تتفجّع على فقدانهما؟

تملّك آشرون التوتر. ما الذي يحدث له؟ وراح يفكر بنفاد صبر بأن العلاقة اللاشخصية ستنجح أكثر ولا ينبغي أن تكون صعبة إذ ما من قواسم مشتركة بينهما.

راقبها وهي تظهر أمامه مجدداً، مرتدية سروالاً من الصوف وسترة صغيرة من الكشمير ومنتعلة حذاءً عالي الكعبين. بدت أنيقة فعلاً. واعترف متذمراً بأنها مرتّبة جداً وهو يصرف بأسنانه فيما نظراته تنزلق غريزياً إلى صدرها الذي برز قليلاً تحت قميصها الضيقة.

وذكّر نفسه عابساً بأنه فعل ما عليه أن يفعله. إنها المرأة المثالية التي تخدم أهدافه لأنها متمسكة بإنجاح اتفاقهما أكثر منه. ولعل الأهم أن شيئاً لن يتغيّر في حياته: لقد وجد الزوجة المثالية، زوجة ليست بزوجة...

ترك تابي وحدها مع الموظفة في قسم الملابس الداخلية حيث اختارت ما هو ضروري قبل أن تنتقل إلى قسم الأطفال وتختار مجموعة كاملة من الملابس الجديدة لأمبير فيما قلبها يرتعش لفكرة رؤية الفتاة الصغيرة في ملابس جديدة تناسبها تماماً. عمل السائق على ترتيب أكياسها الكثيرة في صندوق السيارة فيما صعدت هي إليها لتجلس إلى جانب آشرون الذي

كان يتحدث بالفرنسية عبر الهاتف. عرفت اللغة من الدروس التي تلقتها في المدرسة ورفعت حاجبها. إذن، إنه يتكلم ثلاث لغات على الأقل: اليونانية والانكليزية والفرنسية. ورفضت أن تترك هذا يؤثر فيها.

أعلن آشرون وهو يبعد الهاتف: «سنتناول العشاء في الخارج الليلة».

سألته تابي وقد تملكها الرعب من هذه الفكرة: «ولِمَ هذا؟»

- إذا أردنا أن نبدو كثنائي طبيعي، فلا بد من أن نظهر معاً في الأماكن العامة. ارتدي ذاك الثوب.

- آه...

لم تضف تابي أيّ كلمة أخرى فيما هي تتساءل عما سيستتبع هذا العشاء في الخارج من فظائع اجتماعية.

لم يسبق لها يوماً أن تناولت الطعام في مطعم فخم، ولطالما تجنّبت بجبن مثل هذه المناسبات الرسمية إذ كانت تخشى فكرة وجود الكثير من أدوات المائدة والنوادل الذين سرعان ما سيلاحظون أنها فتاة اعتادت مطاعم الوجبات السريعة.

بعد ساعتين، وبعد أن استحمّ وبدّل ملابسه، فتح آشرون الخزنة في غرفة نومه ليأخذ علبة الخاتم التي لم يلمسها منذ سنوات. كانت الزمردة الأسطورية التي يُقال إنها زيّنت ذات يوم تاج مهراجا، تعود لأمه وستفي بالغرض كخاتم خطوبة. حرّكت فكرة أن يضع الجوهرة الثمينة في إصبع تابي جينة عدم الارتباط لدى آشرون، فأحنى كتفيه ممتناً لأن الخطوبة والزواج الذي سيليها زائفان مئة بالمئة.

وتذكّرت تابي وهي تضع الماسكارا وتستمتع بواقع أنها تحظى بالوقت والهدوء الكافيين لتستخدم أدوات التجميل من جديد. شكّل الماكياج إحدى العادات الشخصية الأولى التي تخلّت عنها عندما تولّت رعاية أمبير بشكل كامل. لكن المربية ستبقى لرعايتها حتى الساعة الحادية عشرة ما يمنح تابي الحرية التامة لترتدي ملابسها وتخرج كسيدة أنيقة. سيدة؟ كشّرت وهي تفكّر في هذه الكلمة، مشككة في قدرتها على أن تتحلى بتلك المواصفات الرفيعة المستوى ثم مررت الفرشاة في شعرها الذي غسلته منذ قليل قبل أن تحمل الحقيبة الصغيرة التي تتناسب مع الحذاء وتغادر الغرفة.

كانت شقة آشرون فسيحة وأكبر بكثير مما توقّعت. خُصصت لتابي وأمبير غرفتان في آخر الرواق الذي يضم غرف النوم، بعيداً عن قاعة الاستقبال الرئيسية وعن جناح النوم الرئيسي الذي بدا أنه يقع عند أعلى سلالم لولبية تنطلق من البهو الرئيسي. وأقرّت وهي تهزّ رأسها بأن آشرون يعيش كملك، وذلك بعد أن رأت الأثاث الفخم الذي يحيط بها والأزهار الندية التي انتشرت في المكان. إنهما من عالمين مختلفين بالتأكيد. لكنها شعرت أن النقطة المشتركة ما بينهما هي أنهما يقدران العمل الشاق ومكافآته وأملت بالتالي أن يفهم لما تحتاج لأن تستمر في العمل.

- ضعيه في إصبعك.

قال هذا وهو يضع خاتم الزمرد بفظاظة في راحة يدها.

سألته تابي وهي تنظر مقطّبة إلى الجوهرة المتلألئة: «لِمَ هذا؟»

www.elromancia.com

همهم بنبرة ساخرة: «خاتم خطوبة... زواج؟ أحياناً لا تستوعبين الأمور بسرعة».

دسّت تابي الخاتم الجميل في إصبعها وحدّقت فيه بعينين نصف مغمضتين فيما احمر وجهها: «لم أكن أعلم أنك ستتكلّف على أمور غير أساسية. افترضت أنك ستختار ترتيبات شاملة أكثر بساطة».

ـ بما أننا سنتزوّج بسرعة وبعيداً عن الأضواء والبهرجة فلا بد من أن تبدو مسرحيتنا مقنعة أكثر للناظرين إليها.

اتخذت موقفاً دفاعياً وهي تقول: «أنا أعيش معك وأرتدي الملابس التي اشتريتها لي، أليس هذا بكافٍ؟»

سخر منها آشرون قائلاً: «يعيش الكثيرون معاً من دون الزواج كما أن العديد من النساء لبسن ثياباً أنا دفعت ثمنها. ما بيننا يجب أن يبدو أكثر جدية».

كانت الأضواء في المطعم خافتة وبدا الجو فيه حميمياً ولعل الطاولة التي خُصصت لهما هي الأفضل. شعرت تابي بأنها تكاد تختنق من الاهتمام الذي أبداه العاملون عند دخولهما. وبعد أن تجاهلها متعمداً أثناء رحلتهما من المنزل وراح يتحدّث عبر الهاتف، منح آشرون نفسه أخيراً فرصة النظر إلى عروسه المستقبلية. تساقطت خصلات شعرها الشقراء على كتفيها وأحاطت بوجهها الصغير الناعم والمشرق، الذي برزت فيه عيناها البنفسجيتان وفمها المثير الملوّن بلون زهري فاقع. لم يستطع أن يُبعد عينيه عن ذاك الثغر، ثغر خُلق ليجعل الرجل يفكر في الخطيئة وارتكابها.

سألته تابي هازئة كي تُبعد عقلها عن واقع أنها لم تكتشف

بعد أيّ شوكة وسكين عليها أن تستخدم لتناول السلطة التي أحضروها لهما: «كيف ترى أدائي حتى الآن في دور الدمية الأنيقة؟».

اعترف آشرون: «أنت تجيبين كثيراً بفظاظة لكنك تبدين مذهلة في الملابس المناسبة».

أذهلها مديحه فيما تابع يقول: «أنا راضٍ حتى الساعة عن صفقتنا وكوني على ثقة بأني سألتزم بالشقّ الخاص بي».

ومدّ يده ليمسك بشوكة فيما مدّت هي يدها لتمسك بواحدة أخرى لكنها عدّلت المسار في منتصف الطريق وراحت نظراتها تلاحق يديه السمراوين. وأمرها دماغها: قلّديه وحسب.

ـ تقدّمت بطلب للحصول على رخصة خاصة. يجب أن تُنجز الأمور القانونية في الوقت المناسب كي نعقد القران نهار الخميس. يجري محاميّ الترتيبات اللازمة وقد اتصل بالخدمات الاجتماعية بالنيابة عنا لنطلب تبني أمبير.

علّقت تابي بنفس مقطوع: «يا الهي، إنه سريع».

ذكّرها بما قالته سابقاً: «أخبرتني أنك لا تريدين أن تذهب الفتاة إلى مركز حضانة».

احمرّت بشرتها وهي تتذكّر أنّ وجهة مجهولة كانت تنتظر أمبير لو لم تحظَ تابي بدعمه: «لا أريد ذلك بالطبع. لكن ثمة أمور لم نناقشها بعد. ماذا يُفترض بي أن أفعل فيما نحن ندّعي أننا متزوجان؟»

ارتفع حاجبه استغراباً وأجاب: «تفعلين؟ لا شيء. ركّزي على أن تكوني أماً وزوجة من حين إلى آخر. أتوقّع منك أن

www.elromancia.com

تظهري برفقتي في بعض المناسبات الاجتماعية. هذا هو الالتزام الوحيد المطلوب منك».

اعترفت تابي بفظاظة: «هذا ممتاز لأني أريد أن أُطلق عملي الخاص مجدداً... على مستوى ضيّق».

اكتست ملامحه الوسيمة قساوة وهو يجيب: «لا. هذا مستحيل. الطفلة تستحق أماً متفرغة لها».

لم تصدّق تابي ما سمعته: «معظم الأمهات يعملن..».

قاطعها آشرون ليقول بنبرة باردة: «سأتكفل بمتطلباتك المادية كلها. في المستقبل المنظور، ستقدّمين حاجات الطفلة على أيّ أمر آخر ولن تعملي».

صرفت تابي بأسنانها: «لا أريد أن آخذ مالك».

علّق آشرون بإيجاز: «عنيدة».

- لا تستطيع أن تملي عليّ ما ينبغي أو لا ينبغي أن أفعله.

- ألا أستطيع؟

تسارعت نبضات تابي حتى شعرت وكأنّ قلبها ينبض في أسفل عنقها، معيقاً قدرتها على التنفّس والكلام. أخفت غضبها وغيظها خلف ستار من الصمت وحدّقت فيه عبر الطاولة فيما بدا وجهها شاحباً ومتوتراً.

تملكتها قشعريرة غطت غضبها وحبسته. كان مستعداً لأن يساعدها كي تتبنى أمبير وهي عالقة في شرك موقفه المثالي القديم، سواء أعجبها هذا أم لم يعجبها. نعم، تستطيع أن تتركه لكنها إن فعلت فستتخلى أيضاً عن الطفلة التي تحب. وهذا ما لا تستطيع أن تفعله بالتأكيد.

بالتالي، عليها أن تخضع لشروطه وتكون على قدر توقعاته طالما أنها تحتاج دعم آشرون. كانت مواجهة هذه الحقيقة البشعة والمخيفة إحدى التجارب التي قهرت تابي إذ جاءت مغايرة لكل قناعة التزمت بها منذ أن بلغت سن الرشد. أفزعتها فعلاً فكرة ألا تكون ممسكة بزمام أمور حياتها.

قال آشرون بعد أن رآها تلهو بالطعام في طبقها من دون أن ترفع أيّ شيء منه إلى فمها الزهري اللون: «يبدو أنك فقدت شهيتك».

كانت قطعة اللحم غير مطهوة تماماً كما تحب. لكنها تعاملت مع قائمة الطعام المكتوبة بلغة فرنسية أنيقة بأن قلّدته في خياراته.

ردّت تابي بصوت ضعيف: «لقد قضيت على شهيتي».

مرّ تعبير محظور على ملامحه المنحوتة وهو يقول: «إن كان عملك مهم إلى هذا الحدّ بالنسبة إليك فعليك أن تتخلي عن رغبتك في تبني الطفلة، إذ ستحتاجين إلى الكثير من الوقت كامرأة أعمال مستقلة ولن تتمكني من منحها الاهتمام الكافي».

اعترفت تابي في سرّها وهي ترتشف الماء متجاهلة كأس النبيذ، بأنّ وجهة نظره صحيحة ومحقة. لم تذق الكحول يوماً ولم تكن تعرف تأثيرها فيها، فخشيت أن توقظ في داخلها توقاً تجد أصلاً صعوبة في السيطرة عليه. لا يمكنها أن تجادل آشرون ديميتراكوس لأن إطلاق عملها الخاص سيتطلب فعلاً الكثير من وقتها. على أيّ حال، لم تسنح لها يوماً فرصة الاستمتاع بلعب دور الأم طيلة الوقت ولعله من الأفضل أن تجرّب أسلوب العيش هذا بدلاً من أن تدع الفرصة تفلت من يديها.

سألها آشرون ديميتراكوس بنفاد صبر فيما هما يتناولان الجبنة: «هل نحن على الموجة نفسها؟»

أومأت تابي التي امتلأ فمها أخيراً بشيء رغبت على الأقل في تناوله فيما هي تحاول ألا تتخيّل ما يعنيه أن تعتمد مادياً ولأول مرة في حياتها على رجل.

عندما خرجا من المطعم، لفّ آشرون ذراعه حول كتفيها المتشنجتين ورمشت بعينيها مذهولة عندما أدركت أنهما محاطان بالمصوّرين. أمرها بصوت خافت: «ابتسمي».

وفعلت كما أمرها رغماً عنها.

سألته بعد أن ابتعدا عن الأضواء: «ما هذا كله؟»

أجابها آشرون بنبرة جافة: «دليل علني على علاقتنا. ستنشر مجلة التايمز خبر خطوبتنا في الغد».

وخطر لتابي بسخرية: عن أيّ علاقة يتحدّث؟ هذه ليست علاقة بل ديكتاتورية، إنما لعله لا يعرف الفرق.

تعالى البكاء فاستفاق آشرون من نومه العميق. استمع لبعض الوقت لكن البكاء استمر. وبعد لحظات، نهض من سريره وهو يطلق شتيمة وتوجّه نحو باب الغرفة قبل أن يعود أدراجه وهو يهمهم ويسحب سروالاً من الجينز من أحد الأدراج. كان يكره وجود ضيوف في منزله فهو يكره أن يغيّر شيئاً من روتين حياته المعتادة. إلا أنه ذكّر نفسه برضا بأنّ تابي خيار أفضل من الزوجة الحقيقية وهي صفقة جيدة لن يخطر لها أن تتمسّك بموقعها الحالي.

فتح باب غرفة الحضانة ورأى الطفلة في السرير. كانت تحرّك يديها ورجليها بنشاط وقد قطّبت وجهها الصغير وراحت تبكي بصوت يوقظ الأموات، إلا أنه لم يوقظ المرأة التي ترغب في تبنيها. حام آشرون حول السرير وقد لوى فمه العريض والمثير. جلست الطفلة على الفور فيما ارتسمت على وجهها نظرة توقّع، حتى أنها رفعت ذراعيها وكأنها تنتظر منه أن يرفعها نحو الحرية. فاضت حيوية أكثر مما يُفترض أن يكون عليه طفل نائم.

أعلن آشرون بحزم: «توقفي عن البكاء. فأنا لا أحب البكاء».

أنزلت الطفلة ذراعيها وزمّت شفتيها الزهريتين فيما راحت عيناها البنيتان اللامعتان تتأملانه بتردد.

راح آشرون يشرح لها: «أتعلمين، البكاء لا يفيد في شيء».

عادت الطفلة تبكي بكاءً يفطر القلب. بدت حزينة ووحيدة للغاية فأطلق آش آهة.

همست تابي وهي تقف عند الباب تتأمل اللوحة الصغيرة للرجل الجامد العنيد والطفلة المسكينة: «ألن تحملها؟ تحتاج للطمأنة».

أغضبها ألا تتمكن من إشاحة نظرها عنه فيما هو لا يرتدي سوى سروال من الجينز. بدا صدره الرجولي المسّمر قطعة فنية تحاكي الكمال. إنه باختصار جسد رجولي يمكنه أن يلعب دور البطولة في أحلام أيّ امرأة.

سألها آش الذي رفع حاجبه وسدد إليها نظرة تعكس استغرابه لاقتراحها: «ولِمَ أحملها؟»

لاحظ أنها ترتدي ثوب نوم فاتح اللون يكشف من جسمها

www.elromancia.com

النحيل أكثر مما يستر فيما هي تقف في الباب وقد أدارت ظهرها للنور المنبعث من الممر.

ـ إذا أردت لطلب التبني الذي قدمناه أن ينال رضا السلطات، فلا بد من أن تكون واثقاً من أنك قادر على التعامل مع أمبير.

ـ سأكون واثقاً تماماً إذا ما فُرض عليّ ذلك، لكن من غير الحكمة أن نرفعها من السرير في مثل هذه الساعة. يجب أن تمضي الليل بطوله هنا. إنها الثانية صباحاً إن لم تلاحظي ذلك.

أطلقت تابي تنهيدة أخرى وتقدّمت من السرير وقد تملكها الإحباط ثم رفعت الطفلة ووضعتها من دون مقدّمات بين ذراعيّ آشرون قائلة: «تحتاج إلى من يطمئنها إن راودتها أحلام مزعجة. تحتاج لأن تشعر بأن ثمة شخص ما حاضر من أجلها. يكفي عادة أن تحضنها قليلاً كي تهدأ».

بدت أمبير مصدومة بقدر آشرون وهي ترى نفسها بين ذراعيه فراحت تراقبه بعينين بنيتين واسعتين.

ـ أحضنها؟

همس آشرون هذه الكلمة بعدم تصديق ثم أضاف: «أتتوقعين مني فعلاً أن أحضنها؟»

4 ـ أحقاً عذراء؟

تنهّدت تابي باستياء قبل أن تأخذ أمبير من بين ذراعيّ آشرون الذي حملها بشكل عكس عدم خبرته في هذا المضمار، وتضمها إلى صدرها. قالت وهي تقبّل حاجب أمبير: «اللمس مهم جداً».

أخذ آشرون نفساً مضطرباً وقال: «لن أقوم بتقبيلها أيضاً».

نصحته تابي بنبرة جافة: «ملّس إذن على شعرها، وافرك ظهرها، اجعلها تشعر بأنها في أمان. توقّف عن مقاومة اقتراحاتي».

سخر آشرون من كلامها: «وكيف تقترحين أن أفعل هذا؟ هل أعمد إلى زرع شخصية جديدة؟ أنا لا أجيد التعامل مع الأطفال. ولا خبرة لديّ مع هذا النوع من المشاعر».

أجابته تابي بتصميم وهي تضع أمبير بعناية بين ذراعيه: «لم يفت الوقت على التعلّم. قرّبها منك أكثر، لاطفها وعانقها. وأرجوك، لا تقل لي إنك لا تملك خبرة في ملاطفة النساء ومعانقتهن».

صارحها آشرون على الفور: «أنا لا ألاطفهن بل أمارس الجنس معهن. وهذا ليس حواراً لائقاً أمام طفلة!»

www.elromancia.com

أحست الطفلة بانزعاجه واستيائه فراحت تثن ما دفعه لأن يدسّ أصابعه تحت قميصها ويفرك ظهرها بحركة تنمّ عن عدم ارتياح.

حثّته تابي وهي تقترب منه لتضع رأس الطفلة قرب كتفه: «قرّبها منك أكثر. لن تعضك».

لا يذكر آشرون أنه شعر يوماً بهذا القدر من التوتر أو عدم الارتياح. لقد أدرك ما تريده منه لكنه لم يشأ أن يفعل ذلك. إنما عاد وفكّر في شركته التي ستصبح له مئة بالمئة بعد الزواج فقرّب الطفلة من صدره، معتبراً أنّ النتيجة تستحق منه مثل هذه التضحية.

اقترحت تابي: «تحدّث إليها».

- عمَّ؟

طرح آشرون هذا السؤال بجدية تامة وقد جمد في مكانه حين استكانت الطفلة في أحضانه والتصقت به بملء إرادتها، وشعر بالارتباك من جراء دفئها الغريب ووزنها فيما هي تضع راحتيها الصغيرتين على جلده.

- حدّثها عن الأسهم والأسواق إن شئت. لا يهم ما تقوله في مثل هذا السن. ما يهم هو نبرة الصوت.

وراح آشرون يغمغم بأغنية يونانية مخصصة للأطفال.

- إذا مشيت في الغرفة وأنت تحملها فيمكن أن تشعر بمزيد من الاسترخاء.

صرف آشرون بأسنانه وبدأ يخبر الطفلة رأيه بتابي باللغة اليونانية، مع الحرص على ألا يُظهر أيّ عداوة في نبرته. رفعت

أمبير إليه عينين بنيتين كبيرتين مليئتين بالثقة واندهش من قدرتها على منح هذا القدر من الثقة لشخص غريب تماماً عنها. إذا استطاعت الطفلة أن تحاول، فيمكنه هو أيضاً أن يفعل على الرغم من أنه لا يستسيغ الاستماع إلى توجيهات تابي واتباعها.

اعترف بتكشيرة بأنها تثير جنونه لكنه استمر في فرك ظهر الطفلة بنعومة وهو يتحدّث إليها. وأسندت الطفلة رأسها بهدوء إلى كتفه.

همست تابي: «أعطني إياها. ستنام مجدداً».

هزأ منها آشرون بعد أن وضعت أمبير في سريرها وغطتها مجدداً: «وهكذا انتهى الدرس الأول».

إلا أنه لم يكن ينظر إلى الطفلة بل إلى تابي. فالثوب الحريري الرمادي اللون التمع في الضوء الخافت المنبعث من الممر، وانسدل على فخذيها، مبرزاً مفاتنها حين انحنت فوق السرير.

علّق قائلاً: «لعله من الأفضل أن تغطي نفسك أكثر حين تكونين معي أم أنّ هذه دعوة؟»

اتسعت عيناها البنفسجيتان فيما هي تتجه نحو الباب ثم رمقته بنظرة عدم تصديق من فوق كتفها قبل أن تسأله: «هل تظن أنك لا تُقاوم أو ما شابه؟»

سار آشرون بخطى واسعة نحو الباب وقال: «لا يمكن أن تكوني بهذه البراءة. لا يمكن التنبؤ بردود أفعال الرجال حين يُعرض أمامهم هذا القدر من البشرة العارية».

قاطعته تابي بغضب وهي تعقد ذراعيها على صدرها وقد أربكها أن تعلم أنه قادر على أن يرى جسمها من تحت ثوب

www.elromancia.com

نومها: «أنا لا أعرض نفسي. عندما جئت إلى هنا، لم يخطر لي أن أجدك».

أطبق آشرون قبضته على معصمها وجرّها إلى الممر، مغلقاً الباب خلفه ثم ابلغها بنعومة: «يعجبني ما أراه».

حدّقت تابي فيه بغضب عارم، ولاحظت الظل الداكن الذي خلّفته لحيته وأبرز ذقنه العنيدة وكيف أنّ اللحية النامية عززت مظهره الرجولي وقالت: «لكني لا أعرض نفسي عليك».

ـ حقاً؟

أحنى آشرون رأسه الوسيم وطبع قبلة صغيرة على فمها. وضمها إلى صدره من دون مقدّمات، ملامساً ظهرها الممشوق براحتيه في لمسة جعلتها ترتعش.

كان لهذه القبلة اليتيمة فعل آسر. وساومت تابي نفسها كي تكملها للحظة واحدة. لكنها قالت له بصوت مرتجف: «لا».

ـ لا؟

التمعت العينان الداكنتان وهما تنظران إليها. انحدرت الأصابع الطويلة على عمودها الفقري، وقال: «يمكننا أن نمرح لساعة أو اثنتين».

ـ هل أبدو لك سهلة إلى هذا الحدّ؟

وتصلّب جسمها إذ شعرت بالإهانة من نبرة اقتراحه هذا. هل يظن أن فكرة تسليته لبضع ساعات تجعلها تشعر بالإطراء؟ علاقة سهلة وسريعة نظراً لغياب أيّ بديل آخر أكثر إثارة؟

ضاقت عيناه المذهلتان وأجاب: «أنا لا أطلق أحكاماً كهذه على النساء. أنا لست من دعاة التمييز بين الجنسين. أنا أستمتع بالعلاقة، وأنا واثق من أنك تفعلين أيضاً».

ـ أنت مخطئ.

شرعت تقول هذا بحرارة، وهي تفكر في أنه مختلف بعض الشيء عن الرجال الذين ظنوا أنّ لهم حق الاستمتاع بجسدها لمجرد أنهم دعوها لتناول الشراب ولم يستطيعوا فهم نفورها.

أكّد لها آشرون بنبرة ناعمة وهو يداعب بإصبعه خط شفتها السفلى: «إذا لم تستمتعي من قبل فهذا يعني أنك لم تكوني يوماً مع الرجل المناسب».

احتبست الأنفاس في حلقها في تجاوب مع لمسته الساحرة.

قالت له تابي بطريقة جافة، وهي تبتعد عن متناول يده مكافحة الرجفة غير المتوقعة التي تملكتها من جراء انفصالها عن جسمه الدافئ: «أنت أستاذ في فن الإقناع لكنك تضيّع وقتك معي... على الرغم من أني عذراء إلا أنني أعلم أنّ الرجل يمكن أن يتفوّه بأيّ كلام وأن يقدّم أيّ وعود ليجعل المرأة تستسلم له وتشاركه فراشه».

ـ عذراء؟

ردد آشرون كلمتها بنبرة ذهول وعدم تصديق وقد تشنّجت ملامحه السمراء ثم أضاف: «أهذا صحيح؟ أم أنه طعم لتوريطي أكثر؟»

هزّت تابي رأسها ببطء ومن ثم أطلقت ضحكة عالية قبل أن تقول: «أنت كثير الشك ولا تثق بالنساء. لا أريد أن أورّطك في أيّ شيء. في الواقع، أعتقد أنّ تورطنا إلى هذا الحد هو فكرة سيئة».

جادلها آشرون بنعومة: «لم أكن أفكر في التورط بل في تبادل بسيط للمتعة».

www.elromancia.com

لاحظت تابي كيف فصل حتى بين التورط وبين العلاقة الجسدية وسجّلت أنه يعاني من خوف شديد من الالتزام. لم يشأ أن تسيء فهم العرض الذي يقدّمه: تبادل جسدي للمتعة ليس إلا، من دون أيّ قيود. قالت له بفظاظة وهي تدير له ظهرها: «تصبح على خير».

ـ عذراء... حقاً؟

همس آشرون بهذه الكلمات في إثرها، وتردد صدى صوته العميق في داخلها في سكون الشقة التي ساد فيها الصمت.

أدارت تابي رأسها ببطء نحوه وردّت: «حقاً!»

قطّب آشرون تقطيبة خفيفة وحدّق فيها بعينين تلتمعان فضولاً ودهشة تحت الأضواء الخافتة: «لماذا؟»

ـ لم أرغب يوماً في ذلك.

وتناهى إليها صوت ناعم في عقلها يقول حتى اليوم. فتلك القبلة المثقلة بالشغف وتلك اللمسة الشهوانية من يديه الرشيقتين أثارتا في تابي مشاعر لم تشعر بها قط في حياتها.

همس آشرون بثقة فيما هي تبتعد عنه وشعرها الأشقر ينسدل على ظهرها كنهر متدفق: «لقد رغبت فيّ..».

علمت تابي أنّ عليها أن تلتزم الصمت لكنها لم تستطع أن تقاوم العفريت الصغير في داخلها، هذا العفريت الذي أثار حفيظته فأدارت رأسها ناحيته، بعد أن استسلمت لرغبتها في إزعاجه وهمست بنعومة: «يبدو جلياً... أني لم أرغب فيك بما يكفي».

فكّر آشرون بكآبة وهو يعود أدراجه إلى غرفته بخطى واسعة ليستحم بالماء البارد أنّ مثل هذا الهراء يمكن أن يثير بعض

الرجال فيعتبرونه تحدياً لكنه ليس من هؤلاء لأن المنطق لطالما تغلّب لديه على الرغبة. إذا أقام علاقة معها فقد تختلط الأمور وتعمّ الفوضى وهو يكره الفوضى ولا يحتمل مثل هذه العلاقات لفترة تتعدى ما يتطلبه محو رقم المرأة المعنية من هاتفه.

وذكّر نفسه بالنتائج الأليمة لعلاقته الأخيرة المتهوّرة التي كانت أسوأ حتى من واقع أن تابي عذراء. وجد صعوبة في أن يصدّق هذا إنما لم يستطع أن يرى أيضاً الفائدة التي يمكن أن تجنيها من إخباره كذبة مماثلة. لا بد أن المرأة التي تبقى عذراء حتى سن الخامسة والعشرين تتوقّع الكثير من حبيبها الأول وإلا لِمَ ستنتظر هذا الوقت كله؟ لن يكون أبداً ذاك الرجل، لا يمكن أن يتناسب مع الإطار الذي وضعته أو المتطلبات التي تريدها. لقد حذّرته وعليه من الآن وصاعداً أن يلتزم حدوده معها.

تثاءبت تابي ثم وضعت أمبير على السجادة عند قدميها. بدت الفترة الصباحية مملة جداً حتى الساعة. وصل ستافوس، محامي آشرون، حاملاً معه مجموعة من الوثائق التي تم ملؤها بعناية وراح يشرح لها عقد الزواج فقرة تلو فقرة مؤلمة أخرى. من الطبيعي أن يرغب آشرون في حماية ثروته، وكانت مناقشة شروط الطلاق قبل الوصول حتى إلى مرحلة الزواج لتحبطها لو أنها مغرمة به، لكنها ليست كذلك وهي لا تأبه أبداً لماله.

اعترضت تابي بقلق: «لكني لا أحتاج مثل هذا المبلغ من المال لأعيش بعد الطلاق. أعرف كيف أعيش جيداً بميزانية صغيرة كما أني أرى أن ربح هذا المبلغ هو منحة أكثر من كريمة».

تدخّل آشرون ليقول من حيث وقف متململاً قرب النافذة: «يُفترض بك أن تحاولي كسب قدر ما يمكنك كسبه من مال. وقّعي العقد وانسي الموضوع. بعد أن تعيشي لفترة في عالمي، ستتغيّر أذواقك وسترغبين في المزيد».

رمقته تابي بنظرة امتعاض وردّت: «جلّ ما أريده من هذا الاتفاق هو أمبير. كما لن أتحوّل لامرأة جشعة، طمّاعة بين ليلة وضحاها!»

تدخّل المحامي ليهدئ الوضع: «يريد السيد ديميتراكوس أن تستمتعي أنت والطفلة بمستقبل مريح وآمن».

ـ لا، يريد السيد ديميتراكوس أن يشتري ولائي وولائي ليس للبيع! أقدّر كثيراً ما يفعله ليساعدني على الاحتفاظ بأمبير وتربيتها وآخر ما يمكن أن أُقدم عليه هو أن أستغل كرمه بأيّ طريقة من الطرق. أرجو أن تتقبّل هذا.

قاطعها آشرون بنفاد صبر: «وقّعي. لقد أخذ هذا الهراء ما يكفي من وقتي هذا الصباح».

ذكّره ستافوس بعناد: «يجب ألا تنسى أنّ عليك أن تكون حاضراً أثناء زيارة موظفة الشؤون الاجتماعية بعد ظهر هذا اليوم».

وضع ستافوس وثيقة ثانية أمام تابي بعد أن وقّعت الأولى وتوجّه إليها قائلاً: «إنه اتفاق يضمن السريّة ويمنعك من أن تخبري أيّ كان خارج هذا المكتب عن شروط زواجكما».

وقال آشرون بفظاظة: «هذه الكذبة الكبيرة يجب أن تبقى سراً».

كبتت تابي تنهيدة ووقّعت ثم رفعت نظرها لتراقب آشرون وهو يتحدث إلى المحامي باليونانية. كان يرتدي بذلة رمادية داكنة مخططة بخطوط رفيعة جداً وقميص أرجوانية وقد بدا... رائعاً، وكأنه خرج لتوه من إحدى الصور التي تعرضها مجلات الأزياء. رجل أنيق، ووسيم بشكل يخطف الأنفاس وهو يلفت نظرها على الفور كلما لاح أمامها. وقالت في سرّها إنّ ما من ضرر في النظر إليه وتقدير المشهد فهو كلوحة جميلة يمكنها أن تتأملها بإعجاب وتقدّر روعتها من دون الحاجة لأن تقتنيها، لاسيما وأنّ أيّ امرأة قد تخطر لها فكرة الاقتناء ستواجه مشكلة عويصة حين يتعلق الأمر بآشرون ديميتراكوس.

تناولا في وقت سابق طعام الفطور معاً في غرفة الطعام، لكن كلمة «معاً» لا تعني هنا سوى مشاركة الطاولة نفسها. فقد قرأ الصحيفة فيما تولّت هي العناية بأمبير وهي تحاول أن تتناول الكعك بهدوء كفأرة في حضور قطّة. لم يكن الوضع يسمح بالاسترخاء أو بتبادل الأحاديث الاجتماعية فقررت أن تتناول من الآن وصاعداً وجباتها في المطبخ.

أعلن آشرون فيما تابي تنحني لترفع أمبير عن السجادة قبل أن تبدأ باللهو برباط حذائه: «ستصحبك إحدى مساعداتي للتسوّق كي تشتري ثوب زفاف مناسب. وسيتوجب علينا أن نستخدم مربية لتعتني بأمبير حين نكون مشغولين».

استقامت تابي: «لا أريد ثوب زفاف... كما لا أريد مربية».

هاجمتها العينان الداكنتان اللاذعتان: «هل طلبت رأيك؟»

ـ لا، لكنك حصلت عليه ومن دون أيّ كلفة إضافية.

ـ لن أفاوض في مسألة ثوب الزفاف.

ـ لا سبيل إلى التفاوض معك في أيّ شيء!

توّهجت العينان الداكنتان بلون ذهبي مثير ثم همس بصوت أجش: «قد تُفاجئين لو بذلت بعض الجهد لإرضائي».

ها هو يُفكّر في الجنس مجدداً: علمت ذلك من نظرة عينيه ومن نبرة صوته الأجش. زحف الاحمرار إلى وجنتيها فيما هي ترمقه بنظرة قمع.

أقرّت تابي وهي ترفع ذقنها: «سأكون صادقة وصريحة معك... لن أضيّع ثوب زفاف على زواج زائف. يبدو الأمر غير مناسب. أريد أنّ أحتفظ بثوب الزفاف الأبيض لليوم الذي أتزوّج فيه زواجاً حقيقياً».

ردّ آشرون بعناد وهو يدنو منها: «صعب. لعله زواج زائف لكني أريده أن يبدو طبيعياً قدر الإمكان وقلة هن النساء اللواتي يخترن الزواج من دون زخارف».

مدّت أمبير يديها نحوه وابتسمت، فوضعتها تابي بين ذراعيه من دون مقدّمات وقالت له: «داعبها قليلاً. ستتعلّم بالممارسة وستجيد ما تفعله. وإن كان عليّ أن أبدو مقنعة في الزواج فعليك أن تبدو بعد ظهر اليوم مقنعاً كشخص يرغب في تبني طفلة ليصبح والداً لها».

شدّت أمبير ربطة عنق آشرون الحريرية باستمتاع فافتر ثغره فجأة عن ابتسامة تقدير ما صدم رفيقيه في آن معاً: «أمبير لا تأبه فعلاً بأيّ شيء سوى بالاهتمام الذي نوليه لها وما يسليها في هذه اللحظة».

وافقته تابي الرأي على الفور، مكافحة كي لا تتفاعل مع تلك

الابتسامة المذهلة التي جعلتها ترغب في أن تبادله الابتسام كفتاة بلهاء: «حاجات الطفل بسيطة».

شعرت بمجرد النظر إليه والمرح مرتسم على ملامحه، بدوار خفيف في رأسها وباضطراب في معدتها، لكنها سألته: «المربية؟»

أعلن آشرون بنبرة واضحة: «إنها ضرورية عندما يكون لديك واجبات أخرى. كوني عملية».

أخذت تابي نفساً عميقاً، رافضة أن تجادله فيما موعد المقابلة مع الشؤون الاجتماعية بعد ساعات قليلة. استعادت أمبير من بين ذراعيه ووضعتها في عربتها الصغيرة حيث قطّبت الطفلة الصغيرة وراحت تشكو بشدّة.

علّق آشرون: «إنها تعرف ما تريد. عليك أن تكوني حازمة أكثر حين تصبح أكبر سناً».

ـ هذا واضح.

أضاف آشرون ببرودة قاتلة: «وقد تجدين صعوبة في أن ترتدي ثوب زفاف من أجل رجل تختارينه فيما أنت تجرجرين طفلاً وراءك. أنا لا أواعد امرأة لديها طفل من دون زواج».

عاجلته تابي قائلة بنبرة ذابلة: «أخبرني شيئاً لا يفاجئني. أنت أناني جداً ولا تركّز إلا على حماية راحتك الشخصية».

ـ أنا أحترم حدودي وحسب.

ـ هذا هراء. لا يمكنك أن تحتمل فكرة أن تقدّم حاجات شخص آخر على حاجاتك.

عندئذ، سألها آشرون بلباقة: «إذن، ما الذي أفعله بزواجي منك؟»

ـ أنت تصحح الخطأ الذي ارتكبته قبل أشهر عندما رفضت أن تكون الوصي على أمبير ولا شك في أن هذا يجعلك تشعر بأنك غير أناني وأنك رجل مثالي ورائع!

راح ستافوس يحدّق في تابي مصدوماً وهو يستمع إلى الحديث المتبادل بينهما. أما تابي فقد غزا الاحمرار وجهها وهي تفك مكابح العربة وتجرّها خارجة من الباب.

رحّبت شارما، مساعدة آشرون الخاصة، بها في المكتب الخارجي ورافقتها على الفور إلى سيارة ليموزين لتنطلقا في رحلة التسوّق.

تفاجأت تابي حين وجدت نفسها في متجر فخم ومشهور جداً لفساتين الزفاف بدلاً من متجر عادي في أحد المجمعات التجارية. وفيما راحت شارما تلاعب أمبير، جرّبت تابي الثوب تلو الآخر لتختار في نهاية الأمر الثوب الأقل زخرفة ثم أضافت الاكسسوارات التي اقترحتها مالكة المتجر التي أولتها عناية خاصة. بعد أن أنهت هذه المهمة، عادت إلى شقة آشرون واتصلت بجاك لتخبره أنها ستتزوج وتدعوه لحضور المراسم في اليوم التالي.

سألها جاك: «هل هذه مزحة؟»

ـ لا، حصلت الأمور بشكل مفاجئ وسريع لكني أعرف ما أفعله. يريد آشرون أن يتبنى أمبير معي.

تساءل جاك بشكل فظ: «لقد كتمت المسألة جيداً. منذ متى تواعدينه؟»

لجأت تابي إلى الكذب متمنية لو تستطيع أن تقول الحقيقة:

«منذ بعض الوقت. لم أكن أعلم أن الأمور ستصبح جدية وإلا لأخبرتك من قبل».

أعلن جاك برضا: «سيحلّ هذا مشاكلك كلها. كنت قلقاً جداً عليك وعلى أمبير».

حضر آشرون في الوقت المناسب من أجل المقابلة مع المرشدة الاجتماعية وأظهر براعة لافتة وخبرة في تحريف الحقيقة لتناسبه بحيث جعلها تبدو وكأنها يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل. بدا جلياً أن آشرون وشقته المذهلة أثارا إعجاب المرأة التي تكبرهما سناً ما جعلها تُحجم عن طرح الكثير من الأسئلة الشخصية.

وبعد ساعة، كانت تابي تُطعم أمبير وتختلس قضمات من وجبتها في المطبخ حين وقف آشرون في الباب والغضب بادٍ على وجهه. رفع الكرسي الذي أجلست أمبير فيه واستدار على عقبيه.

صرخت تابي وهي تركض خلفه: « ما الذي تفعله؟»

وضع آشرون الكرسي عند طرف مائدة الطعام مجيباً: «نحن نتناول الطعام هنا معاً. أنت لا تتناولين الطعام في المطبخ كأحد العاملين لديّ، فهذا لن يعطي الانطباع بأن زواجنا طبيعي».

ردّت تابي: «لا أعتقد أنّ أحداً من العاملين لديك يأبه للمكان الذي نتناول الطعام فيه!»

حذّرها آشرون بصوت كالفحيح: «عليك أن تكوني حذرة بشأن المظاهر. يمكن لأيّ عامل لديّ أن يبيع القصة لأيّ صحيفة صفراء فيلحق ضرراً فادحاً في ادعائنا بأننا زوجان».

جمدت تابي مكانها: «لم أفكّر في هذا قط. ألا يمكنك أن تثق بموظفيك؟»

أجابها آشرون بتهكّم: «أثق بمعظمهم لكن الصندوق لا يخلو من تفاحة عفنة في زاوية ما منه».

أومأت تابي برأسها وعادت إلى المطبخ لتُحضر وجبتها. لقد فكّر في المسألة من كافة الزوايا وصدمها أنه عانى على ما يبدو من هذا النوع من الخيانة من شخص مقرّب منه. وخطر لها أنه لا عجب في أن يتوقّع الأسوأ دوماً من الناس.

سألها فيما هي تجلس إلى المائدة: «لِمَ كنت تتناولين طعامك في المطبخ؟»

ردّت تابي على الفور: «أعلم أنك تحب الحفاظ على مساحتك الخاصة».

علّق آشرون وهو يتأمل بعينين داكنتين اللون الأحمر الذي غزا وجنتيها: «أنت لا ترتاحين في تناول الطعام معي. لاحظت هذا في الليلة الأولى في المطعم. عليك أن تتغلبي على هذه المشكلة».

اعترفت تابي التي اختارت أن تعتمد الصدق والصراحة معه: «نعم، كان الجو متوتراً في تلك الليلة الأولى. لم أستطع أن أقرأ قائمة الطعام لأن لغتي الفرنسية ليست بالمستوى المطلوب. كما لم أعرف حتى أيّ شوكة عليّ أن أستعمل لأيّ طبق».

شعر آشرون بطعنة ندم في داخله. لم يخطر له حتى أنها ستشعر بمثل هذا الانزعاج في مطعمه المفضّل.

ـ أدوات الطعام ليست مهمة عزيزتي...

ـ بل هي مهمة صدقني لاسيما حين لا تعلم أيّ منها عليك أن تستخدم.

ـ اسألي في المرة القادمة.

أزعجه أنه لم يراعِ الفارق بينهما. وعاد يقول لها: «أنا لست... حساساً. لن أنتبه لأمور كهذه ما لم تحذريني. على فكرة، اختارت شارما المربية التي كانت هنا الليلة الماضية كي تعمل لحسابنا. كما حصلت على إذن كي نصطحب أمبير معنا حين نسافر خارج البلاد».

ـ خارج البلاد؟ ما الذي تتحدّث عنه؟

فسّر لها آشرون بنبرة عملية: «سنتوجّه إلى ايطاليا بعد الزفاف. لديّ منزل هناك. سيكون من السهل أن نحتفظ بخصوصياتنا كعروسين من دون وجود الأصدقاء والمعارف».

في اليوم التالي، استفاقت تابي باكراً. حسن، إنه يوم زفافها وإن كان لا يُشبه في شيء الحدث المميز جداً الذي حلمت به يوماً. فصونيا لن تكون حاضرة مثلاً لتلعب دور الاشبينة كما لطالما افترضتا أنها ستفعل، واغرورقت عينا تابي بالدموع على الفور لأن ألم خسارة صديقتها بدا كجرح لن يلتئم أبداً. وذكّرت نفسها بأنّ جاك لا يزال موجوداً، لكن جاك رجل قليل الكلام كما أن صديقته ايمي لا تستسيغ صداقته مع تابي. نهضت من فراشها وهي تطلق تنهيدة ثم اتجهت إلى غرفة أمبير لتطمئن عليها قبل أن تبدأ بالاستعداد.

كانت مالينـدا المربية في غرفة أمبير. نسيت تابي موضوع المربية، ونسيت أنها لم تعد الشخص الوحيد الذي يرعى أمبير

ويهتم بشؤونها إلا أنها وجدت أنّ الطفلة قد استحمت وارتدت ملابسها وتناولت طعامها. باغتها شعور بالندم لأنها لطالما استمتعت بإعطاء أمبير وجبتها الأولى الهادئة. إنما بقيت ابنة صونيا ترحّب بها بحب وعاطفة جليين فدفنت تابي أنفها في شعر الطفلة الذي فاحت منه رائحة عطرة وأخذت نفساً عميقاً مذكرة نفسها بالسبب الذي دفعها للزواج من آشرون والذي جعلها تلبي كافة طلباته.

ستُقام المراسم في قلعة تم تحويلها إلى فندق فخم، ودُهشت تابي لما أمكن ترتيبه في هذه المهلة الزمنية القصيرة. إنما عادت وذكّرت نفسها بأن ثروة آشرون يمكن أن تضمن اهتماماً خاصاً وأنّبت نفسها أيضاً على سذاجتها.

رتّبت شارما الأمور كي يحضر إلى الشقة مصفف الشعر وأخصائي الماكياج وأملت تابي أن تمنحها براعتهما المهنية شيئاً من الأناقة البرّاقة التي تنضح عادة من رفيقات آشرون. وما أن خطرت لها هذه الفكرة حتى تساءلت لِمَ تهتم برأيه. هل هي مسألة كبرياء وحسب؟

ساعدتها شارما على ارتداء ثوبها فيما عدّل المصمم الخمار القصير المعلّق بتاج الورود في شعر تابي.

علّقت شارما بحماسة: «تبدين مع هذه الزهور على رأسك كملكة الصيف... سيطير صواب السيد ديميتراكوس بك».

اتضح لتابي للمرة الأولى أنها تتعامل مع شخص يظن أنه يحضر زواجاً حقيقياً فاحمرّت من الارتباك، وهي واثقة تمام الثقة من أنّ آخر ما يمكن أن يحصل هو أن يطير صواب آشرون بها.

وتابعت شارما كلامها: «إنّ رؤية رئيسي يتكبّد كل هذا العناء ليتزوّج بسرعة مسألة رومنسية للغاية. كنت أظن أنه... حسن، بارد للغاية ولا أقصد الإساءة... ومن ثم رأيته مع الطفلة وأدركت كم أنا مخطئة. مما لا شك فيه أن الأبوّة تغيّر المرء..».

سجّلت تابي أن شارما افترضت أن آشرون هو والد أمبير، وهذا أمر طبيعي فشرحت لها: «في الواقع، أمبير هي ابنة أعز صديقة لديّ وابنة قريب آشرون وقد توفيّ كلاهما».

راح آشرون يذرع المكان جيئة وذهاباً فيما التكشيرة مرتسمة على وجهه بانتظار وصول سيارة العروس. شعر بتوتر شديد. لعله زواج مزيّف لكنه بدا حقيقياً مع وصول زوجة أبيه ايانس واثنين من أولادها الراشدين والعديد من الأصدقاء وقد فاض به الكيل من تبادل الأحاديث وادعاء أنه عريس سعيد. وذكّر نفسه بأنّ أيّ زواج من دون ضيوف لن يكون لسوء الحظ مقنعاً جداً وأن المرأة غير المرحّب بحضورها اليوم لم تحضر على الأقل. وقف عند نافذة الغرفة حيث سيقام الحفل تحيط به الزهور المخصصة للمناسبة وأخذ يراقب سيارة الليموزين المزيّنة بالشرائط البيضاء التي تطايرت مع النسيم عند مدخل الفندق.

ترجّلت تابي من السيارة في ثوب أبيض أنيق عاري الكتفين، يُصدّر حفيفاً كلما تحرّكت، وقد راح النسيم يحرك خمارها وخصلات شعرها الشقراء بعيداً عن وجهها البيضاوي الشكل. بدت رقيقة وأنيقة كالدمية واقرّ بعصبية بأنها فاتنة تسحر الألباب

www.elromancia.com

قبل أن يشتم ردّ فعله الرجولي للغاية على هذا المظهر الذي يفيض أنوثة وإغراءً. لم تصبح تابي مرتبة وحسب، على حدّ تعبير ستافوس بل أصبحت مذهلة، هذا ما اعترف به آشرون في سرّه وهو يلحظ من دون اهتمام وتركيز ظهور المربية التي حملت أمبير التي ارتدت ثوباً زهري اللون يليق بالمناسبة مع عصابة شعر مطابقة.

اقتيدت تابي مباشرة إلى القاعة حيث ستقام المراسم وحيث راحت الموسيقى تُعزف. جالت بنظراتها القلقة على بحر الوجوه ثم وقعت على آشرون فاستقرت عليه وكأن مغنطيساً يجذبها. شعرت بدفاعاتها كلها تسقط كما لو امتصتها قوة حضوره الطاغي. بادلها التحديق، من دون أن يدّعي أنه ينظر إلى ما وراءها، وقد بدت عيناه الداكنتان المذهلتان ذهبيتين ولامعتين كنور الشمس في وجهه النحيل. تقدّمت في الممر الممتد بين مقاعد الضيوف وساقاها لا تقويان على حملها ثم وقفت إلى جانبه فيما هي تذكّر نفسها بأن انجذابها نحو آشرون هو رحلة ذهاب من دون إياب نحو الكارثة وهي مجازفة ينبغي ألا تخوضها خشية أن تجازف بمستقبل أمبير أيضاً.

دسّ الخاتم في إصبعها وفعلت مثله. بعدئذ، أبقى يده مطبقة على يدها متجاهلاً محاولاتها للتحرر من قبضته. وفجأة، أحاط بهما الضيوف وانهالت عليهما التهاني كما راح يعرّفها إليهم.

كانت زوجة أبيه امرأة شقراء ذات نبرة صوت عالية وحادة، وقد وقف إلى جانبها ابنها وابنتها اللذين بديا وكأنهما يخشيان

آشرون ما خلّف لدى تابي الانطباع بأنه لم يكن يوماً جزءاً من عائلة أبيه. ظهر جاك مع صديقته ايما التي بدت ودودة كما لم تعهدها تابي يوماً. تبادلت تابي أطراف الحديث مع جاك ثم التفتت لتجد آشرون يتأملها وقد زمّ فمه الوسيم.

ـ من هذا؟

ردّت بنبرة من يدافع عن نفسه: «جاك صديق قديم وهو الشخص الوحيد الذي دعوته».

استفهم آشرون بتكشيرة: «ما الذي يعرفه عن موضوعنا؟»

أجابت تابي وهي تتساءل ما هي مشكلته: «لم أخبره شيئاً. إنه يعتقد أنّ هذا الزواج حقيقي».

سُكبت المشروبات في الكؤوس وارتفعت الأنخاب فيما انسلت امرأة سمراء ذات مفاتن بارزة ترتدي بزّة زرقاء إلى الغرفة من دون سابق إنذار.

صدر عن شخص ما يقف بالقرب من تابي آهة. اتجهت السمراء نحوهم وكأنها أتت في مهمة محددة ثم رمت زوجة والد آشرون بنظرة غاضبة قبل أن تسألها بصوت عالٍ: «أمي، كيف يمكنك أن تشاركي في هذه التمثيلية المجنونة في حين أنها تتعارض مع مصالحي؟ من المفترض أن أكون العروس هنا!»

نصحها شقيقها سيمون بخنوع: «دعينا لا نخوض في هذا يا كازما. نحن هنا لنحتفل بزواج آشرون وأعلم أنك لا تريدين إفساد هذا النهار بمثل هذا الغضب».

ـ حقاً؟

والتمعت عيناها الغاضبتان. لاحظت تابي التي تملكها التوتر

أنها امرأة جميلة جداً بملامحها المنحوتة وشعرها الأسود الكثيف والطويل.

وسألت بنبرة اتهام قاسية: «أخبرني يا آشرون ماذا وجدت فيها ولم تجده فيّ؟»

تعالى صوت أمبير بالبكاء فاستغلت تابي الفرصة لتبتعد عن المشهد الدرامي القائم وتنضم إلى مالیندا المربية في آخر القاعة. على أيّ حال، الخلافات العائلية ونوبات غضب العاشقات السابقات ومرارتهن ليست من شأنها. هل كان آشرون على علاقة بابنة زوجة أبيه؟ يبدو ظاهرياً أنه لم يحاول أن يستخدم سحره وجاذبيته ضمن دائرة العائلة ويمكنها أن تفهم لما قال حين التقيا للمرة الأولى في مكتبه أنّ لا عائلة لديه. كانت عائلة أبيه تتحدّث إليه بأدب كما يفعل أيّ شخص غريب. بدا جلياً أنه لم يعش معهم يوماً، ما جعلها تتساءل مع من عاش حين كان أصغر سناً لأن تابي مقتنعة بأنها تتذكر إعلان وفاة والدته الشهير جداً على التلفزيون فيما كانت لا تزال هي نفسها صغيرة جداً.

اصطحبت تابي أمبير إلى غرفة تغيير حفاضات الأطفال في قناعة منها أن كازما المتوترة ستكون مع بعض الحظ قد غادرت لدى عودتها.

لكنها لم تكن محظوظة بهذا القدر. وما إن انتهت من نزع ملابس أمبير حتى فُتح الباب ووقفت كازما فيه لتسأل بفظاظة: «هل هذه ابنة آشرون؟»

بدّلت تابي حفّاض أمبير التي راحت تتحرّك وتمدّ عنقها في محاولة منها لرؤية الزائرة.

ـ لا.

قالت كازما بحقارة: «كنت واثقة من ذلك فآش ليس من النوع الذي يحب الأطفال».

تملّك تابي الغضب فاستقامت في وقفتها وأدارت رأسها نحو المرأة الأخرى وقالت: «اسمعي، أنا لا أعرفك كما أني مشغولة هنا..».

تابعت السمراء كلامها من دون اكتراث: «أنت تعلمين لما تزوّجك آشرون، أليس كذلك؟ يُفترض أن أكون أنا عروس آش. لا أحد يفهمه بقدر ما أفهمه أنا. لكن ولسوء حظنا نحن الثلاثة، آشرون أكثر عناداً من أن يرضى بأن يُجبر على فعل ما كان عليه أن يفعله منذ زمن بعيد، فكبرياؤه لا يسمح له بذلك».

قالت لها تابي التي شعرت بانزعاج شديد: «لا حاجة لأن أعرف ما تتحدثين عنه فالأمر لا يعنيني».

فسألتها كازما بغيظ وحقد: «كيف يمكنك أن تقولي هذا فيما زواجك منه سيجعله يكسب ثروة؟ فوفقاً لوصية والده، ستعود ملكية نصف شركته إلى أسرتي إذا لم يتزوّج خلال عام! وكل من يعرف شعور آش حيال شركته يعلم أنه مستعد لأن يفعل أيّ شيء ليحميها... حتى لو كان هذا يعني أن يتزوّج من امرأة نكرة غير مناسبة ليحافظ على الوضع القائم!»

5 ـ شروط الوصية

ترددت اتهامات كازما في أذنيّ تابي كصدى مزعج خلال الرحلة إلى ايطاليا. بعد رحيل السمراء، أقيم الغداء وانتهى بهدوء لكن تابي لم تحظَ بأيّ فرصة للتحدّث إلى آشرون على انفراد لتطرح عليه السؤال. وقررت أن تثير الموضوع في الطائرة لكن مالينـدا كانت ترعى أمبير في مؤخرة المقصورة فشعرت بأنها لا تستطيع أن تتكلم بحرية.

هل من الممكن أن يكون لدى آشرون مصلحه شخصية في هذا الزواج أكبر مما اعترف به؟ رأت تابي أنّ هذا ممكن عندما قارنت رفضه تحمّل أيّ مسؤولية بشأن أمبير قبل أشهر قليلة فقط والتغيير المفاجئ الذي طرأ على سلوكه. لِمَ لم يثر هذا التغيّر السريع شكوكها أكثر؟ وخطر لها أنه يعتبرها بلهاء وساذجة، وشعرت بالخيانة ليس بسبب كذبه وعدم صراحته بل بسبب سذاجتها وسهولة خداعها. ما هي شروط وصية أبيه؟ كيف يمكن أن يخسر نصف الشركة التي يملك؟ وإن كانت معلومات كازما صحيحة، فلِمَ لم يخبرها الحقيقة بكل بساطة؟

فكّرت تابي بغضب متصاعد أنّ السلطة هي الجواب الوحيد على هذا السؤال. فستكون تابي مستعدة لأن تلبي مطالبه كلها

طالما بقيت تعتقد أن آشرون يقدّم لها خدمة ومعروفاً من أجل أمبير فهي تشعر بالامتنان نحوه لاعتقادها أنه يقوم بتضحية كبيرة حتى لو كان زواجهما زواجاً مزيّفاً. ماذا لو كان الأمر خلاف ذلك تماماً؟ ماذا لو أنّ آشرون ديميتراكوس كان بحاجة لزوجة مناسبة بقدر ما كانت تحتاج هي للدعم والاستقرار كي تتمكن من تبني أمبير؟ هذه المعلومات تغيّر الصورة والمعادلة وتجعلهما متساويين. إلا أن آشرون ليس مهيئاً ليعامل تابي كندّ له فهو يفضّل أن يعطي الأوامر وأن يطالب، لا أن يُقنع ويقدّم التنازلات. حسن، هذه الأيام قد ولّت إذا كان ما قالته كازما هو الحقيقة...

علّق آشرون في السيارة التي أقلّتهم عبر ريف توسكانا: «أنت هادئة جداً».

كانت قد بدّلت ثوب الزفاف قبل انطلاقهم من لندن وشعر بخيبة أمل غريبة عندما رآها ترتدي بدلاً منه الثوب البنفسجي الذي اختاره لها بنفسه. بدا القماش سميكاً والكمّان الطويلان غير مناسبين لمثل هذا المناخ الدافئ وظهر الاحمرار على وجنتيها على الرغم من أن المكيّف يعمل في السيارة. لكن هذا الاحمرار عكس ظلالاً ملفتة على عينيها وأبرز بشكل ما امتلاء فمها الزهري المفعم بالحيوية.

أخذ آشرون نفساً عميقاً وبطيئاً وأشاح بنظره عن وجهها ليسقط على ركبة نحيلة وعلى البشرة الناعمة البيضاء تحتها ما جعله يتساءل إذا ما كانت بشرتها حريرية الملمس بقدر ما تبدو. صرف بأسنانه ولعن رغبته القوية. لم يخطر له يوماً أنّ العلاقة الأفلاطونية يمكن أن تشكّل تحدياً، حتى مع الخيارات المتاحة أمامه.

أعلنت تابي بنبرة رسمية، وقد بلغ بها الغضب مبلغاً جعلها تعضّ شفتها السفلى لئلا تبدأ نقاشاً فيما هي لا تزال عالقة في السيارة معه: «أنا استمتع بمشاهدة المنظر من حولنا. إلى أين نتجه بالتحديد؟»

- فيلا فوق التلال. كانت ملكاً لأمي على غرار معظم ما أملكه لكنني جددتها العام الفائت.

تملّكها الفضول على الرغم من غضبها فسألته: «توفيت والدتك وأنت لا تزال يافعاً، أليس كذلك؟»

توترت ملامح وجهه البرونزي النحيل وتأملتها عيناه القاسيتين قبل أن يجيب باقتضاب: «نعم».

أرخى جدار التحفّظ الذي يستخدمه كدرع ظلاً على وجهه الذي خلا من أيّ تعبير فيما أخبرته تابي مدركة مشاعره: «فقدت والداي وأنا صغيرة جداً فأُرسلت إلى مركز رعاية. وهناك التقيت جاك وصونيا والدة أمبير».

حاولت بكلامها هذا أن تملأ الصمت الثقيل، فقال: «لم أكن أعلم أنك تربيت في مركز رعاية».

ردّت تابي متلعثمة بعد أن اصطدمت بعينين تضاهيان منتصف الليل ظلمة، عينان تظللهما رموش سوداء طويلة، وراحت تقاوم الشعور بأنها تسقط... تسقط... تسقط: «حسن... لم تكن تلك أسعد أيام حياتي لكني عرفت بعض الأوقات الطيبة. آخر مركز كان الأفضل فعلى الأقل بقينا نحن الثلاثة معاً».

وانتهى الحديث عند هذه النقطة إذ ضغط آشرون شفتيه في صمت متجهّم فيما حاربت تابي ذاك الشعور بالدوار وكافحت

لتركّز على غضبها. حسن، آشرون ديميتراكوس وسيم بشكل مذهل وهو قادر على تحريك هرموناتها وإثارتها لكنه بارع أيضاً في التلاعب بالآخرين ومخادع ووحده الأبله يمكن أن ينسى هذه الحقيقة. كما أنه لم يفتها أنه ليس مهتماً في معرفة أيّ شيء عن ماضيها وعن حقيقتها كشخص. لكن هل نظر إليها يوماً كشخص صاحب حقوق؟ أم كشخص يمكنه أن يستغله بسهولة؟

استدارت السيارة وسلكت ممراً يصل إلى مبنى كبير يتميّز بحجارته الصفراء ويمتدّ على أعلى التلّة. اضطرت تابي لأن تشدّ شفتها السفلى لئلا تفغر فاها في رهبة تثير السخرية لأنّ ما سماه فيلا كانت هي لتسميه قصراً. في الباحة المرصوفة أمام المدخل الرئيسي التي تزيّنها أصص حجرية ضخمة من الزهور الرائعة، تطاير الرذاذ من النافورة ليتساقط كحبيبات أشبه بألوان قوس القزح في البركة الدائرية الشكل. وعندما ترجّلت من السيارة في ضوء ساعات المغيب الأولى، لفتت انتباهها حركة خفيفة وظهر طاووس أبيض، ناشراً ريشه الزاهي. انعكس الضوء على الريش المنشور فبدا كمروحة رائعة فضيّة اللون. توقّف الطاووس، رافعاً رأسه وإحدى ساقيه، بثقة فائقة على الرغم من أنه وحده.

همست تابي فيما السيارة التي تنقل أمبير ومربيتها فضلاً عن الحراس تتوقّف خلف سيارتهما: «تذكرني بهذا الطائر».

رفع آشرون حاجبه مستفهماً فهزّت تابي كتفها محرجة وأضافت: «لا تأبه. هل يمكننا أن نتحدّث على انفراد؟»

أجاب من دون أن يظهر أيّ تعبير على وجهه: «طبعاً!»

إنما لم تفتها النظرة العابسة التي رمقها بها حين انتقلت

www.elromancia.com

لتتحدّث إلى أمبير ومربيتها. وسرعان ما غفت الطفلة الصغيرة، فوجبة أخيرة وليلة من النوم الهانئ هو ما تحتاجه بعد هذا اليوم الطويل والشاق.

كان بهو الفيلا يخطف الأنفاس إذ امتدّت الأرضية الرخامية اللامعة تحت الأقواس التي تفصل بين قاعات الاستقبال. لم يسبق لتابي أن رأت هذا القدر من تدرّجات اللون الأبيض المستخدم في الديكور أو مكاناً غير عملي بقدر هذا المكان في وجود طفل في الأرجاء. وذكّرت نفسها بأنهم لن يقيموا هنا طويلاً بالطبع وبأنّ أمبير لم تبدأ بالحركة بعد ما يعني أن الطاولات الزجاجية ذات الأطراف الحادة والمنحوتات الملفتة الموضوعة على قواعد صخرية لن تشكّل أيّ خطر عليها.

أعلنت فيما ماليندا تتبع مدبّرة المنزل على السلالم الرخامية التي يحيط بها الحديد المشغول: «مثير للإعجاب!»

أبلغها آشرون فيما هو يستدير ليبتعد عنها: «عليّ أن أجري بعض المكالمات».

- يجب أن نتحدّث...

نساء كثيرات قلن هذه الجملة لآشرون على مدى سنوات وتبع ذلك مشاهد درامية ومطالبة بمزيد من الاهتمام وكان يكره ذلك. توتّر جسمه، وانغلق وجهه القوي والنحيل: «ليس الآن... في وقت لاحق».

- بل الآن.

هذا ما بادرته به تابي من دون تردد وعيناها البنفسجيتان تلتمعان غضباً فهي لن تسمح له بأن يصرفها وكأنها نكرة كما

وصفتها كازما. إذا طأطأت رأسها وعاملته كشخص أفضل وأعلى منزلة منها فستقتنع هي مع مرور الوقت بأنها نكرة.

سألها آشرون ببرودة: «ما الأمر؟»

تعمّدت تابي أن تتوجّه من البهو نحو القاعة المؤثثة بآرائك بيضاء وثيرة واستدارت ببطء، ثم قالت رافعة ذقنها: «هل صحيح أن وصية والدك تشترط عليك أن تتزوّج في غضون عام كي تحتفظ بملكية الشركة؟»

توترت ذقنه العنيدة وسألها بحزم: «من أين أتيت بهذه القصة؟»

ثم زفر طويلاً قبل أن يضيف: «إنها كازما... أليس كذلك؟»

استجمعت تابي غضبها وعدم تصديقها وقالت: «هذا الكلام صحيح إذن؟ لقد أخبرتني الحقيقة».

ردّ آشرون بنبرة حادة وقد بدت عيناه عميقتين وباردتين كأعماق المحيط: «شروط وصية أبي لا تعنيكِ».

لكن تابي لم تكن بمزاج يسمح بإخافتها: «كيف تجرؤ على أن تقول هذا في حين أن الزواج ناسب مصالحك بقدر ما ناسب مصالحي؟ ألا تعتقد أني أستحق أن أعرف هذا؟»

صرف آشرون بأسنانه البيضاء في محاولة منه لضبط أعصابه: «ما الفرق الذي يمكن أن يشكّله هذا بالنسبة إليك؟»

أجابت تابي بعنف وعيناها البنفسجيتان تقدحان شرراً: «سيشكّل فارقاً كبيراً! جعلتني أشعر وكأنك تقدّم لي معروفاً عظيماً من أجل مصلحة أمبير».

قاطعها آشرون ليسأل بنبرة لا يمكن أن تهدئ المشاعر

www.elromancia.com

المجروحة: «أو لم أفعل؟»

ـ ولا يمكنك أن تتوقف عن التصرّف بفظاظة حتى في هذه اللحظة!

هذه النبرة الساخرة وهذه النظرة الفوقية جعلتاها تشعر بالغضب والمهانة فتابعت كلامها: «نعم يا آشرون، من الفظاظة أن تقاطع غيرك ومن الفظاظة أكثر أن تنظر إليّ وكأنني حشرة على الأرض يمكن أن تدوسها بقدمك! كنت صادقة وصريحة معك إلى أقصى حدّ فيما خدعتني أنت ومحاميك».

ومضت عينا آشرون الذي وجد صعوبة في أن يسيطر على أعصابه وطباعه: «كيف خدعناك؟ نفذّت كل ما وعدتك به. تزوّجتك، وساعدتك على تقديم طلب لتبني أمبير وحرصت على أن يكون مستقبلكما آمناً. كثيرات هن اللواتي يمكن أن يقتلن ليحصلن على نصف ما أمنحك إياه!»

أطبقت يديها في قبضة غاضبة. أرادت أن تمطره بالضربات فيما هو يقف هناك ملكاً على كل ما يحيط به، متعالياً عن المخلوقات العادية ومتحصناً من المبادئ الأخلاقية البديهية بثروة ونجاح بالكاد يمكنها تخيّلهما. وسارعت تابي تقول دفاعاً عن نفسها: «يا لك من متعجرف وكريه! تجعلني أرغب أحياناً في أن أضربك رغم أني لست شخصاً عنيفاً! ألا تدرك فعلاً لِمَ أنا غاضبة؟ كنت صريحة معك. لم أكذب، لم أدّعي ولم أتهرّب. أعتقد أني أستحق الاحترام نفسه منك».

زمّ فمه: «يبدو أنّ الأمر لا يتعلق بالاحترام».

ـ أهكذا تتعامل مع الجدال عادة؟

ردّ آشرون بصراحة: «أنا لا أتجادل مع الناس».

أجابته على الفور بنبرة حادة تعكس شدة غيظها: «ربما لأن الناس يمضون معظم وقتهم في محاولة إرضائك وفي التملّق إليك وليس لأنهم يوافقونك دوماً الرأي! أنت تتجنّب النقاش وترفض أن تتجاوب مع شعوري الطبيعي بالانزعاج على الرغم من أنك تبدو كشخص يحب المواجهات».

اعترف آشرون بإيجاز: «لا أرغب في إطالة هذا النقاش، كما لا أرى أنّ انزعاجك طبيعي. لم أعتد أن أبوح بأسراري للناس. أنا شخص كتوم ووصية أبي تندرج ضمن خانة الأمور الخاصة والشخصية».

قالت تابي باستنكار، رافضة أن تترك الموضوع: «من حقي أن أعلم أنّ لا حاجة لي لأن أشعر بهذا الامتنان كله وأن أخضع لطلباتك كلها لأنّ ما تكسبه من هذا الزواج يفوق مكاسبي أنا! استخدمت جهلي كسلاح ضدي!»

صرّح آشرون بصوت خفيض: «الوصية مرتبطة بالأعمال ولا تعنيك في شيء».

ـ كفّ عن هذا الهراء. مسألة أنك تحتاج لأن تتزوج بقدر حاجتي أنا تعنيني!

وحدّقت فيه بغضب قبل أن تردف: «هذا يغيّر قواعد اللعبة».

عارضها آشرون حانقاً: «ما من قواعد لعبة بالنسبة إليّ لأن المسألة ليست لعبة! لقد تزوّجتك وها أنت تحاولين أن تستغلي وضعك كزوجة لي».

اتسعت عيناها البنفسجيتان دهشة ووضعت يديها الصغيرتين

على وركيها، فبدت له كصورة مصغّرة عن امرأة بذيئة تستعد للقتال، ما جعل شعوره يتراوح بين التسلية والسخط. وشرعت تقول والحقد يغلي في عروقها: «أستغل؟ وكيف أستغل؟ بأن أعارضك ولو لمرة؟ بأن أتجرأ على التعبير عن رأيي في القضية؟»

تقدّم آشرون منها ووضع يديه عليها ورفعها في الهواء قبل أن تتمكن حتى من كشف نواياه. تركها في الأعلى، عالقة في الفخ.

ـ ليس لديك رأي في القضية يا عزيزتي...

حملقت فيه تابي التي زاد سلوكه من غضبها وصاحت: «سأركلك إن لم تضعني أرضاً!»

وبدلاً من أن ينزلها، قرّبها آشرون من جسمه الطويل وحرص على أن يقيد ساقيها على غرار يديها. وجذبتها العينان الذهبيتان المظللتان برموش سوداء كثيفة وكأنهما مغنطيس: «لن يكون هناك ركل، أو ضرب، أو كلام بذيء..».

فسألته تابي بصوت خرج كالفحيح من بين أسنانها المطبقة: «من قال هذا؟»

ـ زوجك.

قطّب آشرون وكأن هذه الناحية خطرت له للتو فقط فيما أثار لديه هذا الواقع مزيجاً من التسلية والغيظ.

بدت وكأنها مجموعة من الألعاب النارية وقد أشعلها للتو. استعر الغضب في داخلها وقالت: «أنت لست زوجي!»

التمعت عينا آشرون تسلية ما أبرز درجات اللون الفاتحة التي لاحظتها فيهما من قبل وأضفى عليه جاذبية خارقة جعلت فمها يجف. وسألها: «من أنا إذن؟»

ـ جرذ يحمل وثيقة زواج!

رمقها آشرون بنظرة تعاطف ساخرة وقال: «أنا جرذك لأنك علقت معي».

صرخت تابي: «أنزلني! وإلا ستندم!»

ـ لا، أفضل هذه الوضعية على سماعك تصيحين في وجهي من الناحية الأخرى من الغرفة.

ـ لم أكن أصيح!

كرر آشرون كلامه: «كنت تصيحين. وأنا لا أجادل بهذه الطريقة».

ـ لا آبه بطريقتك في الجدال!

وراح آشرون يفكّر بذهن شارد بأن هاتين العينين اللتين تتطاير الشرر منهما، وهذا الفم المغري والمثير حرّكت كل هرمون من هرموناته وأثارته كمراهق عديم الخبرة. لم يفهم ما يجري، ولم يأبه لذلك ولم يعتقد أنه يحتاج لأن يفهم، لكنه قرّب ذاك الفم الشهيّ من فمه فجاء طعم شفتيها لذيذاً وغنياً وحلواً ومغوياً كثمار الفراولة الناضجة في يوم صيف حار.

ـ لا... لا...

حاولت تابي أن تعترض لكن اعتراضها بدا وكأنه موجّه لذاتها وليس إليه.

لم يسبق لأحد أن قبّل تابي كما فعل، بكل هذا الشغف الذي يخفيه خلف قناع بارد والذي شعرت به في كل مرة تواجدا معاً.

واعترفت ببساطة بأنه مثير جداً جداً وكأنها تقدّم لنفسها عذراً. وعندما رفعها أكثر ليمسك بها بشكل أفضل، أفلت يديها.

وبدلاً من أن تستعملهما لتفلت من قبضته، وضعت إحداهما على كتفه ودسّت أصابع الأخرى في شعره الأسود الكثيف والناعم. ثم أنزلها على شيء ما ناعم وليّن.

وعلى الرغم من أنّ جرس الإنذار رنّ في مكان ما من عقل تابي إلا أنها أدركت كم تحب الشعور بجسده القوي والمفتول العضلات. في الواقع، كانت كل خلية من خلايا جسمها تنتفض وتهتز بطاقة مكبوتة، فتصلّبت وقد انقطعت أنفاسها بعد أن اجتاحتها موجة جديدة من الأحاسيس. لم تختبر مثل هذا الشعور بالحاجة قط من قبل، ولم تشعر يوماً بمثل هذا القدر من الإثارة. وفجأة، تعالت أصوات أخرى قضت على هذا التفاعل الجسدي: صوت قرقعة تلاه صوت خطوات تتراجع على عجل.

تساءلت تابي وهي تبتعد عنه لتجد نفسها على الكنبة: «يا إلهي، ما كان هذا؟»

وأصيب جسمها بالذعر عندما اصطدمت عيناها بعينيه الغائمتين فدفعته من كتفيه وانسلّت من تحت ثقل جسمه بسرعة جنونية.

همس آشرون وهو يطبق أصابعه السمراء الطويلة على أصابعها: «دعينا نذهب إلى الفراش».

الأمر بسيط وعادي بالنسبة إليه. هذا ما خطر لها حين تلفّظ بجملته الأخيرة وتملكها الغضب لأنها لم تحاول حتى أن تقاومه. ابتعدت عنه إلى الزاوية الأخرى من الكنبة وراحت تملس شعرها الأشقر وتبعده بيدين مرتجفتين عن وجهها الذي بدا أحمر قانياً لشدة ما شعرت بالخزي من سلوكها.

ـ لا، دعنا لا نفعل... فهذا سيفسد الأمور.

أعلن آشرون بإصرار: «السرير مريح أكثر من الكنبة».

أجابته تابي بإحباط وقد أجفلتها لسعة الانفصال عن جسمه النحيل والقوي: «أنا لا أتحدث عن المكان بل أرفض الفكرة وأقول إننا لن نفعل هذا!»

يستحيل أن تكون امرأة أخرى في لائحة آشرون الطويلة للنساء اللواتي يسهل الحصول عليهن، مجرد جسد أنثى لتحقيق رغبة رجل لم يعتد أن يعيش من دون جنس.

وفجأة وبفضل الدرس الذي تعلمته الآن من آشرون، أدركت لِمَ لا تزال عذراء حتى الساعة. لم يجذبها أيّ رجل آخر بما يكفي لتُسقط دفاعاتها. هذا كل ما سيجمعهما، جنس واضح وصريح، وليس علاقة تتوق إليها امرأة حساسة، وهي حساسة جداً، أليس كذلك؟ ألم تكن كذلك؟ وأزعجها فعلاً أن تستمر في تقدير وسامة ملامح وجه آشرون الأسمر الرجولية وجسده القوي والطويل حتى فيما هي تفكّر وتعيد تحصين دفاعاتها مجدداً.

زفر آشرون بشيء من الغضب قبل أن يقول: «أنت ترغبين فيّ وأنا أرغب فيك».

فعلّقت تابي بصوت مرتجف وبنفس مقطوع وهي تتذكّر عناقهما الحار والحاجة القاهرة التي أثارها فيها: «هذا غريب أليس كذلك؟ أعني، نحن لا نتصرف بشكل حضاري حتى مع بعضنا البعض».

وكبحت الذكرى قبل أن تقف وتملس ثوبها بعناية.

عندئذ، قال آشرون بصوت أجش وهو ينتصب واقفاً برشاقة طبيعية: «لكنك تثيرينني».

أشاحت تابي بنظرها عنه وعلّقت: «دعنا لا نتحدّث في هذا... أنا وأنت؟ إنها فكرة سيئة جداً. ما يجمعنا أشبه بما يجمع القط بالفأر».

ثم تابعت تقول وهي تتراجع بتصميم نحو البهو: «أود أن أرى غرفتي».

تطوّع آشرون بضحكة لامبالاة: «سأرافقك فقد أخفنا الموظفين. أعتقد أنّ الأصوات التي سمعناها هي صوت أحدهم وهو يحضر لنا القهوة وقد رآنا في ذلك الوضع».

قاطعته تابي بصوت حاد، متمنية لو يغيّر الموضوع: «نعم، أتخيّل ما رآه».

أجاب آشرون بلامبالاة، رافضاً أن يطاوعها فيما هو يقودها إلى الأعلى: «حسن، هذا شخص سيقتنع بأننا فعلاً عريسان في شهر العسل».

ذكّرته بعناد: «لكننا لسنا كذلك».

ـ أنت لست شخصية مرنة، أليس كذلك؟

ردّت هازئة: «ستجعلني عجينة طيّعة لو كنت كذلك. ما زلت غاضبة منك يا آشرون فقد استغليت جهلي».

فأشار آشرون بنبرة هادئة لا تحمل أيّ أثر للاعتذار: «أنا ذكر حتى العظم وأنا مبرمج منذ الولادة على الاستغلال. لكنك من دفعني إلى هذا فيما لم أكن أتوقّع ذلك».

وفتح باباً مزدوجاً عند آخر الرواق يؤدي إلى بهو فيه بابان،

قائلاً وهو يفتح الباب الأول: «هذه غرفتي».

ومن ثم فتح الباب الآخر قبل أن يضيف: «وهذه غرفتك..».

عضّت تابي شفتها السفلى قبل أن تسأل: «هل علينا أن نكون قريبين إلى هذا الحدّ؟»

همس آشرون بنبرة ناعمة كالحرير: «أنا لا أسير أثناء النوم إنما مرحباً بك إن اخترت أن تزوريني».

ـ لن أفعل هذا.

دخلت تابي إلى الغرفة الكبيرة وراحت تتأمل الجناح لتنتقل بعدها إلى غرفة الملابس حيث فتحت الخزانة ووقفت مقطّبة تتأمل الملابس المعلّقة فيها.

ـ هل نسيت آخر صديقة لك أن تأخذ ملابسها معها؟

ـ هذه الملابس لك. أنا طلبتها. ستحتاجين ملابس صيفية هنا.

أرجعت تابي رأسها إلى الخلف لتتأمل بعينين بنفسجيتين مرتعشتين: «أنا لست دمية تختار لها الملابس وتلبسها».

ـ أنت تعلمين أنّ كل ما أرغب فيه هو أن أخلع ملابسك عنك.

احمرّت وجنتا تابي مجدداً وزمّت شفتيها فيما تابع آشرون معلّقاً بتسلية مفاجئة: «أنت تحمرّين كالنار المضرمة».

وابتعد عنها ليفتح باباً آخر في الناحية المقابلة من الغرفة، باب يفضي على ما يبدو إلى جناحه الخاص.

فكّرت تابي في أن تقفل الباب لكنها عدلت عن رأيها إذ أنّ مثل هذا التصرّف مثير للشفقة. ولعل المفاجئ هو أنها تثق فيه من هذه الناحية ولا تخشى من أن يحاول أخذ ما ليست مستعدة

www.elromancia.com

لتقديمه. إذا استطاعت أن تقاوم سحره وجاذبيته فهي واثقة من أنه سيقاوم جاذبيتها بدوره ويبحث عن امرأة أخرى أكثر خبرة ومرحاً منها. إلا أنها لم تحب لسوء الحظ فكرة وجوده مع امرأة أخرى ووبّخت نفسها على هذا لأنها كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تمنعه من الاقتراب منها ومن الخروج مع امرأة أخرى في الوقت عينه. إما أن يكونا معاً وإما ألا يكونا؛ ما من حلول وسط أو أنصاف حلول.

نزع آشرون ملابسه ليستحم. كان لا يزال يشعر بالإثارة الشديدة وتساءل متى كانت آخر مرة رفضته فيها امرأة. لم يستطع أن يتذكّر وبقي قرار تابي وتصميمها يعتملان في صدره. وراح يفكّر في أنّ هذا التحذير بأن يتجنّبها أتى في الوقت المناسب. لكنه لوى فمه وهو يشعر بالرغبة في أن يحلم بجسدها الصغير وهو يلتفّ حوله. إن كانت تعلّق هذا القدر من الأهمية على العلاقة الجنسية فهو لا يريد بالتأكيد أن يتورط.

نقّبت تابي في الملابس الجديدة التي اشتراها لها من دون أن يعلمها. واختارت ثوباً طويلاً قطني القماش، بدا لها جميلاً لكن أهم ما يميّزه هو أنه يغطي كل ما يمكن أن يجده الرجل مثيراً. إذا أبقى يديه بعيدتين عنها فستفعل مثله، وعضّت شفتها السفلى بأسنانها. لن يحدث شيء بينهما مجدداً، لا شيء. يمكنها أن تتعامل معه وأن تواجهه، يمكنها هذا. لعله ثري ووسيم جداً وذو خبرة في التعامل مع النساء لكنها لطالما كانت قادرة على حماية نفسها بشكل غريزي.

مدعّمة بهذه الفكرة، اغتسلت تابي وبدّلت ملابسها ثم خرجت لتبحث عن الجناح الذي خُصص لأمير ومربيتها.

6 ـ لا أحد يستحق الألم

أعلن آشرون وهو يسند ظهره إلى الخلف في مقعده ويحرّك كأس الشراب بيدٍ أنيقة: «حان الوقت كي تخبريني شيئاً عن نفسك».

شعرت تابي بالارتباك. فغرفة الطعام الكبيرة والطاولة المزينة بالورود والأطباق الفاخرة لأول وجبة يتشاركانها كعروسين جعلتها تشعر وكأنها سندريلا عند وصولها إلى الحفل من دون أمير يرافقها. راقبها وهي تراقبه لتعرف أيّ شوكة وأيّ سكين تستخدم ما جعلها تشعر بالاحراج وتتمنى لو لم تعترف له بجهلها.

ـ ما الذي تريد معرفته؟

رفع آشرون حاجبه قبل أن يقول: «لنكتفي بالأمور الأساسية... خلفيتك؟»

بدا مسترخياً جداً إلى حدّ أثار غيظها، وقد ارتدى سروالاً ضيقاً من الجينز الفاتح اللون وقميصاً أسود تركه مفتوحاً عند العنق. بدلاً من أن يتأنق، اختار ملابس غير رسمية لكن هذا لم يقلل من سحره بل بدا مذهلاً، بشعره المجعّد قليلاً بسبب الحمام، وذقنه العنيدة الخشنة بسبب لحيته النامية، وعينيه

www.elromancia.com

الداكنتين اللامعتين اللتين تأملتاها بحدّة واللتين لم تستطع قراءتهما. لم تستطع قراءته أبداً، ولم يكن لديها أدنى فكرة عما يفكّر فيه.

حذّرته قائلة: «خلفيتي ليست جميلة».

هزّ كتفه وكأنه يرفض اعتراضها فصرفت تابي بأسنانها وتشنّجت أعصابها قبل أن تقول: «أتخيّل أني جئت إلى هذه الحياة نتيجة خطأ. لم يكن والداي متزوجين. أخبرتني أمي ذات مرة أنهما كانا ينويان التخلي عني لتتبناني أسرة أخرى لكنهما اكتشفا أن وجود طفل يعني حصولهما على دخل إضافي ومزيد من المساعدات من دائرة المساعدات الاجتماعية. كانا يتعاطيان المخدرات».

لم يعد آشرون يبدو مسترخياً واستقام في جلسته قبل أن يسأل عابساً: «مدمنان؟»

ـ حذّرتك من أن ماضيّ ليس جميلاً. كانا يختاران المخدرات الأرخص ثمناً ويرضيان بما هو متوفر. لم يكونا والدين بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولا أظن أنهما اهتما يوماً لأمر بعضهما البعض لأنهما اعتادا أن يتشاجرا كثيراً. لم أكن سوى الطفلة التي تعيش معهما. وكنت أعرقل أمورهما... بشكل متكرر لأن للأطفال حاجات ويحتاجون لمن يلبيها لهم.

أسند آشرون ظهره إلى الكرسي، مخفياً ذهوله مما أخبرته به خلف قناع من الجمود. وكاد يقول لها، وهو الذي لم يعتد أن يبوح بأسراره، إنّ ثمة قواسم مشتركة كثيرة بينهما، أكثر مما يجمع القط والفأرة.

سألته تابي برجاء: «هل سمعت ما يكفي؟»

فردّ بصوت هادئ، وقد بدأ يُدرك العزلة المؤلمة وعدم الأمان اللذين عاشتهما وجعلاها تكتسب هذا السلوك العدائي، المبتذل: «أريد أن أسمع كافة التفاصيل».

اضطرت تابي لأن تتعلّم في سنّ مبكرة كيف تحارب من أجل البقاء وهو يفهم هذا تماماً.

واعترفت بصراحة، إنما كارهة كل كلمة تتلفظ بها، لكنها أرادته أن يعرف أنها قادرة على التعامل مع طفولتها المضطربة، المليئة بالجرائم وأنها استطاعت أن تتغلّب عليها وتمضي قدماً: «كنت الطفلة في الملابس غير المناسبة في المدرسة... هذا إذا ما ذهبت إليها، ولم يكن هذا يحصل غالباً. ثم بدأ أبي يصحبني معه لأراقب المنازل التي سيسطو عليها. تدخّل جهاز الخدمات الاجتماعية عندما ألقي القبض عليه متلبّساً ووضعت في دار رعاية لأنني كنت أتغيّب عن المدرسة كثيراً ولأنهما لم يستطيعا أن يعتنيا بي بشكل لائق».

اعترف آشرون بتجهّم: «كما حصل لي. كنت في العاشرة من عمري. كم كان عمرك أنت؟»

حدّقت تابي فيه ذاهلة وسألته: «أنت... في دار رعاية؟ لكن والديك ثريان جداً؟»

أجابها آشرون بصوت أجش: «وهذا لا يعني بالضرورة أن يتصرفا بمسؤولية أكثر من والديك. مال أمي لم يحمني صدقيني، علماً أنه حماها حتى اليوم الذي توفيت فيه بسبب جرعة مفرطة. سارع محاموها إلى إخراجها من البلاد لئلا تلاحق قضائياً بسبب إهمالها لي».

استفهمت تابي بصوت ضعيف، وهي لا تزال مصدومة لأنّ هذا الرجل الذي يبدو واثقاً للغاية، هذا الرجل الثري والمحمي عاش في دار رعاية مثلها: «وماذا عن والدك؟»

وشعرت فجأة بالذنب بسبب الأحكام المسبقة التي أطلقتها.

شرح لها آشرون بهدوء: «لم يدم زواجه من أمي سوى خمس دقائق فقط. عندما ملّت منه، أخبرته أن الطفل الذي تحمله أيّ أنا هو طفل عشيقها السابق... وصدّقها. على أيّ حال، لم يكن قادراً على محاربتها والمطالبة بحق الحضانة عليّ. قابلته لأول مرة حين كنت في العشرين من عمري. أتى إلى لندن لرؤيتي لأنّ أحد أقاربه لاحظ الشبه الكبير بيننا في صورة في الصحيفة».

سألته تابي وهي ترتشف بعض الماء: «إذن، ما الذي فعلته أمك لك؟»

ـ القليل القليل. أمّن الأوصياء على ملايينها فرقة للعناية بها وإخفاء تصرفاتها المتطرفة عن الصحافة. كانت مدمنة على المخدرات أيضاً. عندما لم أعد طفلاً لم يعد لأيّ من موظفيها سلطة عليّ وكانت أمي منتشية في غالبية الأوقات. بالتالي، رحت أفعل ما يحلو لي ما لفت انتباه السلطات في نهاية الأمر. لم يكن لديّ أقارب آخرين ليعتنوا بي.

لاحظت ظل الذكريات البائسة في عينيه فمدت تابي يدها عبر الطاولة من دون تفكير ووضعتها على أصابعه الطويلة والأنيقة التي أراحها على الغطاء ثم همست: «أنا آسفة».

رفع رأسه الأسمر المتعجرف في حركة دفاعية فيما هو يطبق

بيده على يدها، ثم التفت إلى يديهما المتشابكتين في ذهول وكأنه لا يستطيع أن يدرك كيف حصل هذا الارتباط. وسألها: «لمَ تبدين الأسف؟ أتخيّل أني نجوت بأضرار أقل منك. أعتقد أنك تعرّضت لسوء المعاملة...؟»

جمد وجهها البيضاوي وهمست بصوت يكاد لا يُسمع: «نعم».

اعترف آشرون قائلاً من بين أسنانه المطبقة: «لم أعرف العنف الجسدي إلا بعد دخولي نظام الرعاية. كنت حينذاك طفلاً بغيضاً ومزعجاً ولعلي نلت ما أستحقه».

جادلته تابي قائلة: «ما من ولد يستحق الألم».

ـ عشت سنتين من الجحيم حيث تنقّلت من منزل إلى آخر حتى توفيت أمي وأنقذني الأوصياء. ارسلت إلى مدرسة داخلية خارج البلاد لما تبقى من فترة طفولتي.

اعتصر قلب تابي وجفّ حلقها بعد أن أدركت أنه كبر مثلها لا يعرف معنى الحب والأمان اللذين يوفرهما البيت السعيد والأبوان الملتزمان. كانت مخطئة بشأنه وتملكها الخجل لأنها تصرّفت بتحيّز لمجرد أن أمه كانت وريثة إحدى الأسر اليونانية الثرية الشهيرة، فقالت بصوت مرتعش: «لا يمكن أن تنسى أبداً... كم شعرت بالضعف والضياع وعدم الحيلة».

نظر آشرون إليها وقد التمعت عيناه المذهلتان ثم قال باقتضاب بعد أن أفلت يدها فجأة: «تتركين هذا كله خلفك وتمضين قدماً».

ـ نعم، لكنه يبقى في مكان هنا في ذهنك.

وفيما هي تسحب يدها، التقت عيناها بعينيه فجعلها الدفء فيهما تشعر بأنها تحلق عالياً كالطائر وقطع انفاسها وجعل الرعشة تسري في جسمها.

أكّد لها آشرون بنعومة: «لن يحصل هذا إذا ما درّبت نفسك».

حثّته تابي التي بدأت تستشعر عودة التحفّظ البارد الذي راح يزحف إلى ملامح وجهه النحيل الوسيمة: «أخبرني عن وصية والدك».

ـ في وقت لاحق. تطرقنا لما يكفي من الأمور الشخصية هذه الليلة... أليس كذلك؟

كبحت تابي التي يقتلها الفضول عادة فتبقى متعلّقة بالموضوع كالمغنطيس، رغبتها في معرفة المزيد، مقرّة بأنه كان صريحاً للغاية معها، وهو الرجل المشهور بتكتّمه وتحفّظه، علماً أنه لم يكن مضطراً لذلك إذ لم تقرأ يوماً عن طفولته ولم تظهر أيّ من هذه القصص في وسائل الاعلام. ابتلعت أسئلتها ورفعت الشوكة لتتناول التحلية التي وضعت أمامهما على الطاولة.

اعترفت له: «أعشق حلوى المرنغ. وهذه معدّة بشكل ممتاز. مقرمشة من الخارج وطرية من الداخل».

ارتسمت ابتسامة عريضة على ثغره قبل أن يقول: «مثلك، إذن؟ محاربة من الخارج ورقيقة وحنون عندما يتعلق الأمر بطفلة امرأة أخرى؟»

شعرت تابي بدقات قلبها تتسارع عند رؤية هذه الابتسامة النادرة: «جلّ ما أريده هو أن أمنح أمبير ما لم أحصل عليه يوماً».

ـ طموح مثير للإعجاب. لم أرغب يوماً في الانجاب.

ـ لم أكن يوماً من النوع الذي يحب الاحتضان والرعاية.

لعقت الشوكة قبل أن تغمسها مجدداً في التحلية الشهية، وقد شعرت بالتململ لأن العينين الداكنتين راحتا تتبعان كل حركة من حركاتها. وتابعت تقول: «لكني كنت مع صونيا عندما ولدت أمبير واضطررت لأن أعتني بها في الأسابيع الأولى حتى أصبحت أمها قادرة على مغادرة المستشفى بعد الجلطة التي تعرّضت لها. حينذاك، كنت قد تعلّقت بالطفلة بقلبي وروحي... تعلقنا ببعضنا ببساطة ومن ثم تعرّضت صونيا لجلطة ثانية وتوفيت على الفور».

وتوقّفت عن الكلام للحظة ثم رفعت عينيها لتلتقيا بعينيه فشعرت بفمها يجفّ، لكنها استطاعت أن تقول بنبرة خفيضة: «أرجوك، توقّف عن التحديق بي».

عندئذ، قال آشرون بصوت أبح: «إذن، توقّفي عن اللعب بالشوكة».

احمرّ وجهها فجأة وأسقطت الشوكة من يدها محدثة جلبة: «هل تفكّر في أمر آخر غير رغباتك؟»

سخر منها آشرون وهو يتأملها بحدة ألهبت وجهها: «وأنت لا تفكرين في هذا أيضاً؟»

شعرت ببشرة وجهها تحترق أكثر من ذي قبل لأنه كان محقاً تماماً في كلامه، فرجولته الصارخة جذبتها إلى حلقة مفرغة. بدت طاولة الطعام كحاجز بينهما، حاجز رغبت في أن تسقطه. أرادت أشياء لم تخطر لها قط من قبل ولم ترغب فيها. ولعل الأسوأ هو أن مجرد التفكير في هذه التجربة جعل الدم يتدفق

سريعاً في عروقها. إذن، هذه هي الرغبة! وراحت تؤنب نفسها في سرها قائلة انضجي وتعاملي مع المسألة كامرأة وليس كطفلة صغيرة خائفة.

دفع آشرون كرسيه إلى الخلف ووقف بطوله الفارع ثم قال: «هيا بنا..».

ـ لا، اجلس.

قالت تابي جملتها هذه بصوت مرتجف، وهي التي أخافها أن تدرك تماماً إلى أين يريد اصطحابها وما أخافها أكثر هو أنها مستعدة لأن تجاريه إذ لم تشعر قط في حياتها بشعور قوي وبدائي كهذا التوق الذي أيقظه فيها.

نصحها آشرون الذي استدار حول المائدة ليقف خلفها ويسحب الكرسي الذي لا تزال تجلس عليه: «لا تنظري إليّ بهذه الطريقة ومن ثم تحاولي أن تملي عليّ ما ينبغي فعله يا عزيزتي. لن ينجح هذا».

اعترضت تابي بيأس: «يجب أن يتصرف أحدنا بمنطق وعقلانية».

انحنى آشرون ورفعها من الكرسي كما لو أنها طفلة وهو يسألها بصوت أجش فيما أنفاسه تداعب عنقها: «لماذا؟ نحن لا نؤذي أحداً. ونحن حرّان. يمكننا أن نفعل ما نشاء..».

ـ هذا ليس أسلوبي في الحياة.

جادلها آشرون وهو يجتاز البهو فيما لا تزال هي بين ذراعيه: «أوقعت نفسك في فخ من القواعد غير المنطقية لأنها تجعلك تشعرين بالأمان. لكني أستطيع أن أبقيك آمنة».

إنما يمكنه أن يؤذيها بسهولة تضاهي قدرته على إسكاتها وعلى إدارة رأسها وإفقادها صوابها. اعترفت تابي بذلك بحرارة فيما كانت أصابعها ترفض أن تخضع لإرادتها وترتفع لتلامس رسم فكّه القاسي.

ـ أنت لا تجعلني أشعر بالأمان.

أجابها آشرون وهو يرمق وجهها القلق بنظرة: «لكنك لا تثقين بأحد. وهذا ينطبق عليّ أنا أيضاً. إنما يمكنني أن أعدك بأني لن أكذب عليك».

ـ هذا لا يريحني لاسيما أنك تستطيع أن تقدّم النصائح لمكيافيللي حول الوصول إلى أهدافك بطرق ملتوية.

كلماتها هذه جعلت آشرون يطلق ضحكة مفاجئة فيما هو يصعد السلالم. وأدركت تابي أن وقت اتخاذ القرار جاء وانقضى.

أنزلها على السجادة ليفتح الباب الأول، ممسكاً بيدها وكأنه يخشى أن تهرب في اللحظة الأخيرة ثم جرّها خلفه إلى غرفة نومه: «وأخيراً، أنت حيث أريدك. هل تصدقين أنّ هذه الليلة هي ليلة زفافنا؟»

ـ لكنها ليست كذلك... فزواجنا ليس زواجاً حقيقياً.

استندت تابي إلى باب غرفة نومه وقد بلغ توترها أشدّه إذ لم تعد تشعر بالراحة وبالكاد استطاعت أن تتحكّم بأعصابها. وتابعت تقول: «دعنا لا نخدع أنفسنا بهذا الشأن. لم يخطط أيّ منا لجعل هذا الزواج زواجاً حقيقياً. لعلي أضع خاتم زواج لكن لا معنى لهذا».

لم يعرف آشرون امرأة يمكن أن تذكّره بهذا الواقع في هذه

www.elromancia.com

اللحظة بالذات أو يمكن أن تأتي إلى غرفة نومه من دون أن تحدد في ذهنها أهدافاً طموحة وأطماع. وخطر له أنّ تابي نسمة هواء عليلة في حياته، إلا أنّ هذه الفكرة الغريبة لم تجعله يشعر بالراحة.

اقترب آشرون منها كصيّاد يتربّص بأيل خائف وأطبق يديه الاثنتين على يديها ليشدها إلى ما بين ذراعيه. وقال بصوت أجش: «لا يمكن لأيّ شيء مثير بهذا القدر أن يكون من دون معنى».

ـ إنها مجرد هرمونات.

ـ هذا كلام امرأة لا تملك أدنى فكرة عما سيحصل.

ـ أعرف بالطبع ما سيحصل...

لكنها ما زالت لا تعرف ما الذي تفعله هنا، خارقةً القواعد التي وضعتها لحماية نفسها عبر جعله يقترب منها إلى هذا الحد، مخاطرة بأن تصاب بالضعف الذي لطالما تجنّبته. وتابعت تقول: «إنه مجرد جنس».

تنبأ آشرون: «سيكون رائعاً!»

وشدّها نحوه، ضاغطاً جسمها على جسمه ما جعلها تشعر بمدى الإثارة التي تتملّكه.

همست تابي بأنفاس متقطعة: «أحبّ ثقتك».

ـ ظننت أنها تزعجك.

وقفت تابي على رؤوس أصابعها لتشبك ذراعيها حول عنقه وتنزل رأسه ليصبح بمستواها. قالت له بضعف وقد أسرتها عيناه الداكنتان اللتان لمعتا في وجهها كنار ذهبية مستعرة: «اصمت».

رفعها آشرون عن الأرض وحملها حتى السرير حيث وضعها أرضاً لينزع لها حذاءها قبل أن يقول: «لا أريد أن أؤذيك أو أؤلمك».

ـ إذا كان هذا مؤلماً فلا مفر من ذلك.

قالت تابي هذا بواقعية، مصرّة على ألا تستسلم للخوف فباستثناء تعلّقها الشديد والاستثنائي بأمبير، لم تختبر هذا القدر من المشاعر سواء على الصعيد العاطفي أو على الصعيد الجسدي. افترضت أنها تعاني من نوع من الافتتان به لكنه سيذبل ويضمحل مع مرور الزمن. وسألته بفظاظة: «هل هذا لمرة واحدة فقط؟»

رفع آشرون بصره إليها، والتسلية مرتسمة على فمه المثير والمغوي ثم أجاب: «لا يمكن أن تخططي مسبقاً لكل شيء يا تابي».

فقالت له باقتضاب: «هذا ما أفعله. أحتاج دوماً لأن أعرف موقعي وما أفعله».

فتح سحاب ثوبها وأخرجها من طيّاته بسهولة ودقة جعلاها ترتجف لأنها اكتشفت أنها لا تحتمل التفكير فيه مع نساء أخريات شحذن خبراته.

سألها بعد أن شعر على الفور بعودة التوتر إليها: «ما الأمر؟»

لعلها في داخلها امرأة غيورة ومتملكة جداً. هذا ما خطر لها فأربكتها أفكارها وتساءلت كيف يمكن لها أن تكتشف حقيقتها في حين أنها لم تعش أيّ علاقة عميقة وحميمة مع رجل من قبل. ها هي تجلس هنا، مرتجفة على الرغم من أن الغرفة دافئة.

www.elromancia.com

أخذت نفساً عميقاً فيما استمر هو في تأمّل وجهها المضطرب بعبوس وردّت: «لا شيء».

ثم تابعت تقول وكأنه أعاد طرح السؤال: «حسن! كنت أفكر في أنك بارع في نزع ملابس المرأة!»

انفجر آشرون ضاحكاً، مستمتعاً بصراحتها، مقدّراً أنها يمكن أن تقول بكل بساطة كل ما يخطر لها من دون أن تفكر في النتائج بدلاً من أن تقول ما قد يرغب في سماعه. وهذه الميزة نادرة أيضاً في عالمه. ومازحها قائلاً: «شكراً لك... على ما أظن».

واعترضت تابي: «وما زلت ترتدي الكثير من الملابس».

وكافحت كي لا تفكّر أنها نحيلة جداً في الأماكن التي يُقال إنها تهمّ الرجل. على أيّ حال، كان يرغب فيها على الرغم من عيوبها. هذه الفكرة رفعت معنوياتها لاسيما بعد أن رأت عينيه الداكنتين تتأملانها برغبة وتقدير لم يحاول إخفاءهما.

جفّ حلقها وهي تنظر إلى رجولته الآسرة. وقف هناك، بذقنه الداكنة بسبب لحيته النامية، وبعينيه اللامعتين وشعره المسرّح فبدا رائعاً ومذهلاً كنمر في بلورة: لامع، قويّ وجميل.

أشاحت بوجهها ومدت يدها لترفع الغطاء وتنسلّ تحته في محاولة منها كي تبدو وكأنها تسيطر على أعصابها.

ـ أنا أرغب فيك بشدة...

قال هذا بصوت أجش.

ـ كما أريد أن أراك، أن أتأملك...

قالت بضعف وهي تتراجع إلى الخلف لتختفي بين الوسائد: «ليس هناك الكثير لتراه!»

أطبق آشرون يده على أحد كاحليها النحيلين وشدّها بنعومة. وبحركة واحدة، أصبح إلى جانبها على السرير.

ـ أنا لست جميلة.

قاطعها قائلاً: «لا أريد أن أسمع مثل هذا الكلام!»

وغرقت أصابعه الطويلة في بحر شعرها الأشقر ليبقيها ثابتة وهو يطبق بفمه على شفتيها. إنه يجيد التقبيل، آه، نعم، إنه يجيد التقبيل.

همس آشرون وهو يتأملها بعينين بلون الكراميل الذائب تظللهما رموش سوداء كثيفة: «أنت رائعة!»

ثم أنزل يده على كتفيها وراح يقبلها بشوق. تعالت من حنجرة تابي آهة، وما لم تستطع أن تفهمه هو أنها انتقلت في غضون لحظات من حالة عدم الثقة بما تفعله إلى حالة الشوق الشديد إلى ما يقدّمه لها.

قال لها بصوت أبح: «إذا أردتني أن أتوقّف في أيّ لحظة، فيكفي أن تقولي لا».

فهمست ويداها ترسمان خطوط صدره المفتول العضلات: «ألن يكون هذا صعباً جداً عليك؟»

ـ أنا لست مراهقاً. ويمكنني أن أسيطر على نفسي.

لكنه أضاف فيما هي تمرر يدها بنعومة على طول جسمه مثيرة فيه رد فعل قوي: «طالما أنك لا تكثرين من لمسي بهذه الطريقة».

تملكها شعور بالرضا حين اكتشفت أنها تؤثر فيه بقدر ما يؤثر فيها، وفجأة، أحسّت بألم حاد فصرخت بذهول ما جعله يجمد مكانه.

www.elromancia.com

سألها آشرون على عجل: «هل تريدينني أن أتوقف؟»

ـ لا داعي لذلك.

كما أنّ الألم سرعان ما اختفى فيما استمر ألم الشوق الذي أثاره فيها. مدت ذراعيها لتحتضنه وتدنيه منها أكثر وراحت أصابعها تداعب ظهره البرونزي العريض.

خبرته أثارت دفقاً من المشاعر والأحاسيس التي صدمتها لحدتها وجعلتها تشعر وكأن آلاف الألعاب النارية تشتعل في داخلها. واجتاحتها عاصفة من الشغف مع قلب بدا وكأنه يقرع كالطبول في أذنيها.

استلقت تابي المشوّشة بين أغطية السرير، تراقب آشرون الذي قطع الغرفة بخطى واسعة ليلتقط شيئاً ما قبل أن يتوجّه إلى الحمام الذي سرعان ما وصلها منه صوت المياه المتدفقة. ما إن انتهى حتى ابتعد عنها ولم يبذل أيّ جهد كي يلمسها مجدداً. وآلمها أن تدرك كم كانت تود لو يحضنها بطريقة حميمة وعاطفية، طريقة تعترف بالحميمية التي جمعتهما كما أزعجها أن تشعر بهذا القدر من الألم من جراء انسحابه. على أيّ حال، لم تكن تتطلع إلى الحب أو الالتزام أو تتوقعهما، أليس كذلك؟ لا، فهي ليست بهذه السذاجة.

إنها المرة الأولى في حياتها التي تشعر فيها برغبة جامحة في أن تختبر هذا البعد الإضافي مع رجل، إلا أنّ مغادرته السريعة للسرير خيّبت أملها وجعلتها تشعر بأنها تعرّضت للاستغلال والنبذ. وقالت لنفسها إنّ ما تفكّر فيه سخيف لأنه لم يستغلها أبداً. في الواقع، كانت مستعدة نوعاً ما لأن تعترف بأنها هي من

استغله حين قدّرت أنه يتمتع بالخبرات والمواهب القادرة على جعل تجربتها الأولى ممتعة. لكن هذا لا يعني أن تسامحه بعد أن خيّب أملها لأنه لم يتصرّف بشكل حساس.

نزلت تابي من السرير وارتدت ملابسها على عجل ثم سرّحت شعرها بأصابعها وأبعدته عن وجهها قبل أن تقترب من باب الحمام.

كان آشرون يستعد للخروج من تحت الماء وقد لفّ منشفة على وركيه.

قالت تابي بسخرية وهي تكبح ذبذبات حضوره الطاغي القوية والمسيطرة: «تحصل على ممتاز في ممارسة الحب وعلى صفر في المتابعة».

نعم، إن آشرون ديميتراكوس رائع ومذهل لكن هذا ليس مهماً في نظرها مقارنة مع الطريقة التي عاملها بها.

7 ـ في عالم الواقع

هذا الهجوم المفاجئ جعل آشرون يتصلّب ويميل رأسه المتعجرف إلى الخلف فيما التمعت عيناه بعدم فهم غاضب حتى وإن لفت انتباهه كم تبدو تابي جميلة وقد خرجت لتوها من سريره، بشعرها الأشقر الطويل المتموج والمتشعث عند كتفيها، ووجهها المحمر وفمها الزهري المثير. وعلى الرغم من أنه كافح ليصفي ذهنه ويفكّر بوضوح إلا أن ردّ فعله على هذا المشهد وهذه الأفكار جاء فورياً وجسدياً بامتياز.

ـ ما الذي تتحدثين عنه بحق الجحيم؟

أجابت تابي بنبرة إدانة: «ما أن أرضيت رغبتك حتى غادرت السرير وتركتني وحدي كما لو أني أعاني من مرض معدٍ. وهذه تجربة لن أرغب في تكرارها... جعلتني أشعر وكأني عاهرة!»

قال آشرون بسخرية: «هذا هراء درامي!»

ـ لا، لا أظنه كذلك. لم تتكبد عناء أخذي بين ذراعيك لثلاثين ثانية حتى.

وتابعت تقول بعناد: «حسن، أعتقد أنه من المؤسف أن تكون الطريقة الوحيدة في لمس الآخر التي تُشعرك بالراحة هي الجنس».

أطلق آشرون شتيمة باللغة اليونانية قبل أن يرد: «أنت لا تعرفيني بقدر ما تظنين. لكني حذّرتك من أني لا أجيد العناق والاحتضان».

سألته تابي بعينين بنفسجيتين جريئتين طغتا على وجهها الأحمر الغاضب: «أتعتقد أنّ هذا العذر مقبول؟ لا، ليس مقبولاً. هذا يُظهر أنك أناني ولا تفكّر في الغير وأنا أستحق أفضل من هذا».

ردّ آشرون من بين أسنانه المطبقة: «أنا لا أمثل ولا أدّعي العاطفة تجاه شخص ما لمجرد أنّ هذا هو السلوك المقبول. كما أني لم أعتد هذا. سأشعر بأني أحمق وغير مرتاح!»

اعترفت تابي بأن هذا الكلام هو أكثر كلام قاله لها صدقاً وصحة، وصدمتها الصراحة في ردّه الغاضب. إنّ اعترافه بالجهل وعدم الراحة اعتصرا قلبها كقبضة مشدودة. ومن دون أن تفكر في ما تفعله، قطعت المسافة التي تفصلهما، واجتاحت عن عمد مساحته الشخصية لتضع يديها حول عنقه وتنظر في عينيه قبل أن تدعوه بهدوء: «تدرّب عليّ. أنا تمرّنت مع أمبير. لم أكن من الأشخاص الذين يحبون اللمس والمداعبة قبل أن أحملها للمرة الأولى».

ابتلع آشرون ريقه بصعوبة، إذ علم أنها تقاربه ببراءة وأنها لا تدرك أنّ قربها منه أثاره أكثر وأكثر. لم يشأ أن يحضنها وكأنها صديقته. لكنه أدرك أنّ هذا الخيار ليس متاحاً في هذه اللحظة فأطبق ذراعيه حولها ببطء ورفعها إلى الناحية الأخرى من الحمام الكبير.

ـ ما كان عليك أن ترتدي ملابسك.

اقرّت تابي بصراحة: «افترضت أننا انتهينا».

انحنى آشرون ورفع طرف ثوبها لينزعه من فوق رأسها. جمدت تابي مكانها للحظات بعد أن فاجأها تصرّفه، وشبكت ذراعيها على صدرها العاري.

ـ ما الذي تفعله؟

رفعها آشرون مجدداً عن الأرض وهي تكمل: «جئت إلى هنا وحضّرت لي حوض الاستحمام؟»

واحمر وجهها وغرقت أكثر في المياه الدافئة، مريحة رأسها على الحافة.

سمعت فرقعة بسيطة حين فتح آشرون زجاجة شراب وسكب السائل الذهبي الفوّار في كأسين.

استفهمت بصوت ضعيف: «من أين أتت هذه؟ والشموع؟»

ردّ آشرون: «شهر عسل وليلة زفاف؟ أعدّ العاملون لديّ العدّة الكاملة في غرفة النوم... من المؤسف ألا نستفيد منها».

وانحنى على طرف الحوض ليقدّم لها الكأس فقالت بتصلّب: «لا شكراً. فأنا لا أشرب».

دفع آشرون إليها قائلاً: «كأس واحدة لن تؤذيك إلا إذا كنت تعانين من مشكلة مع الكحول».

توترت أصابعها حول الكأس وهي تجيبه: «لا، ليس لديّ مشكلة خلافاً لوالديّ».

ـ هذا لا يعني أنّ عليك تجنّب شرب الكحول كلياً.

أقرّت تابي وهي ترتشف القليل: «أفضل أن أبقى في الأمان».

ـ أنا أحب المخاطرة وأستمتع بالإثارة.

ـ أعتقد أني كنت لأكتشف هذا بنفسي.

زمّ آشرون فمه وأخفى عينيه خلف رموشه السوداء وقال:

«لم أبقَ في السرير معك لأني لم أشأ أن تتوقّعي أيّ شيء غير واقعي من علاقتنا».

استوعبت على الفور ما يعنيه إنما تمنّت لو لم تفعل إذ شعرت بألم صغير في مكان ما في أعماقها. وقالت له تابي بكبرياء: «لعلي أفتقر إلى الخبرة لكني لست غبية».

اعترف آشرون بعبوس: «وأنا لا أجيد استخدام الكلام إذا ما لاحظت هذا. تابي، أنا لا أتبادل مثل هذه الأحاديث مع النساء. ولم ألتقِ يوماً امرأة مثلك».

عندئذ، سألته تابي بصوت ضعيف: «هل ما زلنا نتحدّث هنا عن واقع أني عذراء؟»

ـ أنا معتاد على نساء يعرفن حقائق الأمور.

أخذت تابي نفساً عميقاً، ورمقته بنظرة فيما انقبض صدرها وهي تجيب: «أنا أعرفها أيضاً. أنا شخص عملي جداً».

تأمل آشرون وجهها الرفيع وقبضة يديها الصغيرتين على ركبتيها المرفوعتين وقرأ الموقف الدفاعي الشجاع الذي تستخدمه كواجهة لتحمي نفسها وانقبضت معدته حين خطرت له إمكانية أن يؤذيها. لم يسبق له أن اختبر مثل هذا الشعور مع امرأة أخرى، ولم يعجبه الأمر. لعلها ضعيفة لكنها اختارت بملء إرادتها تماماً كما فعل هو، وهما شخصان راشدان كما ذكّر نفسه وهو يستقيم في وقفته.

وفي هذه اللحظة بالذات، استقامت تابي في جلستها بشكل مفاجئ ووضعت الكأس من يدها قائلة: «يا إلهي! ما الذي أفعله هنا؟ لا يمكنني البقاء! إن جهاز مراقبة الطفلة في غرفتي».

ـ لا تقلقي. ستهتم ماليندا بأمبير ومتطلباتها. استرخي.

ـ لا يمكننا أن نتوقّع من ماليندا أن تعمل على مدى النهار والليل. قلت لها إني سأعتني بأمبير ليلاً.

وركعت على ركبتيها وقد تغلّب قلقها على أمبير على خجلها وشرعت بالوقوف مضيفة: «أعطني منشفة..».

أمرها آشرون بعد أن أطبقت يده على كتفها ليعيدها إلى المياه الدافئة: «لا، إبقي حيث أنت. سأحضر الجهاز وأطمئن على أمبير أيضاً».

اتسعت عيناها البنفسجيتان دهشة: «أنت؟»

عاد آشرون إلى غرفة نومه ليرتدي سروالاً من الجينز ثم أعاد المنشفة إلى الحمام وهو يجيب: «لمَ لا؟ علّمتني من قبل كيف أتعامل معها إن كانت تبكي».

فعلّقت تابي: «لم أتوقّع منك أن تساعد. فهذا عملي وليس عملك في نهاية الأمر».

ـ اتفاقنا ليس محدداً بهذا القدر. إنه مشروع مشترك فأنا أحتاج زوجة وأنت تحتاجين أباً لتتبني الطفلة.

استندت تابي إلى الخلف في الماء الدافئ فيما هي لا تزال تشعر بأنها مشوشة بسبب سلوك آشرون. لقد أساءت فهمه عندما أدانته لأنه تخلى عنها على الفور. إنما، هل العلاقة الجنسية جعلته في مزاج حسن؟ هل يمكن للرجل أن يكون بدائياً إلى هذا الحدّ؟ لقد فكّر في حاجاتها، فحضّر لها حوض الاستحمام قبل أن يستحم هو. وها قد خرج ليطمئن على أمبير كما لو أن الطفلة أكثر من متاع إضافي كما افترضت أنه ينظر إليها. إنما، وفي الوقت عينه، شعر بالحاجة لأن يوصل لها تلك الرسالة التي مفادها أنّ ما يجمعهما هو الجنس فقط. كما لو أنها لا تعلم هذا!

آشرون رجل يحب النساء ويسحرهن، شرط أن يبقى بعيداً عن التورّط والالتزام. ولمَ لا يكون كذلك؟ إنه رجل شاب، وسيم، وثري، وهو مطلوب جداً في عالم النساء ولا حاجة له لأن يستقرّ مع واحدة فقط. كما أنّ آشرون يعاني من بعض المشاكل، لكن من ليس لديه مشاكل بعد الطفولة التي عاشاها؟ وكبحت تابي رعشة تملكتها بعد أن عاودتها الذكريات. لعله تعلّم تماماً كما تعلّمت هي أنّ إبقاء الآخرين على مسافة يقيك من الأذى.

إلا أنّ تابي انتقلت من مرحلة حماية النفس عندما فتحت قلبها للصداقة أولاً مع صونيا ومن ثم لأمبير وفهمت في نهاية الأمر أن الحياة تصبح أكثر دفئاً وحلاوة إذ ما امتلأت حباً ووفاءً. تعلم جيداً أنها فقدت عملها وأول بيت لها لأنها اختارت أن تعتني شخصياً بصونيا وأمبير لكنها لا تشعر بالندم بسبب خياراتها.

تذكّرت أن أمبير هي مسؤوليتها الوحيدة الآن فتساءلت عما تفعله مستلقية في حوض الاستحمام الفخم، في حين أن الطفلة التي تحب قد تكون في حاجة إليها. وسرعان ما وقفت وخرجت من الحوض ثم لفّت نفسها بمنشفة كبيرة وجففت جسمها سريعاً قبل أن تعود وترتدي ثوبها مجدداً. حان الوقت كي تعود إلى عالم الواقع، والتكاسل في حمام آشرون بعيد كل البعد عن «عالم الواقع».

تأوه آشرون حين سمع الطفلة تبكي عبر الجهاز الصغير البلاستيكي الموضوع على طاولة الزينة. ولاحظ فيما هو يتأمله أنّ ثمة كلمات مكتوبة على المرآة.

www.liilas.com

كتب أحدهم بقلم أحمر اللون: «عودي إلى منزلك أيتها العاهرة!»

لم يتردد آشرون المذهول الذي لا تزال أعصابه متوترة بسبب بكاء الطفلة سوى لحظة واحدة قبل أن يتوجه بخطى واسعة نحو الحمام حيث أخذ منشفة وبللها بالماء ثم عاد إلى الغرفة ليمسح هذه الكلمات قبل أن تراها تابي. توقّف للحظات وراح يفكّر في واقع أنّ ما من أحد سوى العاملين في المنزل يمكنه الوصول إلى غرف النوم، ويبدو أنّ أحدهم غير جدير بالثقة. إنما، لمَ سيترك أحدهم مثل هذه الرسالة لتابي؟ إنها زوجته، زوجته الشرعية ويحق لها أنّ تتواجد في هذا المنزل. من يمكن أن يستهدف تابي؟ والتوى فمه الوسيم: كازما هي المشتبه به الأول. استعر الغضب داخل صدر آشرون فيما هو يُخرج هاتفه الخلوي ليتصل برئيس جهاز الأمن لديه ويطلعه على ما حدث. ولم تكن أعصابه قد هدأت بعد حين اتجه نحو غرفة الطفلة ليعتني بها. وقال لنفسه إنها مجرد طفلة ويمكنه أن يتعامل معها من دون أن يحتاج لأيّ مساعدة.

وجد أمبير جالسة في السرير، تصرخ بأعلى صوتها وقد احمرّ وجهها ليصبح كنار ملتهبة. وقف آشرون على بُعد خطوات من السرير قائلاً للطفلة في ما أمل أن تكون نبرة مهدّئة: «لا بأس! لا بأس!»

رفعت أمبير ذراعيها نحوه وكأنها تتوقّع منه أن يحملها.

فسأل آشرون بتوتر: «هل عليّ أن أقترب إلى هذا الحدّ؟ أنا هنا، وأنت بأمان. أؤكد لك أنّ ما من سوء قد يصيبك».

حدّقت أمبير فيه بعينين بنيتين واسعتين والدموع تنهمر على

وجهها المتغضن ثم رفعت ذراعيها مجدداً في طلب صريح وواضح.

أطلق آشرون زفيراً بطيئاً ودنا منها أكثر لكنه حذّرها بفظاظة: «أنا لا أجيد مسألة الاحتضان والملاطفة هذه».

وانحنى ليرفع الطفلة التي أذهلته حين لفّت ذراعيها على عنقه وتعلّقت به بقوة كقرد يتعلق بغصن شجرة.

تناهت إليه تنهيدة تعب، فوضع كف يده الكبير على ظهر الطفلة وراح يحرّك أنامله في حركة دائرية تهدف إلى تسكين مخاوفها. وعاودته ذكرى مبهمة لوجه امرأة ما جعله يجمد مكانه للحظات. لم يتذكّر كم كان عمره حينذاك لكنه كان صغيراً جداً بالتأكيد حين جاءت تلك المرأة إلى غرفته في الليل لتطمئنه، فحملته بين ذراعيها وهدهدته وغنّت له حتى توقّف عن البكاء. هل هي أولمبيا، جدّة أمبير والمرأة التي تولّت سابقاً رعاية أمه؟ من يمكن أن يكون سواها؟ وحدها أولمبيا أبدت اهتماماً لأمره ولم تعامله كمصدر إزعاج وشيء بغيض يشكّل جزءاً من عمل ذي أجر جيد.

ـ أنا أدين لك.

هذا ما قاله للطفلة وهو يحاول ترتيب وضعيتها بين ذراعيه ثم راح يهدهدها كابحاً ذكريات الماضي النادرة والانزعاج العميق الذي يترافق معها دوماً. وأردف قائلاً: «لكني لا أستطيع أن أغني حتى لك».

أذهلته أمبير حين خصّته بابتسامة عريضة أظهرت سنيّها الأماميين فبادلها الابتسام قبل أن يُدرك حتى ما يفعله.

وهكذا رأتهما تابي حين توقّفت عند الباب: نزلت خصلة

شعر سوداء على حاجبه، وتسمّرت عيناه الداكنتان على أمبير فيما افترّ ثغره المغري عن أعرض وأجمل ابتسامة. بدا وسيماً بشكل مفرط وانساني بشكل غير طبيعي وهو يقف هناك حافي القدمين وعاري الصدر وقد اكتفى بارتداء سروال من الجينز. علقت أنفاسها في حلقها وجفّ فمها لأنّ تلك الابتسامة كانت قاتلة.

همست بصوت خافت: «دعني أحملها عنك. سأعيدها إلى سريرها».

أعلن آشرون مفتخراً بما أنجزه وهو يضع الطفلة بين ذراعيها: «كنا نتدبّر أمورنا جيداً. يبدو أنها ليست صعبة الإرضاء».

اعترفت تابي وهي تضع الطفلة على الفراش لتغيّر لها حفاضها قبل أن تعيدها بنعومة إلى سريرها: «حسن، أنت مخطئ في هذا. يمكنها أن تكون متطلبة للغاية كما يمكنها أن تكون صعبة الإرضاء مع بعض الأشخاص».

وأضافت موجّهة كلامها للطفلة: «إنه وقت النوم يا عزيزتي. ونحن لا نلعب في موعد النوم».

قال آشرون حين انضمت إليه في الممر: «سأرتّب الأمور وأجد من يهتم بها ليلاً».

ـ لا حاجة لذلك.

ـ يمكنك دوماً أن تتفقديها إذا أردت إنما لا يجوز أن تتركي سريرك كل ليلة لتهتمي بها.

ذكّرته تابي بلطف: «ما زلت المرأة التي تريد أن تصبح أمها. من واجبي أن أبقى حاضرة وألبي حاجاتها. لا أريد أن يعتني أشخاص آخرون بها طيلة الوقت».

ـ تعقّلي.

وتوقّف آشرون أمام البابين اللذين يؤديان إلى غرفتيهما المنفصلتين قبل أن يضيف: «هل ستنضمين إليّ لما تبقى من هذه الليلة؟»

السهولة التي طرح بها سؤاله هذا أربكت تابي لأنها افترضت أنه سيفقد اهتمامه بها بعد أن يرضي فضوله. مقاربته هذه أفرحتها وأزعجتها في آنٍ واحد فهمست بتردد فيما يدها مطبقة على قبضة باب غرفة نومها: «إذا انضممت إليك فلا بد من وجود قواعد».

ردد آشرون متسائلاً: «قواعد؟ هل هذه مزحة منك؟»

عارضته تابي بنعومة: «لا، فأنا نادراً ما أمزح في المسائل الجادة. إذا أردت أن تسمع القواعد فاسألني».

أجاب آشرون من بين أسنانه المطبقة: «أنا لا أخضع لقواعد. لعلك لم تنتبهي لكني لست طفلاً أساء التصرّف!»

وأقفلت تابي الباب بهدوء في وجهه.

كانت قد ارتدت أحد أثواب النوم الجديدة قبل أن يُفتح الباب مجدداً. فاندسّت على عجل تحت الغطاء والتفتت إليه متسائلة.

سألها آشرون بحدة وهو يضع يديه على وركيه في وضعية أبرزت صدره المفتول العضلات: «ما هي هذه القواعد اللعينة؟»

ـ أولاً، أيّ علاقة بيننا يجب أن تكون حصرية وإذا أردت أن تقيم علاقات أخرى فعليك أن تخبرني لننهي علاقتنا بشكل لائق. ما من أسرار، وما من لعب من خلف ظهري.

راقبها آشرون بعينين واسعتين عكستا عدم تصديقه لما يسمعه وقال: «لا أصدّق ما أسمعه!»

تابعت تابي كلامها وكأن الأمر لا يعنيها: «ثانياً، عليك أن تعاملني باحترام طيلة الوقت. إذا أزعجتك فعلينا أن نناقش الأمر إنما ليس في حضور أمبير».

أخذ آشرون نفساً عميقاً وراح يتأملها بعينين مضطربتين: «أنت مجنونة... وقد تزوّجتك!»

أردفت تابي بثبات على الرغم من أنّ وجهها أصبح احمر اللون ومن أن قبضتيها اشتدتا إلى جانبيها: «ثالثاً، أنا لست لعبة تختارها ثم تضعها جانباً حينما يحلو لك. أنا لست هنا لتسليتك حين تشعر بالملل. إذا أحسنت معاملتي فسأعاملك بشكل جيد أنا أيضاً، لكن إذا لم تفعل... حسن، فستتغيّر الرهانات كلها».

همس آشرون بغيظ: «اذهبي إلى الجحيم واحملي قواعدك الثمينة معك».

لم تتنفس تابي مجدداً حتى صفق الباب خلفه. عندئذ، استندت إلى الخلف في سريرها، وهي تشعر وكأن جسمها حجر ثقيل رُمي من علو، وكأن معدتها مركب تتقاذفه الأمواج في ليلة عاصفة. حسن، إنها طريقة للتخلّص من آشرون من دون أن تفقد ماء وجهها، طريقة لتضمن أن ينظر إليها كندّ له. ما الذي كان بإمكانها أن تقوله خلاف ذلك؟ فالتورط في علاقة لا ضوابط فيها ليس أسلوبها في العيش ورجل متقلّب مثله لن يكون سوى وصفة مؤكدة للوصول إلى كارثة. إنما، بعد أن عرف الرجل المتحرر، ساحر النساء، أنها ستكون متطلبة جداً فسيحرص على أن يتجنبها من الآن وصاعداً.

وأيّ نوع من الحمقى هي كي تشعر بالحزن لهذه الفكرة؟ ستتغلّب على أفكارها السخيفة عنه... نعم، ستفعل لأنّ ما من

خيار آخر أمامها. ما تريده هي يختلف عما يريده هو، ومن الأفضل بالتالي أن تنهي العلاقة قبل أن تسوء الأمور وتصبح مؤلمة ومهينة. هذا أفضل بكثير...

في منتصف الليل، ترك آشرون سريره واتجه إلى الحمام ليأخذ حماماً بارداً. لم تهدأ إثارته كما أنه ما زال يشعر بغضب شديد. قواعد، قواعد لعينة. هل عاد فجأة إلى مقاعد الدراسة؟ مع من تظن أنها تتعامل؟ ولعل السؤال الأهم هو ما الذي تظن أنها تتعامل معه؟ هل افترضت أنها دخلت ذاك الفراش وبالتالي اشتركت في اللعبة كلها؟ يكفي أن تعطي المرأة مفهوماً بسيطاً كالجنس لتعقّده!

إلا أنه كان غاضباً من نفسه بقدر غضبه منها. خطر له أنّ براءتها ستفضي إلى مشاكل وعلم أنه كان عليه أن يصغي إلى هواجسه وشكوكه. إنما، وكما لن يتوقّف تدفّق الدم في جسمه المتوتر والمتألم، بدا أنّ رغبته فيها لن تضعف. أراد أن يعرف كيف يمكن أن تكون واكتشف ذلك ولعل الأسوأ هو أنها مذهلة. وما إن توقّف حتى رغب في معاودة الكرة... مجدداً... ومجدداً. وصرف بأسنانه البيضاء بقوة.

قالت تابي في اليوم التالي فيما أمبير تلوّح بملعقتها في الهواء متجاوبة بفرح مع كلام تابي الدافئ والمحبّ: «إذن، من هي أجمل طفلة في العالم؟»

كبح آشرون تنهيدة وجلس في كرسي إلى طاولة الطعام الموضوعة على الشرفة. كلام أطفال عند الفطور، هذا أمر آخر

لا يروق له أدخلته إلى حياته. وخطر له بنفاد صبر أنّ ما يحبه في الصباح هو ممارسة الجنس والصمت وبما أنه لم يحصل على الاثنين فلا يتوقّع منه أحد أن يكون مزاجه جيداً. ولم تساعده رؤية تابي في قميص أحمر مخطط وسروال قصير يكشف الكثير من بشرتها البيضاء، حتى أن رؤية ذاك الوشم على ذراعها فيما هي تجلس في كرسيها فشلت في إطفاء نبض الرغبة المتسارع.

حاولت تابي أن تتأمل آشرون بشكل غير مباشر، فراحت ترمقه بنظرات من طرف عينها بين الحين والآخر لتعود وتشيح بنظرها سريعاً. بدا وسيماً جداً؛ إنها لخطيئة أن يكون الرجل على هذا القدر من الوسامة التي تجعل عدم النظر إليه بمثابة تحدٍ. لم تستطع سوى أن تقدّر هذا الجسم الطويل، الممشوق والقوي، الذي بدا كتحفة فنية منحوتة بيدين ماهرتين. التمعت أشعة الشمس على خصلات شعره المجعّدة فودّت لو تمرر أصابعها بينها ولو تلامس ذقنه المصقول حتى توقظ تلك الابتسامة الرائعة مجدداً. هذه الأفكار الخائنة جعلتها تضطرب فأشاحت برأسها بعيداً في محاولة منها لمقاومة الإغراء.

مدّت أمبير ذراعيها باتجاه آشرون وانحنت نحوه، فقال لها: «ليس الآن يا عزيزتي. تناولي فطورك أولاً».

هذا اعتراف بوجود أمبير إنما ليس بوجودها. لم تكن في الليلة الماضية سوى جسد إنما يبدو أنها غير مرئية هذا الصباح. قالت بتهذيب: «صباح الخير يا آشرون».

همس بصوت ناعم كالحرير وقد لاحظ لمعان عينيها البنفسجيتين الرائعتين حين رفعت نظرها إليه: «صباح الخير. هل نمت جيداً؟»

ردّت تابي كاذبة: «نعم، نمت نوماً عميقاً».

وتساءلت لِمَ أيقظ فيها هذه الناحية التي ما ظنّت يوماً أنها تملكها.

سكبت خادمة القهوة فداعبت الرائحة الزكية أنفها ما ذكرها لسبب ما بصونيا التي أضحت حساسة على بعض الروائح حين حملت بأمبير. هذه الفكرة أثارت الذعر في نفسها فسألت بفظاظة: «الليلة الماضية..».

وصمتت تنتظر انسحاب الخادمة وقد احمر وجهها وتسارعت دقات قلبها: «هل استعملت واقياً؟»

جاء رد فعله لامبالياً على هذا السؤال الحميم، وقال والسخرية تتراقص في عينيه: «أتظنين أني غبي بما يكفي لأهمل مثل هذا الأمر الوقائي؟»

فاعترفت تابي بصراحة: «أظن أن الإنسان في حرارة اللحظة، وإذا رغب في شيء ما فقد يخاطر».

رفع آشرون حاجبه وأشار برأسه ناحية أمبير معلناً: «ليس إذا أدى ذلك إلى اكتساب واحد من هؤلاء. الشغف لا يتحكّم بي».

ـ أو بي أنا.

وطال الصمت المتوتر حول المائدة حتى دخلت المربية ورفعت أمبير من كرسيها لتعيدها إلى غرفتها حيث من المفترض أن تأخذ حمامها.

أخذ آشرون نفساً عميقاً من الهواء الذي أضفت أشعة الشمس الدفء عليه، مدركاً أنّ عليه أن يتحدى مفاهيم تابي الخاطئة من أجل السلام والتفاهم بينهما. سألها وهو يهزّ كتفه في حركة عدم اكتراث: «قواعدك؟ قواعدي؟ لم أتورط يوماً مع نساء دبقات وفقيرات».

نزل هذا التصريح على تابي من العدم كحجر يُرمى على زجاج وشعرت برأسها يدور وبعينيها تتسعان: «هل تنعتني بالدبقة والفقيرة؟»

ـ ما رأيك؟

هبّت تابي من كرسيها التي وقعت وارتطمت بالأرض محدثة ضجة فيما وضعت يديها على الطاولة لتستند إليها. تملكها غضب شديد فصاحت به: «كيف تجرؤ؟ لم أكن يوماً دبقة ولم أحتج يوماً لرجل!»

ـ ورغم ذلك، كانت خطوتك الأولى هي محاولة تقييدي بقواعد. تريدين ضمانات ووعود بشأن مستقبل لا نعرفه كلانا. أنا لا أملك كرة بلورية.

بادرته تابي قائلة بشراسة: «لا أحب طريقة تصرفك!»

ـ لكنك لا تعرفين شيئاً عني. لم أهتم لسنوات سوى بعملي ولا أترك امرأة من دون أن أعلمها حين أفقد اهتمامي بها.

ووقف ليشرف عليها ويتأملها بعينين قاسيتين ولامعتين قبل أن يضيف: «لا يحق لك أن تتهميني بالكذب وبعدم الاخلاص انطلاقاً من افتراضات لديك بشأن طباعي».

صاحت به تابي بنبرة اتهام رافضة أن تعترف بأنه محق نوعاً ما: «يا لك من متكلم... ما كنت لأثق بكلمة واحدة تخرج من بين شفتيك!»

أجابها آشرون بصوت كالفحيح: «والآن، من ذا الذي يطلق أحكاماً مسبقة؟ ما الذي يزعجك أكثر فيّ؟ ثقافتي أم ثروتي أم أسلوب حياتي؟»

الشعور الغامر بالغيظ جعل تابي تجمد مكانها وقد احمرّ

وجهها لكن فمها الزهري الناعم، الممتلئ والمثير هو ما لفت انتباه آشرون.

ـ ما يزعجني فيك هو أنك تعرف أفضل من غيرك عن كل شيء!

ـ أعلم أننا نقيضان وأنّ هذا الترتيب بيننا سينجح بشكل أفضل لو التزمنا بالاتفاق الأولي.

انقلبت أحشاء تابي كما لو أنها نزلت في مصعد سريع جداً، واشتدت كل عضلة من عضلات جسمها إلى حدّ آلمها وقالت: «كان عليك أن تبقي يديك بعيدتين عني!»

رمقها آشرون بنظرة تقويم من عينيه اللامعتين ولوى فمه بابتسامة ساخرة قبل أن يقول: «من المؤسف أني لم أستطع..».

بعد هذا الاعتراف الأخير، عاد آشرون إلى جو الفيللا المبرّد بفضل أجهزة التكييف وتركها وحدها لتتأمل المنظر الرائع.

امتدت تلال توسكانيا أمامها في خليط رائع ملوّن من الغابات وبساتين الزيتون وكروم العنب. أخذت نفساً عميقاً مرتجفاً فملأ الهواء الحار رئتيها. إنه يريد أن يعودا إلى شروط ذاك الاتفاق الأفلاطوني الذي ظنت أنها تريده. إذن، لِمَ تشعر وكأنها خسرت المعركة على الرغم من أنها حققت هدفها؟ في الواقع، شعرت تابي بالألم والهجر بدلاً من أن تشعر بالراحة وبالأمان.

www.elromancia.com

8 - زوجي! زوجتي!

دحرجت تابي الكرة الطريّة باتجاه أمبير التي جلست في ظلّ شجرة سنديان قديمة وارفة. تدحرجت أمبير إلى طرف البساط وفي عينيها اللامعتين نظرة مرح لرؤية مساحة الحرية الخضراء الواسعة التي تمتد أمامها.

اندهشت تابي للسرعة التي تعلّمت فيها الطفلة الصغيرة كيف تتحرّك بحرية. إنها تتطوّر بسرعة بالنسبة إلى طفلة بالكاد تجاوز عمرها السبعة أشهر لكنها لطالما كانت قوية البنية ولطالما كان نموها طبيعياً، ولم تتفاجأ تابي كثيراً لأن أمبير اكتشفت بشكل سابق لأوانه كيف تتحرك من دون مساعدة أيّ شخص راشد. وفيما هي تراقبها، اقتلعت الطفلة القليل من العشب وحاولت وضعه في فمها.

- لا... لا.

ووصلت ماليندا في هذه اللحظة بالذات لتعرض عليها أن تأخذ استراحة.

اعترفت تابي بحزن: «نعم، وعلى الرحب والسعة. لا أمانع إذا ما حصلت على استراحة لاستفيد من أشعة الشمس وأقرأ. لم يعد من السهل السيطرة عليها».

فقالت المربية الشقراء بنعومة: «يمكننا أن نتعامل مع هذه المسألة. سأضعها في العربة لنقوم بنزهة معاً. المكان رائع هنا وقد أحببته».

رمقت تابي المرأة الشابة بنظرة وتساءلت لما تجد صعوبة في أن تحبها وتملكها شعور بالذنب حيال ذلك. فماليندا تجيد التعامل مع أمبير وهي امرأة ودودة تحب عملها ولا تتوانى عن بذل أيّ جهد. لعل النظرات التوّاقة التي غالباً ما كانت ترمق آشرون بها هي ما يمنعها من أن تعزز علاقتها بالشابة. وراحت تابي تُقنع نفسها بأن المسألة ليست مسألة غيرة، لكنها لا تشعر بالراحة مع امرأة مستعدة لأن تُظهر هذا القدر من الاهتمام برجل متزوج تعمل لحسابه. على أيّ حال، وإحقاقاً للحق، لم يبدِ آشرون أيّ اهتمام بماليندا الشقراء، صاحبة المفاتن البارزة.

سألت ماليندا وهي تجمع ألعاب أمبير وتضعها في الحقيبة: «هل لديك فكرة متى سنغادر المكان؟»

- ليس بعد. أنا آسفة... فزوجي لم يقرر بعد إلى متى سنبقى هنا.

ردّت تابي بذلك وقد تفاجأت للطريقة التي خرجت تلك الكلمة التي تعكس التملّك من بين شفتيها. لكن هذه الطريقة هي الأسهل كي تشير إلى آشرون أمام الموظفين.

واعترفت بحزن أنه زوج بقدر نمر مسجون في قفص في حديقة الحيوان، ثم حملت كتابها ونظّاراتها وتوجّهت إلى الفناء حيث بركة السباحة. بالكاد رأت آشرون في الأسبوع الفائت إذ حبس نفسه في مكتبه وغرق في العمل معظم النهار ونصف الليل تقريباً.

كان ينضم إليها من حين إلى آخر كي يحتسيا القهوة معاً عند الفطور، ويغرق في الصمت عند تناول العشاء، فيأكل بسرعة ومن ثم يعتذر بتهذيب قبل أن ينسحب. كان مثالاً للرفيق البارد والمتحفّظ خلال هذه الوجبات كما لم يظهر في عينيه أو في حديثه أيّ أثر للتأثر بوجودها قربه. بدا وكأن ذاك الشغف في ليلة زفافها نتاج مخيلتها هي، لكن تابي بقيت تواجه صعوبة في معاملته كشخص غريب ما أزعجها وأربكها وسدد ضربة لكبريائها وإيمانها بقوتها واستقلاليتها فما من امرأة قوية تستمر في التشوّق للفت انتباه رجل قرر أن يعاملها كورق جدران.

إلا أنّ الغريب والمثير للسخط هو أن آشرون يلعب لعبة مختلفة مع أمبير، إذ أقسمت مالينذا أنه لم يمر يوماً بباب غرفة الطفلة من دون أن يدخل ليلاعبها ويتحدث إليها. وقد تعلّمت أمبير أن تلفت انتباه آشرون كلما كان في مكان قريب منها. في الواقع، اعتبرت أمبير أنها مرحّب فيها عندما يتعلق الأمر بآشرون. لعل اهتمام الطفلة الزائد به يرضي غروره، أو لعله اكتشف متأخراً أنه يحب رفقة الاطفال ويستمتع بها؟ كيف يمكن لها أن تعرف ما الدوافع التي تحرّكه؟ مرّ عليها أسبوع من دون أن تذوق طعم النوم اكتشفت خلاله أنها لا تعرف سوى القليل القليل عن آشرون ديميتراكوس. يشكّل زوجها لغزاً بالنسبة إليها من كافة النواحي الممكنة.

وقف آشرون عند النافذة وأطلق تنهيدة عندما رأى تابي تستلقي بجسمها النحيل على الكرسي الطويل كوليمة تسيل

لعاب الجائع. أبرز ثوب السباحة الزهري المؤلف من قطعتين كل شبر من جسمها الممشوق. تململ منزعجاً، وكافح ليكبح الرغبة التي أثارتها فيه، هذه الرغبة التي جعلت لياليه طويلة ومحبطة للغاية.

وبقي يراقب كما ينبغي على الرجل الحريص أن يفعل حسبما راح يُقنع نفسه، فرأى تابي تنزع الجزء العلوي من لباس البحر لئلا يترك أثراً على جسمها. قطّب منزعجاً إذ لم يكن يرغب في أن تكشف هذا القدر من جسمها العاري أمام العاملين في المنزل الذين يتجولون في المكان. من المستغرب ألا تعجبه فكرة أن يرى أيّ شخص عداه جسد تابي العاري. اعتبر أنّ ثمة شيئاً من التملّك الغريب جداً في داخله ووضع اللوم في ذلك على أنه أول رجل في حياة زوجته.

اعترف في سره وقد أظلمت عيناه بأنه ما ظن يوماً أنه سيستخدم كلمة «زوجتي». لو كانت تابي زوجته فعلاً لبقيت في سريره خلال ساعات النهار الطويلة الحارة، مستسلمة لمتطلبات شغفه ومطلقة العنان لمشاعرها. والتهب جسده شوقاً ورغبة بعد أن تراءت له هذه الصور فأطلق شتيمة من بين أنفاسه المتقطعة.

لسوء الحظ أن تابي لا تتمتع بأيّ مرونة: فإما أن يتبع شروطها وإما أن يلجأ إلى الاستحمام بالماء البارد. ما من حلول وسط، وما من مخارج. إما أن تحصل على كل شيء وإما لا شيء وهو يعلم أنه لا يستطيع، لا يستطيع أن يسير في هذه الدرب وأن يغيّر نفسه ليناسب شروطها في حين أنه يعلم أنّ ما من مستقبل لهما معاً. لن يكون منصفاً معها وسيظلمها.

في ذلك المساء، اختارت تابي ثوباً أزرق رائع التفصيل من خزانة الملابس. ارتدت ثوباً مختلفاً لكل يوم من أيام الأسبوع المنصرم، معتبرة أنّ الملابس موجودة ولا فائدة من تركها معلّقة حيث هي. على أيّ حال، من السخافة والغباء أن تختار ارتداء سروال من الجينز وقميص في مثل هذا الطقس الحار، وهي الملابس الوحيدة التي بقيت من ملابسها القديمة منذ أن بدأت حياتها تتغيّر ومشاكلها تُحل بعد أن خسرت منزلها الخاص. حينذاك، اضطرت لأن تتخلى عن الكثير من مقتنياتها، وأن تترك ما لديها من ملابس وأحذية وأغراض لتكتفي فقط بما هو ضروري وما يمكنها حمله.

وضعت الثوب بعناية على السرير وأخرجت مستحضرات التجميل لتضع القليل منها ثم سرّحت شعرها. وذكّرت نفسها بأنّ آشرون ليس السبب الذي دفعها لأن تتأنق بل فعلت هذا من أجل احترامها لذاتها ولأنها تعلم أنّ التصرّف كعروس ثرية في شهر عسلها جزء من دورها، على الأقل خارجياً. وبعد أن ارتدت ملابسها، انتعلت صندلاً عالي الكعبين إلى حدّ خطير وراحت تتأمل نفسها في المرآة متمنية لو كانت أطول وأكثر امتلاءً وأكثر جاذبية... مثل كازما؟ كازما التي لم يأتِ آشرون يوماً على ذكرها؟ لكن ما شأنها بكازما وما علاقتها بالأمر؟ فالغضب العارم الذي تملكها حين اكتشفت أنّ آشرون سيستفيد بقدرها من زواجهما خبا. على أيّ حال، لم تتزوّج آشرون إلا لسبب واحد وهو أن تتبنى أمبير وجلّ ما عليها أن تفعله هو أن تركّز على هدفها كي تخرج من هذه المسرحية عند انتهائها

بنعومة وبأقل قدر ممكن من الألم. إنّ القلق بشأن أمور أخرى، والرغبة في الحصول على أشياء أخرى تصرّف سخيف وغبي ومتعب.

كان آشرون يجتاز البهو حين وصلت تابي إلى أعلى السلالم الرخامية، ودفعتها غريزتها إلى رفع رأسها وكتفيها رغم أنها شعرت بالعرق ينصبب من مسام جلدها كلها. ها هو ممشوق القوام، وسيم بشكل مذهل، وأنيق حتى في سروال الجينز والقميص المفتوح عند العنق. راح قلبها يدق بسرعة كقرع الطبول فتمسّكت بالدرابزين الحديدي المشغول بيد مرتعشة وخطت خطوتها الأولى نزولاً. ومن سوء حظها أن قدمها نزلت لكنها لم تطأ الدرجة بل وطأت الفراغ فتعثّرت وهوت مطلقةً صرخة فزع فيما انزلقت يدها عن الحديد، وتلوى جسمها كله فيما هي تحاول أن توقف سقوطها فارتطم وركها بطرف الدرجة الرخامية القاسية والتوى كاحلها تحتها.

صاح آشرون: «أمسكت بك!»

سجّل عقل تابي أنها لم تعد تسقط لكن الألم امتد من وركها وصولاً إلى ساقها... لا، لا، ليس ساقها، بل كاحلها. حاولت أن تستقيم فيما رفعها آشرون بين ذراعيه بكثير من الحماسة فتأرجحت ساقها بقوة ما جعلها عاجزة عن كبت صرخة الألم التي خرجت من بين شفتيها: «كاحلي..».

قال آشرون بخشونة فاجأتها فيما هو يتوجّه عائداً إلى البهو وقد لفّ ذراعيه حول جسدها النحيل: «يا إلهي... كان من الممكن أن تُقتلي على هذه السلالم!»

نادى باللغة اليونانية حتى ظهر أحد أعضاء فريق الأمن مسرعاً ثم أصدر أوامر موجزة.

استطاعت أن تشعر بدقات قلبه السريعة على خدها ولم يفاجئها هذا لأنه تحرّك بسرعة تفوق سرعة الضوء ليلتقطها ويمنع سقوطها نحو الأسفل. وأحست باضطراب شديد حين أدركت أنها كانت لتسقط حتى أسفل السلالم الرخامية وتدق عنقها أو ضلع أو ضلعين على الأقل لولا تدخّله الذي جاء في الوقت المناسب. وتسلل إليها الارتياح لأنّ إصابتها اقتصرت على التواء في كاحلها وبعض الرضوض في جسمها.

ـ أنا بخير... من حسن الحظ أنك أمسكت بي في الوقت المناسب.

وضعها آشرون بعناية مبالغ فيها على الأريكة وجلس القرفصاء إلى جانبها قبل أن يسألها وعيناه اللامعتان، المظللتان برموش كثيفة، تتأملان وجهها: «هل شعرت بأحدهم يدفعك؟»

أذهلتها نبرة السؤال وحدّته فحملقت فيه بعينيها البنفسجيتين وسألته بصوت مرتجف: «ولمَ سيحاول أحدهم دفعي لأسقط؟ فقدت توازني وتعثّرت!»

عبس آشرون وقال: «هل أنت واثقة؟ ظننت أني رأيت شخصاً ما يمر بجانبك قبل أن تسقطي».

ـ لم أرَ ولم أسمع أحداً.

قطّبت تابي وأسبلت رموشها تخفي عينيها فيما محت حرارة الارتباك شحوبها لأنها أدركت تماماً لما تعثرت إلا أنها لن تعترف له بالحقيقة مهما كلّف الأمر: «نعم، أنا واثقة تماماً».

وراحت تابي تفكّر بحزن عميق ومؤلم أنها لو لم تكن منشغلة جداً بتأمل آشرون وبمحاولة أن تبدو في أفضل مظهر من أجله، حالها في ذلك حال أيّ مراهقة سخيفة، لما زلّت قدمها ولانتبهت إلى موطئ قدمها.

قال لها آشرون وهو يدسّ يديه تحت جسمها: «أخشى أنّ عليّ أن أحركك مجدداً... سأحاول ألا أؤذيك إنما ينبغي أن أحملك إلى السيارة كي ننقلك إلى المستشفى ليفحصك الطبيب».

ردّت تابي التي تعاظم شعورها بالارتباك والإحراج: «أرجوك، لا أحتاج إلى طبيب!»

إلا أنها خضعت في الساعات التي تلت إلى كافة أنواع الفحوصات الطبية في أقرب مستشفى. وحاولت أن تثني آشرون إنما بدا وكأنها تتحدث إلى جدار إذ رفض أن يستمع إلى أيّ كلمة تقولها. وبدلاً من أن يتصرف كرجل هادئ ومتحفّظ كما اعتادت أن تراه، بدا آشرون شديد التأثر وإن لم تعرف سبب تأثره هذا. راح يذرع أرض الغرفة خلف الستارة حيث تخضع هي للفحص ذهاباً وإياباً، ويتحدث إليها ليطمئن إلى حالها ويتأكد من أنها بخير، وأصرّ على أن تخضع لصورة أشعة متجاهلاً تقريباً الطبيب الذي أكد له أنّ إصابتها ليست خطيرة وأنها تعاني من مجرد التواء في الكاحل وبعض الرضوض الطفيفة. ولعل المحرج أكثر هو أن فريقه الأمني انتشر من حوله في جهوزية تامة كمن ينتظر هجوماً صاروخياً قريباً على قسم الطوارئ.

ضحك الطبيب المتوسط العمر الذي يجهل حقيقة الوضع وقال: «آه... الزوج المحب والقلق».

لو أنّ هذا الرجل يعلم كم هو مخطئ! خطرت هذه الفكرة لتابي التي شعرت أنها مصدر إزعاج وكأنها شخص متمارض يحظى برعاية طبية قيّمة في حين أنه لا يعاني من أيّ خطب.

لو ماتت تابي لكان الذنب ذنبه. راح آشرون يجترّ هذه الفكرة بكآبة وغضب وشعور بالذنب. واجتاحته هذه المشاعر التي لم يختبرها قط من قبل كموجات تكتسح ما عداها. لكنه لم يكن يوماً مسؤولاً عن حياة شخص آخر وهو يرى أن سلامة زوجته هي مسؤوليته وإن كان يتمنى لو يفكّر بطريقة مختلفة. أرعبته طبعاً فكرة أنّ شخصاً ما يعمل لديه قد حاول أن يلحق الأذى بزوجته. بعد أن رأى الرسالة الفظيعة التي تُركت على مرآة غرفة نومها، لم يتأثر بقناعتها بأنّ المسألة مجرد حادث. لعل تابي لم تلاحظ أنّ أحدهم دفعها قليلاً في اللحظات الخاطفة التي فقدت فيها توازنها وتعثرت.

وزاد من إحباطه أنّ الفريق الأمني الذي يعمل لديه لم يجد أيّ شيء مريب بشأن أيّ شخص من الموظفين في الفيللا. ولوى آشرون فمه. لسوء الحظ أنه نادراً ما يستعمل فيللا توسكانا، وبما أنه تم تجديدها العام الماضي وتوظيف فريق عمل جديد، فسيكون الوقت وحده كفيلاً بحسم مسألة بقاء هؤلاء الموظفين أو تغييرهم. أصبحت عيناه اللامعتان أكثر قساوة كما أطبق فمه ليتحوّل إلى خطٍ قوي من التصميم. إنّ سلامة تابي أساسية لكنه يأبى أن يخيفها بشكوكه، وتقضي

الاستراتيجية الأكثر حكمة بأن يخلي الفيللا على الفور وأن يبحث عن مكان أكثر أماناً. بعد أن توصّل لهذا القرار، أعطى آشرون أوامره رافضاً أن يتراجع حتى عندما أشار رئيس فريقه الأمني إلى أنّ هذه الخطوة تعني إخراج الطفلة من سريرها أيضاً. بغض النظر عن سلبيات خطته، بالكاد استطاع آشرون أن ينتظر حتى يُبعد تابي والطفلة عن فيللا توسكانا التي أصبحت بنظره مكاناً موبوءاً. راقب الطبيب وهو يضع الرباط على كاحلها المتورّم فيما لا يزال الانزعاج يتملكه لأنه لم يتمكّن من أن يحول دون إصابتها بالأذى.

تنهّدت تابي في سيارة الليموزين بعد أن غادروا المستشفى وقالت: «آسفة على هذا كله».

ـ عندما تتعرضين لحادث فلا حاجة لأن تعتذري. كيف حالك؟

ردّت تابي بابتسامة: «أشعر ببعض الانزعاج والألم... لكن ما من شيء لا يمكن أن أُشفى منه سريعاً. سيعلّمني هذا أن أكون أكثر حرصاً من الآن وصاعداً عندما أنزل السلالم».

جوابها هذا فاجأه فما من امرأة يعرفها يمكن أن تهمل هذه الفرصة لتبالغ في وصف ألمها وإصابتها مطالبة إياه بإظهار التعاطف والاهتمام. إلا أنّ تابي قللت من أهمية المسألة ولم تطالبه بشيء، ما زاد من انزعاجه الكبير من الوضع.

سألته تابي وهو يرفعها من سيارة الليموزين ويضعها في الكرسي المتحرك الذي ينتظرها: «إلى أين نحن ذاهبون؟ هل هذا المطار؟»

أجابها آشرون بنبرة عادية: «نعم، سنسافر إلى سردينيا».

شددت تابي غير مصدّقة: «حقاً؟ أعني الآن؟ إنها الساعة العاشرة ليلاً».

اعترف آشرون: «أمبير ومربيتها موجودتان على متن طائرة الهليكوبتر، وكذلك أمتعتك».

ثمة الكثير من الأمور التي يمكن أن تقولها لكنها تواجه ذقناً مصممة كما أنها تعلّمت أن تفكّر مرتين قبل أن تبوح بما تفكر فيه أمام اشرون. اطبقت شفتيها بحزم وافترضت أنه شعر بالملل في الفيلا وقرر أن يغيّر المكان الذي يتواجد فيه ما دفعه للتصرّف بهذه الطريقة المندفعة. فهو لم يُخرج أمبير من سريرها وحسب بل أجبر تابي على السفر وهي التي تشعر بإنهاك شديد وبألم في قدمها. وراحت تفكّر في أنه أناني ولا يراعي مشاعر الآخرين لكنها افترضت أنه تصرّف طبيعي من رجل لم يعتد التفكير إلا في نفسه وفي حاجاته الخاصة.

كانت طائرة الهليكوبتر تصدر ضجيجاً قوياً وشعرت تابي التي لم تتناول الطعام منذ الغداء بجوع شديد وصل إلى حدّ الغثيان. أصرّت على أن تأخذ أمبير من مالينا وراحت تهدئ الطفلة المتعبة أيضاً. وتفاجأت حين حمل آشرون الطفلة الناعسة من بين ذراعيها ووضعها في حجره. رفعت أمبير نظرها إليه وأعادت وضع إبهامها في فمها ثم أغمضت عينيها وقد بدت سعيدة بهذا التبديل. ولا بد أن تابي غفت عند هذه النقطة لأنها استيقظت مشوّشة بفعل الضوء الساطع على وجهها والألم في كاحلها فيما كان آشرون يحملها إلى المنزل.

سألها مجدداً ونظراته المذهلة تتأمل وجهها الصغير الشاحب: «كيف حالك؟»

ـ سأكون بخير...

عارضها بصبر فارغ: «لا تتصرفي على هذا النحو... تبدين وكأنك على عتبة الموت. ستذهبين مباشرة إلى السرير وسأرتب مسألة تأمين الطعام لك».

في تلك اللحظة، بدت فكرة السرير والطعام جذّابة جداً بالنسبة إلى تابي. صعد سلماً ولامست نسمة عليلة وجهها. رفعت جفنيها لترى نافذة كبيرة تغطيها ستائر ناعمة فيما وضعها آشرون بنعومة على سرير ضخم وعريض وراح يرتّب الوسادات خلفها. لاحظت أنها المرة الأولى التي يتصرّف فيها بهذا القدر من اللطف ما جعلها تتوتر.

سألته بشكل مفاجئ: «لمَ تتصرّف معي بهذا القدر من اللطف فجأة؟»

هذا السؤال البسيط كشف أموراً كثيرة لم يشأ آشرون أن يسمعها في هذا الوقت بالذات ما جعله يتأفف معبّراً عن إحباطه بصوت عالٍ، وخطر له أنّ تصرفات تابي فريدة. وحدها تابي تقول ما لا يجرؤ أحد على قوله لآشرون ديميتراكوس. أخذ نفساً عميقاً وبطيئاً ثم أجاب: «أنت مصابة».

فقالت له تابي رافعة ذقنها في حركة تحدٍّ: «أنت لا تخضع للقواعد والشروط وأنا لا أحتمل الشفقة».

ـ أنت زوجتي.

ـ هذا ليس حقيقياً.

عارضها آشرون بنبرة تكاد تكون فظّة: «أنت زوجتي بما يكفي كي أرغب بأن أعاملك كزوجة».

أعمى عدم الفهم عينيّ تابي وتملكتها رغبة شديدة في أن توجّه صفعة إلى وجهه الوسيم. كان ينبغي أن يترافق هذا الرجل مع معجم أو كتيّب استخدام يتضمن ارشادات وشرح حول كيفية عمله لأنها وجدت نفسها مجدداً ذاهلة تماماً أمام طريقة تفكيره المعقّدة والمثيرة للسخط.

أعلن آشرون: «أريد أن أجعلك تشعرين أنك بحال أفضل».

ـ رجاءً، لا أريد أيّ شفقة.

همهم آشرون بنبرة خشنة عكست انزعاجه: «أعترف بأني لم أحسن التصرف وأنا أحاول هنا أن أعوّض لك».

فقالت له تابي التي لم يزحزحها كلامه عن موقفها: «الشفقة هي الشفقة».

جلس آشرون إلى جانبها على السرير. ظهر شيء بريّ غير مروّض في بريق هاتين العينين اللتين تلمع فيهما شرارات ذهبية حين أمسك بنعومة بشعرها الذهبي وقبّلها. وأرسل شحنة من الجوع المتوحش في جسمها كله ما جعلها تجمد في رعب لذيذ.

دمدم: «هل يبدو لك هذا كشفقة؟»

لم تعلّق تابي على كلامه لأنها بالكاد استطاعت أن تتنفّس. أرادته أن يعيد الكرة ولفترة أطول وبالكاد استطاعت أن تُبعد يديها عن هذا الجسم النحيل والقوي القريب منها لأول مرة منذ أسبوع. لمسة واحدة منه جعلتها تشعر وكأنها مدمنة مستعدة لأن تفقد السيطرة على نفسها تماماً. وحاولت أن تتراجع فأخفضت

رأسها. وفي هذه اللحظة، ورحمة بها، قاطعهما دخول امرأة تحمل صينية.

قال آشرون: «يجب أن تأكلي».

ساعدها لتسند ظهرها إلى الوسادات قبل أن ترفع السكين والشوكة. لم تجرؤ تابي على النظر إليه مجدداً إذ لم تعد تثق بنفسها فهي تعلم أنها لا تستطيع أن تخاطر بإطفاء تلك الرغبة الحارقة والرهيبة التي تتآكلها في حضوره. وعلى الرغم من أنها كانت جائعة جداً إلا أنها اضطرت لأن تجبر نفسها على أن تأكل لأن معدل التوتر العالي الذي قبض معدتها قضى على شهيتها. أكلت في صمت فيما راح آشرون يذرع الغرفة الكبيرة، لافتاً نظرها باستمرار حتى تذكّرت أنها لا تستطيع أن تتحمّل نتائج النظر إليه وأنها مضطرة لأن تنسى وجوده كي تتمكن من السيطرة على نفسها. وما الذي يعكسه هذا من شخصيتها؟ هل هي ضعيفة إلى هذا الحد بحيث لا يمكنها أن تواجهه؟ هذا الرجل الذي تجاهلها كلياً على مدى الأسبوع الفائت؟ هو الرجل نفسه الذي أقام معها علاقة ثم انسحب بسرعة قياسية تكاد تفوق سرعة الصوت؟ اعتراها الشعور بالخزي ما زاد التعب الذي جاهدت كي تحتويه.

أُزيلت الصينية من حجرها. وأطبق جفناها، وثقلت عيناها بحيث عجزت عن إبقائهما مفتوحتين.

ـ يجب أن تنامي.

وشعرت لأول مرة أنها مستعدة لأن تطيع أوامره.

استيقظت تابي على حاجة ملحّة لدخول الحمام، ففتحت عينيها في الظلام وقد تملكها شعور بالضياع. كافحت لتجلس في السرير وأنّت من الألم الذي أحست به في كاحلها فيما هي تمد يدها للبحث عن الضوء قرب السرير. ومن حسن حظها أنها وجدت مفتاحاً يتصل بسلك معلّق، وأضاء النور الغرفة لأقل من لحظة قبل أن يستقيم الرجل المستلقي على الأريكة قرب الجدار.

همست غير مصدّقة: «آش؟ ما الذي تفعله هنا؟»

كان آشرون عاري الصدر وحافي القدمين وقد اكتفى بارتداء سروال من الجينز. علقت نظراتها المذهولة على صدره العريض، المفتول العضلات الذي اكتسى سمرة رائعة ومن ثم ارتفعت إلى الأعلى لتلاحظ الظل الأسود الذي كسا ذقنه والحدة في نظرة عينيه اللتين التمعتا بألماس أسود في النور الخافت.

ـ ما كنت لأتركك وحدك هنا.

ـ لمَ لا؟

طرحت تابي هذا السؤال وقد احمر وجهها أكثر من النار المضطرمة وأجبرت نفسها على أن تدير وركيها وتنزل ساقها السليمة عن طرف السرير. وتابعت تقول: «لمَ نمت على الأريكة من أجلي؟»

سألها آشرون وهو يقطع المسافة الفاصلة بينهما على عجل: «ما الذي تفعلينه؟»

فأجابته من بين أسنانها المطبقة: «أحتاج لأن أدخل الحمام».

واجتاحها الألم كموجة كاسحة.

اعترف بنفاد صبر وهو يدفع بالعصا الموضوعة قرب السرير

إلى يدها: «أنت عنيدة جداً يا عزيزتي. حالياً أنت تحتاجين للمساعدة ولم أشأ أن أضع شخصاً غريباً في الغرفة معك».

ثم رفعها لتستقيم قبل أن يضيف: «والآن، تقدمي ببطء وإلا ستؤذين نفسك».

إلا أن تابي كانت قد اكتشفت أنها لا تستطيع أن تحرّك ساقها من دون أن تشعر بألم في كاحلها فصرفت بأسنانها وأطاعت أمره فيما الدموع تملأ عينيها وهي تسير بشكل أخرق نحو الباب الذي فتحه لها.

همهم آشرون شيئاً ما باللغة اليونانية ورفعها بحرص وعناية بين ذراعيه ليحملها إلى الحمام ويضعها بنعومة على المرحاض. قال متنبئاً: «يزداد الألم سوءاً في الليل إنما ستشعرين بتحسّن غداً. ناديني حين تصبحين جاهزة للعودة إلى سريرك».

افترضت تابي أنه من سابع المستحيلات أن تطلب مساعدته وهي تتأمل مرعوبة صورتها في المرآة. كانت الزينة التي وضعتها قبل أن تنزل لتناول العشاء لا تزال على وجهها، وقد أحاط السواد المخيف بعينيها وغضّن النوم خدّيها كما شعّث شعرها. كيف يمكن أن يبدو هو رائعاً في منتصف الليل فيما تبدو هي كعروس دراكولا؟

التفتت نحو الأسفل ولامست بأصابعها ثوب النوم الذي ترتديه الآن قبل أن تبتلع غصة. لا بد أن آشرون نزع ثيابها. وماذا في ذلك؟ لقد رآها من قبل عارية ما يعني أنه لم يرَ أيّ شيء جديد وأنّ من السخافة أن تشعر بالاحراج لهذا. استقامت تابي ثم حاولت أن تنظف نفسها قدر ما استطاعت. وبعد أن شعرت بشيء من الانتعاش، وإن بقيت شاحبة اللون ومتيبّسة بسبب

www.elromancia.com

الألم المبرح الذي تحس به مع كل حركة تقوم بها، شقّت طريقها نحو غرفة النوم.

كان آشرون بانتظارها ليرفعها بين ذراعيه ويضعها برفق على السرير.

قالت بضعف والعرق يتصبب من جبينها: «ما زلت لا أفهم ما الذي تفعله هنا معي؟»

شرح لها آشرون بصراحة: «البيت الرئيسي لا يحتوي إلا على ثلاث غرف نوم. وأعلم أنك لا تريدين أن تكون أمبير بعيدة عنك في الجزء المخصص للعاملين هنا فخصصت الغرفة الثالثة لمالينداً».

علّقت تابي بانذهال: «ثلاث غرف نوم فقط؟ يبدو أنك لم تخطط لهذه النقلة بشكل جيد، أليس كذلك؟»

قيّمها آشرون بنظراته في صمت ثم أجاب: «إنها الثالثة صباحاً... دعينا نناقش الأمر في الغد».

راقبته تابي وهو يتراجع نحو الأريكة فأطلقت زفيراً تحوّل إلى تنهيدة قبل أن تقول: «آه، بحق الآلهة، شاركني السرير... إنه كبير بقدر ملعب كرة قدم. أنا واثقة من أننا سنتمكن من تجنّب بعضنا».

استدار آشرون نحوها من دون أن يخفي دهشته لكنه لم ينطق بأيّ كلمة. أطفأ النور واستلقت جامدة في الظلام تستمع إلى صوت سرواله الجينز وهو يخلعه. تحرّك الغطاء وانخفض الفراش فأجبرت نفسها على الاسترخاء، وراحت تقول في سرها إنها آمنة تماماً معه فآشرون لا تسيّره العاطفة أو الشغف بل يسيره العقل والمنطق. وهو يعلم أنهما مختلفان تماماً.

كان الفجر قد حلّ عندما استيقظت تابي مجدداً. باغتها الألم والتيبّس مع أول حركة لا ارادية قامت بها فتشنّج وجهها في شكوى صامتة. أدارت رأسها لتتسارع أنفاسها عند رؤية آشرون غارقاً في النوم على بعد سنتيمترات منها. بدا شعره الأسود المجعّد متناقضاً مع بياض الوسادة الناصع، ورموشه الطويلة والكثيفة كمروحتين حريريتين تزينان أعلى وجنتيه، كما بدا فمه الواسع والمغوي ممتلئاً ومسترخياً. لم تستطع أن تتوقّف عن التحديق فيه. كان الغطاء الرقيق ملتفاً على وركيه، وعضلات صدره مكشوفة على غرار ساقيه الطويلتين والقويتين والمكسوتين بالشعر. جمال جسده المنحوت جعل حنجرتها تنقبض وجسمها ينتفض فيما اكتسحتها حرارة عجزت عن السيطرة عليها. أرادت أن تلمسه؛ أرادت أن تلمسه إلى حدّ آلمها وجعلها غير قادرة على الانكار.

ارتفعت رموشه وتمطى ببطء وكسل فارتسمت عضلاته المشدودة كالحبال تحت بشرته السمراء الناعمة ثم تمتم شيئاً ما باليونانية.

رفعت تابي حاجبها وسألته: «ما معنى كلامك هذا؟»

ترجم آشرون والتسلية تضيء عينيه الداكنتين: «صباح الخير يا زوجتي أنا».

أجابته تابي لاهثة على الفور: «أنا لست لك».

ارتفعت يد سمراء نحيلة وتغلغلت ببطء وعناية في شعرها الأشقر المنسدل، وشعرت بعينيه اللامعتين حارتين كالعسل الساخن على بشرتها.

ـ ما هي الصفة الأخرى التي يمكن أن تطلقيها على نفسك؟ تزوجتني ومارسنا الحب معاً. ألا تعتقدين أنّ هذا يعني أننا أتممنا زواجنا؟

تشنّجت تابي التي شعرت بالألم والأسى والتشوّش وقالت: «أنا... أنا..».

راح يتذوّق شفتيها الممتلئتين بإثارة الاستكشاف. انتفض جسمها متفاعلاً معه وتكوّنت في لحظات موجة من الجوع والتوق والرغبة في داخلها، موجة أطاحت بنواياها الحسنة كلها. وجدت تابي نفسها عاجزة أمام هذا الهجوم الحسيّ فبادلته التقبيل.

همست حين حررها بما يكفي لتلتقط أنفاسها: «آش؟»

أخفض بصره ليحدّق فيها بفراغ صبر والتوتر يشدّ كل عضلة من عضلات وجهه: «لتذهب قواعدك وشروطك إلى الجحيم».

وأضاف بنبرة تصميم: «سألعب وفقاً لقواعدي أنا».

بقيت هذه الكلمات تتردد في أذنيها عندما رفعها ببطء ليضعها على جنبها فسألته لاهثة: «ما الذي تفعله؟»

ـ بما أنّ وضعك لا يسمح لك بأن تهربي فيمكنك أن تصرخي عالياً إذا أردت أن ترفضي.

فتحت عينيها البنفسجيتين على اتساعهما ونظرت إلى الأريكة التي احتلها الليلة الماضية. هي من دعته إلى السرير في بادئ الأمر. هل افترض أن جسمها جزء من العرض؟ أم أنه عالق مثلها في التفاعل الذي يجذب أحدهما إلى الآخر؟ هذا التفسير الأخير أعجبها أكثر بالطبع.

تذوّق آشرون البشرة الناعمة البيضاء عند عنقها فأسرته رائحتها اللذيذة فشدّها إليه والتصقت به.

اشتدّت كل عضلة من عضلاتها وهي ترتجف. اجتاحتها رغبة عارمة كسهام حادة فانتفضت وصدر عنها صوت ألم وانزعاج بعد أن حرّكت كاحلها عن غير انتباه.

دعاها آشرون قائلاً: «استلقي من دون حركة. لا حاجة لأن تتحركي».

لم تحلم يوماً بأن قبلة وبضع لمسات حميمة يمكن أن تجعل حرارتها ترتفع إلى حدّ الغليان وادركت أنها تفهم السبب الأساسي الذي جعله حبيبها الأول. أحرقها كلمعة برق وصحّى فيها جوعاً قضى على دفاعاتها.

ـ أنت واثق من نفسك فعلاً.

وافقها آشرون الرأي قائلاً: «نعم، بين الأغطية».

ـ قيل لك إنك رائع؟

أجابها بنبرة باردة لا تخلو من السخرية: «مرات عدة. أنا ثري للغاية. إن قالت لي إحداهن إني فاشل في السرير... حتى وإن كان هذا صحيحاً... فلن تستفيد في شيء».

قالت تابي عاجزة: «أنا لا أريد مالك، أريد جسدك فقط!»

ساد الصمت للحظات وأغمضت عينيها بشدة مرتعبة. لم أقل هذا، لا يمكن أن أكون قد تلفّظت بهذه الكلمات!

قال آشرون بصوت أجش: «لا اعتراض لديّ على هذا الهدف. إنه عملي وصادق... لمَ لا؟»

لمسها مجدداً وغرق جمودها في بحر من التجاوب المرتجف. همس في أذنها بجوع: «بقيت أحلم بهذا لأيام».

كررت كلامه كالببغاء: «أيام؟»

اعترف آشرون فيما أصابعه تشتد على خصرها النحيل: «كل ليلة منذ تلك الليلة الأولى، وكلما رأيتك في ثوب السباحة الصغير ذاك».

خرجت من حنجرة تابي صرخة فهمس آشرون بصوت خفيض: «هل كل شيء على ما يرام؟»

اعترفت تابي بصوت مرتجف فيما قلبها يقرع كالطبول في صدرها ودمها يسري في عروقها سريعاً وجسدها يرتعش: «حسن، لا أريد منك أن تجيب على هاتفك الآن!»

صرف بأسنانه بقوة وقال: «ما من حواجز! ما من حواجز بيننا!»

لم تستطع أن تفكّر، لم تستطع أن تتكلّم لشدة الأحاسيس التي أثارها فيها.

كانت النشوة لا تزال تترقرق في جسمها عندما لفّ ذراعيه حولها وأبقاها ملتصقة به.

قال لها بصوت أجش: «أنت مذهلة».

همست: «أنت أيضاً!»

وأعلن آشرون بثقة: «وسنفعل هذا مراراً وتكراراً. ما من استحمام بالمياه الباردة، ما من سريرين منفصلين، ما من استلقاء بأثواب سباحة صغيرة لا يمكن لي أن أمزقها».

قالت له بنبرة اعتذار: «أشعر بنعاس شديد».

فأجاب: «نامي... ستحتاجين إلى طاقتك كلها».

9 ـ غيرة وغضب

عندما استفاقت تابي للمرة الرابعة في غضون اثنتي عشرة ساعة، شعرت بأنها مشوشة تماماً ورمشت بعينيها بسبب نور الشمس القوي الآتي من النوافذ الكبيرة. وما هي إلا لحظات حتى استقامت في جلستها والتفتت إلى ساعتها لتكتشف أن الوقت هو منتصف فترة ما بعد الظهر.

يا إلهي، لقد نامت نصف يومها! نزلت من السرير بشكل أخرق بعد أن تملكها إحساس بالذنب وأدركت أن آشرون كان محقاً حين أشار إلى أنها ستشعر بتحسّن في الصباح. ما زال الألم قوياً في وركها لكن ألم كاحلها أصبح محتملاً. وبما أنها وصلت في الساعات المظلمة من الليلة السابقة، أحست بالفضول إزاء محيطها وأرادت أن تكتشفه، فقفزت على رجل واحدة حتى النوافذ الكبيرة متكئة على عصاها ثم خرجت إلى الشرفة السابحة في أشعة الشمس ووقفت عند حافتها.

امتد أمام ناظريها خليج كثير الصخور. وقد أحاطت الصخور الشاهقة برمال بيضاء ترتطم بها برفق مياه البحر الزرقاء الصافية إلى حدّ مكنها من رؤية القعر. وتمتد الحدائق المليئة بالأشجار حتى طرف الشاطئ. كان المكان مثالياً وجميلاً جداً لكن تابي لم

www.elromancia.com

تستطع أن تركّز انتباهها إلا على الثنائي الذي وقف عند طرف الأمواج المتكسرة. كانت عربة أمبير موضوعة في ظل الصخور فيما وقفت ماليندا التي ارتدت ثوب سباحة أحمر بقطعتين أبرز مفاتنها، تتحدث إلى آشرون الذي برز جسمه النحيل والقوي في السروال الرياضي القصير الذي ارتداه.

بدا هذا المشهد حميماً ومزعجاً بشكل غير متوقع ولم تستطع تابي أن تُبعد عينيها عن الثنائي فيما اجتاحتها الغيرة العمياء بقوة أفزعتها. وارتعشت منزعجة وأخذت نفساً مروّعاً حين وضعت ماليندا يدها على ذراع آشرون. إلا أنّ لمستها لم تدم سوى لحظة إذ تراجع على الفور مبتعداً خطوة عن الشقراء وقطع الشاطئ متجهاً نحو المنزل بعد أن وجّه لها كلمة أخيرة. عادت تابي إلى الداخل مسرعة بقدر ما سمحت لها إصابتها كي ترتدي ملابسها، فيما دماغها يكافح ليستوعب ما رأته في الوقت عينه الذي تقبّلت فيه حقيقة أنّ أسس علاقتها مع الرجل الذي تزوجته قد انهارت وأنّ كل شيء قد تغيّر.

أقرّت في داخلها بأن الرغبة هي التي حرّكت هذا التغيير ما جعلها تشعر بالخزي. أعلن آشرون بشغف أنّ ما من حواجز بينهما وكان محقاً في كلامه هذا: فالقواعد والشروط التي حاولت فرضها طارت وتبخرت حاملة معها قناعتها بأنها قادرة على مقاومته. كما أن رؤية ماليندا تلمسه أثارت حفيظتها وشعوراً بالتملّك ونوعاً من الغضب الممزوج بالغيرة وهي مشاعر لم تختبرها قط من قبل. ما الذي يكشفه هذا في ما يتعلق بذكائها؟ ما الذي سمحت له بأن يفعله؟ من أين أتت هذه المشاعر القوية

المتضاربة؟ إنها تتصرّف كامرأة غبية تعاني من آثار الحب! هل هذه هي المشكلة؟ هل جذبتها الرغبة ثم تركتها متيّمة به بشكل طفوليّ؟

أخرجت من حقيبتها، التي لا تزال موضّبة، ملابس داخلية وثوباً صيفياً طويلاً قبل أن تتوجّه إلى الحمام لتغتسل. تطلّبت منها العملية وقتاً أطول من المعتاد إذ اضطرت لأن تغسل شعرها على المغسلة ما شكّل تحدياً لها وجعلها تترك الحمام عائماً بالمياه. وعندما خرجت أخيراً بعد أن مسحت الأرضية، شعرت بتحسّن وبأنها تشبه نفسها أكثر بشعرها النظيف والمشدود وزينة وجهها الخفيفة.

دخل آشرون إلى غرفة النوم بخطى واسعة ليجد تابي أمامه؛ انعكس نور الشمس عليها فلمع شعرها الأشقر الطويل الذي أحاط بملامح وجهها الناعمة فيما بدا جسمها النحيل كجسد حورية في الثوب الأزرق الفاتح الذي أبرز عينيها المذهلتين اللتين انعكس التوتر فيهما وحاولتا تجنّبه. إنها واضحة جداً وصادقة جداً في ردود أفعالها إلى حدّ صدمه. لم تكن تخبئ شيئاً أو تخفي شيئاً عنه. انقبض صدره العريض وهو يزفر وصرف بأسنانه. لا يمكنه حتى أن يتصوّر كم تجعلها عدم قدرتها على إخفاء مشاعرها وعدم تحفّظها ضعيفة وسريعة العطب. إن لم يتصرّف على الفور فلا بد أنها ستنهال عليه بسيل من الاتهامات والأسئلة عن حميميتهما المتجددة ما يهدد بإعادتهما إلى نقطة البداية بعد ليلة زفافهما وإعلانها قواعدها وشروطها غير الضرورية.

همس: «تابي».

قالت وقد تقطّعت أنفاسها: «آش».

وراحت تتأمل ملامحه الوسيمة جداً بقلب كئيب لأنها شعرت باختناق ودوار لمجرد النظر إليه وتابعت تقول: «يجب أن نتكلّم».

عارضها آشرون بثقة عنيدة وهو يقترب منها: «لا، ليس علينا ذلك. دعينا نفعل هذا على طريقتي. لا نتكلّم ولا نتعاتب خاصة بسبب أيّ شيء. سنتقبّل الأمور كما هي ونستمتع بها إلى أقصى حدّ».

لقد اختطف الكلمات المرتبكة من فمها قبل أن تتمكن حتى من جمع أفكارها بما يكفي لتتكلّم. رأت أنّ هذا الحل كلاسيكي بالنسبة لآشرون على صعيد العلاقات... لا كلام، لا عتاب، وتختفي المشكلة.

اعترضت وهي تتلوى قليلاً لأنها وجدت صعوبة في أن تقف جامدة لوقت طويل واضطرت لأن تمسك بالعصا بقوة أكبر: «لم أشأ أن أعاتبك».

أطبق يديه على ساعديها ليثبتها في مكانها ومن ثم أنزلهما ببطء إلى خصرها: «لا يمكنك أن تمنعي نفسك».

وما إن رفعت رأسها نحوه حتى شعرت بوخز خفيف في شفتيها وأحست بما يشبه الحرارة تمتد على طول جسدها. أمال رأسه قليلاً وقبّلها بشغف مميت.

ـ آه!

وسرعان ما شعرت بجسمها يتيقّظ بحماسة أذهلتها.

رفع ثوبها ببطء وعيناه الداكنتان تتأملانها، تتحديانها أن تعترض. وانسابت نيران الرغبة لتجتاح كيانها. فاستندت إليه ولم تعترض حين رفعها ليضعها على السرير. ووقعت العصا منسية على الأرض.

قالت له من دون أن تخفي دهشتها: «استيقظت للتو».

فقال لها بصوت أشبه بالصفير: «كان عليك أن تنتظريني يا عزيزتي».

تأملته تابي بعينين مشوشتين ومتسائلتين قائلة: «لا أصدق أنك ترغب فيّ مجدداً».

فاعترف لها آشرون: «ما إن أنظر إليك حتى أرغب فيك».

جاءت نبرته خشنة بعض الشيء لأنّ الحقيقة التي تلفّظ بها تعكس عدم قدرة على السيطرة على الذات وضعفاً أربكاها في الصميم.

ذكّرته بعناد: «لم يحصل هذا في لقائنا الأول».

سخر منها قائلاً: «لقد شتمتني... لم تكوني في أفضل حالاتك. والآن بعد أن عرفتك جيداً، لم يعد هذا يزعجني أو يمنعني من أن أفكّر أنك المرأة الأكثر إثارة على سطح هذا الكوكب».

اتسعت عيناها دهشة بعد أن أذهلها تصريحه هذا: «هل تعني هذا حقاً؟»

ـ هل عليك أن تطرحي مثل هذا السؤال؟ لا أستطيع أن أنتظر حتى تكوني لي وهذا لا يكفيكِ؟

أجبرت تابي نفسها على أن تتذكّر كلامه هذا. اكتسحتها

موجات الحرارة بقوة كان ينبغي أن تثير الذعر لديها لكنها أدركت أنها تتصرف بشكل غريزي، وأنها لا تتوقّف حتى لتفكر بما قاله.

ـ أنت رائعة، مثيرة، مثيرة...

وأرفق كل كلمة تلفّظ بها بقبلة شغوفة حتى فقدت قدرتها على الصبر بقدره هو.

التفّ جسمها كله حوله بحركة تملّك تماماً كما ذراعيها، وراحت تداعب ظهره بأناملها وفقدت سيطرتها على نفسها وتنقلت من لحظة أحاسيس حادة إلى أخرى حتى أصبح من المستحيل أن تحتوي العاصفة التي أثارها فيها فحملها الشغف إلى عالم آخر.

علّق آشرون وهو يشدّها ليقرّبها منه: «حسن، كان هذا بعيداً كل البعد عن الرقة. أقدم لك اعتذاري».

أجابته تابي: «لا حاجة للاعتذار. ومجدداً عشرة على عشرة».

سألها باستنكار واضح: «أتضعين لي العلامات؟»

فأجابته ممازحة: «إذا أصبحت علاماتك خمسة وما دون فسأحذّرك».

وابتسمت له إذ شعرت بأنها خليّة البال وقررت ألا تعاتبه أو تجادله. لكن ما إن نسيت مقولته حتى غمرها عالم الواقع مجدداً وأثار فيها الشكوك والشعور بعدم الأمان فتوترت من جديد وتعجّبت كيف تمكنت بسهولة من غضّ النظر عن كل ما رأته.

ـ رأيتك مع مالينداً على الشاطئ.

قالت هذا بصراحة شديدة ولم تحاول أن تصمت وأن تفكّر في كلماتها وتأثيرها.

تشنّج جسد آشرون وأرجع رأسه إلى الخلف ليتأمل ملامح وجهها المضطربة قبل أن يقول طوعاً: «سأختار مربية أخرى لتعمل مع مالينداً وتحل محلها لاحقاً. اتخذت الإجراءات اللازمة لذلك. لا أريد أن تستاء أمبير بسبب هذا التغيير المفاجئ».

فاجأها هذا الاعلان لكنها شعرت بالارتياح لمعرفة أن مالينداً سترحل قريباً كما أثر فيها أنه حرص على أن يأخذ حاجات أمبير بعين الاعتبار وأن يهتم بها.

ـ أتخطط لطرد مالينداً؟

ـ إنها تعمل لدينا بموجب عقد لأجل محدد. نستطيع أن نستغني عن خدماتها ساعة نشاء لكني أفضّل أن نستغني عن خدماتها بالطريقة المعتادة. فهي تعرف أكثر مما يجب عن زواجنا ما يزعجني.

قطّبت تابي عند سماعها كلامه وسألته: «ما الذي تعنيه؟»

ـ يبدو جلياً أن مالينداً تدرك أننا كنا نستخدم غرفتين منفصلتين في الفيللا. عندما كنا على الشاطئ، عرضت عليّ أن أستخدم غرفتها فيما تنام هي في غرفة أمبير.

لوّن الاحمرار وجنتيّ تابي وخالجها شعور بالانزعاج والخجل لأن ترتيبات النوم غير المعتادة التي لجأ إليها لفتت انتباه الموظفين: «لعلها كانت تخطط لأن تتجوّل قليلاً أثناء الليل بعد أن تصبحا قريبين من بعضكما. كانت تلاحقك، أليس كذلك؟»

أومأ آشرون برأسه وهو يتأملها بعينيه الداكنتين المذهلتين فيما بقيت ملامحه الوسيمة جامدة: «هذا يحدث».

رفعت تابي نظرها إليه، وقد أضعفها الارتياح لأنه أخبرها الحقيقة من دون لفّ أو دوران: «غالباً؟»

اطلق آشرون ضحكة خشنة للبراءة التي عكسها هذا السؤال وأجاب: «طوال الوقت. إذا تجاهلت الأمر فيموت ميتة طبيعية لكن ماليندا لا تفهم من الإشارة... ربما لأنها توصّلت إلى استنتاج مفاده أنّ زواجنا ليس زواجاً طبيعياً. يمكنها أن تحمل هذه المعلومات إلى الصحافة، ما يجعلني عرضة للاتهام بأني تزوّجتك فقط للالتفاف بطريقة احتيالية على وصية أبي».

كشّرت تابي: «علينا ان نبذل جهداً أكبر لنبدو كعروسين تقليديين. علينا أن نتشارك الغرفة نفسها وأن نمضي المزيد من الوقت معاً وأن نتظاهر فنتصرف كما ينبغي لأيّ عريسين في شهر العسل أن يتصرفا».

أشار آشرون بثقة كسولة: «لكن ما من داعٍ لأن نتظاهر».

خطر لتابي أنها ستعرف في داخلها أنّ هذا كله زائف، وهذه الفكرة آلمتها. علاقتهما الجسدية رائعة لكنه ليس مستعداً لأن يقدّم لها أكثر. وأقرّت في سرها، رافضة أن تطلق الأحكام عليه لأنه مختلف، أن هذا هو لربما العطاء الوحيد الذي يعرفه... عطاء جسدي قصير الأمد، ضمن مهلة زمنية معيّنة. على أيّ حال، هل تعطي هي أكثر في مجال العلاقات؟ أرادته بشدة وأرادت اهتمامه بقدر أمبير وكانت مستعدة لفعل كل ما يتطلبه الأمر لتلفت انتباهه. إنما لم تكن مستعدة لأن تعترف حتى

لنفسها أنه يحرّك فيها مشاعر تخشى ألا تتمكن من التعامل معها ومواجهتها.

ـ لِمَ كتب والدك وصية تجبرك على أن تتزوّج في حين أنك لا ترغب في ذلك؟

طرحت تابي سؤالها هذا بهدوء مدركة أنّ هذا هو جوهر المسألة واللغز الذي تجنّب شرحه حتى الساعة.

أجابها آشرون بإيجاز وقد أصبح فمه أكثر قسوة: «باختصار؟ أرادني أن أتزوّج كازما. ولا أريد أن أتحدّث في هذا الموضوع أبداً».

ابتلعت تابي بصعوبة الكلمات التي كادت تخرج من فمها لتذكّره بأنه تغاضى عن ذكر هذا الموضوع بالذات من قبل إذ أدركت أن مثل هذا الرد سيزيد من تحفّظه وسيجعله أكثر عناداً. يمكنها أن تترك مسألة كازما الشائكة جانباً في الوقت الحالي وتركّز على نواحٍ أخرى: «لكن لا بد أنّ والدك كان يعرف حقيقة مشاعرك؟ إلى أيّ حدّ كنتما مقربين من بعضكما البعض؟»

انتفضت عضلة صغيرة عند زاوية حنكه غير المبتسم وذكّرها بفظاظة: «لم ألتقِ والدي إلا في أواخر العشرينات من عمري. علاقتنا كانت علاقة عمل أكثر من أيّ شيء آخر. كانت شركته تكافح للبقاء فطلب مني النصيحة. تدخّلت لأساعد وانتهى بي الأمر بتولي زمام الأمور».

ـ ألم يستأ من ذلك؟

ـ أبداً. لم يكن رجل أعمال بل رجل عائلة يسعى جاهداً ليمنح من يحبهم مستقبلاً آمناً.

- تعني زوجة أبيك وأولادها؟

زمّ آشرون شفتيها لكنه عاد وأجاب: «تزوجها والدي حين كان أولادها صغار جداً في السن وحرص على تربيتهم كما لو أنهم أولاده إلا أنني لم ألتقِ بهم إلا قبل وفاته بثمانية عشر شهراً».

عندئذ، سألته تابي مدهوشة: «لمَ لا؟»

أعلن بنبرة حاسمة: «لم تكن عائلته تعنيني أو تؤثر في علاقتنا، فهم غرباء بالنسبة إليّ. ما من روابط عائلية أو صلة قربى بيننا كما لم يكن لي عائلة يوماً فلم أشعر بأني متحمّس للتورّط في هذا الجانب من حياته. وتبيّن لاحقاً أني كنت محقاً».

ساد بينهما صمت مليء بالكلام غير المباح ما زاد من توتر تابي وانزعاجها. حاولت يائسة أن تكتشف طبيعة علاقته السابقة بكازما. يبدو جلياً أنهما ارتبطا بعلاقة ما جعل السمراء الجميلة تعلّق الآمال عليه وتتوقّع ما لم يكن آشرون مستعداً لتقديمه. ويبدو أيضاً أنّ العلاقة انتهت بشكل سلبي وخلّفت لدى الطرفين الكثير من المرارة. هل حصلت مأساة ما؟ هل حملت كازما منه أو حصل شيء من هذا القبيل؟ لعل هذا يفسّر سبب إصرار والده على أن يزوّجه منها؟ من المؤكد أنّ تلك المرأة مقتنعة تمام الاقتناع بأنها المرأة الوحيدة التي ينبغي أن تصبح زوجة آشرون. هل كازما مغرمة به؟ أم أنها تركّز أكثر على ماله ومركزه الاجتماعي؟ إنما، وبغض النظر عن الأسباب التي تدفع كازما للسعي وراء آشرون، ما يُهمّ فعلاً هو متى لم يكن يريدها؟

طرحت تابي على نفسها هذا السؤال بغيظ، وقد تملكتها شكوك زادت من توترها.

اعترفت قبل أن تتمكن من التفكير أكثر ومن لجم لسانها: «ليتك لم تخفِ عني أيّ أسرار. ليتك كنت أكثر صراحة وصدقاً معي».

فقال لها آشرون بصوت أجش: «أنت صادقة إلى حدّ يرعبني أحياناً. وإن أردنا لشهر العسل هذا أن ينجح فعلينا أن نتوصّل إلى تفاهم بشأن مُثُلنا العليا».

أنعم آشرون النظر في الوشم الزهري على ذراع تابي النحيلة مقطباً ثم مرر إصبعه بنعومة عليه قبل أن يقول: «إنّ الجلد تحت الوشم قاسٍ وخشن كما أنّ الرسم لم يعد واضحاً. لا بد أنّ من رسم الوشم قد ألحق الضرر ببشرتك».

صرفت تابي بأسنانها وتوترت وهي تحرر يدها من قبضته الخفيفة: «لا تلمسني هنا»

تأملتها العينان الداكنتان اللامعتان من تحت الرموش الطويلة الشديدة السواد: «لمَ لا؟»

سألته تابي التي شحب لون وجهها بعد أن قررت أن الأوان قد آن كي تخبره الحقيقة: «هل سنخوض نقاشاً آخر حول الموضوع فتقترح عليّ أن أخضع لعلاج بالليزر لإزالة الوشم؟»

وصمتت قليلاً قبل أن تردف: «اعلم أني لا أريد أن أزيله لأنه يغطي ندبة بشعة. في الواقع، الندبة سبقت الوشم. قام الرجل بعمل رائع إنما لم يستطع أن يجعل الرسم مثالياً لأنّ الجلد تحته لم يكن طبيعياً».

www.elromancia.com

ازداد عبوسه مع تقدّمها في الكلام وسأل: «ما سبب هذه الندبة؟»

ردّت تابي بنبرة محذّرة وهي تبتعد عنه لتقف على قدميها في ظلال أشجار الصنوبر المشرفة على الرمال البيضاء: «صدقني... لن ترغب في معرفة ذلك».

بعد أن تحققت من أن أمبير لا تزال تلعب على البساط في استرخاء تام، وقد بدا فمها الزهري ناعماً ومسترخياً، سارت تابي باتجاه الشاطئ، قامة نحيلة في سروال قصير والقطعة العليا من لباس البحر.

يا له من رجل! هذا ما خطر لها وهي تكوّر قبضتيها وتصرف بأسنانها في إحباط غاضب. في بعض الأحيان، تشعر بأنها ترغب في رميه في البحر عن علو شاهق. لا يترك أمراً ما حتى يكتشف خباياه، ولعل الأسوأ أنه رجل يبحث عن الكمال. وعلى الرغم من أنه لا ينوي أن يمضي ما تبقى من حياته معها ومع أمبير إلا أنه ما زال يصرّ على أن يقنعها بإزالة الوشم وهو لا يتراجع عن فكرة لديه. عند الفطور، سألها إن كان يسعدها أن يُرسم وشم مماثل على ذراع أمبير وقد خانتها مشاعرها حين نظرت برعب إلى ذراع الطفلة الناعمة. وآشرون بطبيعته المعتادة لاحظ نظرتها المعبّرة وتقويمها.

فقال لها برضا عن الذات: «إذن، أنت نادمة لأنك رسمت وشماً».

اعترفت بأنّ بعض طباع آشرون مزعجة وتثير غيظها. لكنه، على مدى الشهر الماضي في سردينيا، أثبت أنه رفيق مسلٍ وعشيق مثير ووالد صبور ورقيق لأمبير. ولم تستطع أمبير أنّ

تفهم في تلك اللحظة كيف مرّت الأسابيع الأربعة بلمح البصر. شكّل الأسبوع الأول تحدياً لها إذ اضطرت لأن تستعين بالعصا للتنقّل ولقضاء وقتها في منزل الشاطئ. إنما ما أن شُفي كاحلها حتى راحا يخرجان.

صور اللحظات الخاصة والمميزة التي تشاركانها ملأت ذاكرتها بصور جميلة. تسلقا السلالم الضخمة إلى الحصن ليتأملا المشهد الرائع لسطوح كالغاري. وبينما كانت لا تزال تحاول التقاط أنفاسها بسبب الجهد الذي تطلّبه الصعود وحرارة الشمس أخبرها أنّ ثمة مصعد يوصل إلى الأعلى لكنه افترض أنها ستستمتع بالتجربة كأيّ سائح يزور البلاد للمرة الأولى. ولم تسامحه إلا بعد أن جلست تستمتع بكؤوس عدة من الشراب وبالنسيم العليل. ولو شاءت أن تقرّ بالحقيقة كاملة لقالت إنّ مقاومتها سقطت تماماً حين شبك أصابعه الطويلة السمراء بأصابعها عندما نزلا بالمصعد.

وزارا ذات مساء كاستلساردو، وهي قرية صغيرة جميلة تشرف عليها قلعة سحرية تُضاء كلها ليلاً، ليستمتعا بالموسيقى التي تُعزف في ساحتها العامة. أحبّت أمبير الضجة والوجوه المحيطة بها كما استمتع آشرون بدهشة الطفلة التي ظهرت في عينيها اللامعتين.

في الليلة التالية، بحثا عن تسلية مخصصة للراشدين فرقصا حتى ساعات الفجر في نادي البليونير حيث شعرت تابي بأنّ النساء الرائعات، ذوات القوام الممشوق اللواتي يبحثن عن صيد ثمين، يحجبنها عن الأنظار. ولم يرفع من معنوياتها سلوك

آشرون الذي تصرّف وكأنه لا يرى في الوجود غيرها وقبّلها بشغف في حلبة الرقص.

تزاحمت الذكريات في رأس تابي. أبحرا على مدى يومين على متن اليخت في المنتزه الوطني لمادالينا، وهي مجموعة من الجزر المحميّة وغير المسكونة الغنية بالنباتات والحيوانات البرية. وفي اليوم السابق، سبحا عاريين في خليج صغير خالٍ من الناس حتى المغيب. وغفت من شدة التعب لتستيقظ وتجد آشرون يشوي عشاءهما، فابتسمت عيناه المذهلتان لها بكسل ما جعل قلبها يتشقلب كالبهلوان.

قاما طبعاً بكافة الأمور المعتادة أيضاً، كالتجوّل للتفرّج على المتاجر الشهيرة في كوستا ازميرلدا، وقد اكتشف آشرون مدهوشاً أنّ هذا النشاط يسبب مللاً قاتلاً لعروسه.

اعترض قائلاً: «لا بد أنك ترغبين في أن أشتري لك شيئاً ما. لا بد أنك رأيت شيئاً ما أعجبك. أنت تدركين أنّ الشيء الوحيد الذي اشتريته لك منذ وصولنا إلى هنا هو تلك البياضات للسرير؟»

رأت تابي البياضات في متجر للأعمال الحرفية فأثار إعجابها هذا القدر من المهارة في إنتاج مثل هذا التطريز الرائع وهي التي لطالما كانت خرقاء في استعمال الإبرة والخيط. أحبّت هذه الهدية الجميلة واعتبرتها كنزاً، ولم يخطر لها إلا في وقت لاحق أنها لن ترى هذه البياضات الشتوية الثقيلة مفروشة على سرير ستتقاسمه مع آشرون وأنها ستزيّن بالتأكيد فراشاً ستنام فيه وحيدة. بعد انقضاء فصل الصيف، سيصبح زواجهما ذكرى من الماضي.

وفي حين أنها تعلم أنهما يخادعان بشأن شهر العسل وأنها وقفت إلى جانبه بدافع الواجب ليلتقط لهما أحد المصوّرين الذين يلاحقون المشاهير، صورة، إلا أنها تخشى المدى الذي يمكن أن يصل إليه آشرون كي يجعل علاقتهما تبدو صحيحة وطبيعية من الداخل والخارج. بالتالي، إن شعرت من حين إلى آخر بالتشوّش وفكّرت فيه على أنه زوجها فعلاً، فمن يمكنه أن يلومها على مثل هذا الخطأ؟

أو على وقوعها في حبه بشكل جنوني ولا عودة عنه؟ فما من رجل عاملها يوماً كما فعل، وما من رجل أسعدها مثله. من الطبيعي أن تتحرّك مشاعرها لكنها حاولت كبتها قدر الإمكان، مدركة أنّ آخر ما يرغب فيه آشرون هو قلب محطّم وامرأة قلقة، ما سيجعله يشعر بالذنب وبالانزعاج.

ليس الذنب ذنبه إن أحبته. فهو بالتأكيد لم يخدعها بوعود عظيمة بشأن المستقبل. في الواقع، علمت تابي منذ البداية أنّ ما من مستقبل لهما معاً. وهو لم يكذب ولم يخادع قط بل كان واضحاً تماماً. بعد أن ينجحا في تبني أمبير، سيتركان زواجهما المزعوم يذوي ويموت. ستبدأ تابي حياةً جديدة مع الطفلة التي تحب، وتفترض أنّ آشرون سيعود إلى حياته التي تتمحور حول العمل والنساء. هل ستراه مجدداً بعد الطلاق؟ واحست بألم شديد يفطر قلبها وهي تفكّر في هذا المستقبل الكئيب. هل سيرغب آشرون في أن يبقى على علاقة بأمبير ولو من بعيد؟ أم سيقرر الانفصال عنهما تماماً والتصرّف وكأن أمبير غير موجودة؟

عبر آشرون الشاطئ، ولاحظ كيف يبدو وجه تابي ممتلئاً بعد أن أصبحت تتناول ما يكفي من الطعام، كما لاحظ أنها لم تعد تقضم أظافرها... وهي تغييرات صغيرة قدّرها كثيراً.

سألها بعناد قاطعاً حبل أفكارها ومعيداً إياها إلى الحاضر عبر احتضانها بذراعيه من الخلف، مانعاً إياها من أن تبتعد عنه مجدداً: «كيف أُصبت بالندبة التي يخفيها الوشم؟ هل تعرّضت لحادث ما؟»

اعترفت تابي التي جعلت ذكريات الماضي بشرتها باردة ورطبة على الرغم من حرارة الشمس: «لا... لم يكن حادثاً».

ذكّرت نفسها بعناد بأنه ساندها ودعمها من قبل، وتملكها شعور بالذنب لأنها انزعجت منه. عندما بكت أمبير في منتصف الليل لأن أسنانها بدأت تبرز ولأن لثتها تؤلمها، هبّ آشرون لمساعدتها وحاول أن يُلهي الطفلة ويهدئها لتعود إلى النوم مجدداً. لم تتوقّع منه أن يساندها لكن اهتمامه بأمبير لم يكن فاتراً. عندما يتعلق الأمر بالعناية بالطفلة، كان يتقبّل برضا أن الأطفال لا يبتسمون ويمرحون طوال الوقت.

تحمل المربية الجديدة التي تعمل الآن مع مالينذا اسم تيريزا وهي امرأة ايطالية رقيقة تحب الثرثرة واللغو ولا تهتم إلا بالمهمة الموكلة إليها. سترحل المربية الانكليزية بعد أسبوع لتعمل لدى عائلة انكليزية.

ذكّرها آشرون بإصرار أزعجها: «تابي... طرحت عليك سؤالاً. قلت إنّ الندبة ليست نتيجة حادث، إذن..».

جرّها من أفكارها المتلاطمة ومن محاولتها التفكير في أيّ

شيء آخر عدا الماضي الي يحاول أن ينبشه، فرفعت رأسها وراحت تتأمل البحر قبل أن تعترف له من دون أيّ شعور أو انفعال في صوتها: «أحرقتني أمي بالحديد الحامي لأني أرقت علبة الحليب».

همهم آشرون بكلمات غير مفهومة وهو لا يصدّق ما سمعه، وأدارها ليتأمل وجهها الجامد والشاحب والألم الذي يملأ عينيها البنفسجيتين.

وشرحت له بنبرة جامدة: «منذ ذاك الحين، لم يعد يُسمح لي بالتواجد مع أيّ من والديّ من دون إشراف ومراقبة. زُجّت أمي في السجن لأنها أقدمت على إحراقي ولم أرَ أيّ منهما بعدها».

أذهلته موجة الغضب العارم التي تحرّكت في داخله، فسحق جسمها الرقيق على جسمه ولفّ ذراعيه حولها بقوة أكبر. وأدرك أنه يشعر لسبب ما بالغثيان وأن يديه ترتجفان، وأنّ حاجة دفينة أزعجته تجعل من المستحيل عليه في تلك اللحظة بالذات ألا يلمسها.

ـ لا بد أنّ هذا أراحك.

اعترفت تابي بصوت خشن بعد أن علقت الكلمات في حنجرتها الجافة كما لو أنها ترفض أن تخرجها للعلن: «لا، لم يفعل. لقد أحبيتهما. لم يكونا محبين ورائعين لكنهما كانا كل ما لديّ».

تعلّمت في طفولتها أنّ حركات التودد يمكن أن تُرفض وتُنبذ لكنّ جلّ ما أرادته في هذه اللحظة هو أن تلفّ ذراعيها حول آشرون وتستفيد إلى أقصى حدّ من المواساة التي يحاول أن

يقدّمها لها بشكل أخرق. إلا أنّ تجارب الطفولة ومعرفتها مدى الألم الذي يسببه التخلي والهجران أبقت جسمها متصلباً في دائرة ذراعيه.

همس آشرون بنبرة خشنة خافتة: «أفهم هذا. نادراً ما كنت أرى أمي لكني بقيت أحبها إلى أقصى حدّ..».

ـ يا لنا من اثنين!

واختفى توترها لتحل محله دموع ملأت عينيها وسالت على خديها، في ردّ فعل على إفشائها سرّ لم تُطلع أحداً عليه قط من قبل وعلى اضطرارها لأن تشرح ما حصل.

حدّق آشرون في وجهها الذي غسلته الدموع والذي بدا شاحباً مقارنة مع بشرته المسمرة وقد ارتسم الجمود على ملامح وجهه القوية: «لا أستطيع أن أحتمل فكرة تعرّضك للأذى بهذا الشكل..».

رجته تابي بحرارة: «لا... لا تتحدّث في هذا الموضوع! أحاول ألا أفكر أبداً في ذلك. في سن المراهقة، كنت أتذكر ما حدث كلما نظرت في المرآة ويسألني الناس أحياناً عما حصل لي. لهذا السبب رسمت الوشم... لأغطي الندبة وأخفيها».

قال لها آشرون برضا: «إذن، عليك أن تكوني فخورة بوشمك. إنه علامة بقاء. ليتك شرحت لي الأمر قبل أسابيع لكني أفهم الآن لما لم تفعلي».

ـ بالله عليك، دعنا نتحدث في موضوع مفرح أكثر! أخبرني شيئاً ما عنك. أعني، لا بد أنّ لديك بعض الذكريات السعيدة عن أمك؟

أحاط آشرون كتفيها بذراعه ليقطعا الشاطئ معاً ويعودا إلى حيث تركا أمبير.

ـ في الليلة التي سبقت اليوم الأول لي في المدرسة، قدّمت لي قلماً باهظ الثمن حُفر عليه اسمي. لم يكن يُسمح لي بالطبع أن أستعمله في الصف لكن هذا لم يخطر لها. كانت تعشق الحركات الطنانة والرنانة، وتقول لي دوماً إنّ الأفضل هو ما يستحقه الفرد من أسرة ديميتراكوس...

علّقت تابي بهدوء: «لعلها تربّت على هذا المنوال. لكنك لم تقل لي بعد لما أسعدك ذاك القلم؟».

ـ كانت تتجاهلني عموماً. إنما في ذلك الأسبوع، أنهت إعادة التأهيل وقلبت هذه الصفحة من حياتها وهي المرة الوحيدة التي جعلتني أشعر فيها أنّ أمري يهمها فعلاً. حتى أنها ألقت عليّ خطاباً حول التعليم وأهميته... خطاب من امرأة تركت الدراسة في سن المراهقة ولا يمكنها أن تقرأ ما هو أعمق من مجلة.

ـ هل ما زلت تحتفظ بالقلم؟

ـ أعتقد أنه سُرق.

وابتسم لها ابتسامة ساحرة جعلت قلبها يتخبّط في صدرها وأنفاسها تتقطع قبل أن يردف: «إنما لديّ على الأقل هذه اللحظة المثالية لأتذكرها بها».

لم يهدأ آشرون ويرتاح حتى طلب قطعة مجوهرات مميزة لعيد ميلاد تابي القريب والذي يصادف في الأسبوع نفسه مع عيد ميلاده. وبعد أن انتهى من هذا الأمر، ساوره القلق لأنه

تكبّد هذا العناء كله من أجل هدية. ما خطبه؟ أيّ نوع من الرجال سيذهب إلى هذا الحد من أجل امرأة سينفصل عنها في النهاية؟ وهمس صوت صغير في ذهنه المشوش: اهدأ، ولا تعظّم المسألة! لكن تبين أنه من المستحيل أن يبقى هادئاً عند التفكير في التجارب القاسية التي عاشتها تابي في طفولتها والتي أظهرت له أنّ عليه ألا ينظر بهذا القدر من المرارة إلى طفولته الخاصة. كانت والدته مهملة، أنانية وغير مسؤولة لكنه لم يشكّ يوماً في أنها تحبه حتى في أسوأ لحظاتها. ولعل والده كان ليتعلّم أن يحبّه ويقدّره أيضاً لولا التدخّلات الشيطانية لطرف ثالث...

هذا الدفق المستمر لهذه الأفكار غير المعهودة جعله يلتزم الصمت على العشاء. لاحظ نظرة تابي القلقة، وجنّ لأنه أدرك أنه لم يعد على طبيعته وأنّ عدم الاهتمام بها يمكن أن يجعله يشعر بالذنب، حتى في منتصف هذه التجربة المشوّشة. لم يكن آشرون يهوى النقاشات الداخلية ولم يعتد حتى أن يخوضها ما جعل المشاعر التي تثيرها تابي فيه تقلقه وتحيّره. إنها غنيّة وجميلة من الداخل، وأكثر مما يمكن أن يحتمل. وقرر فجأة أنّ عليه أن يتراجع خطوة إلى الخلف؛ عليه أن يبعد قليلاً. وما إن اتخذ هذا القرار حتى أحس أنّ حاله أفضل وأنه استعاد السيطرة على الأمور.

قال آشرون وهو يخرج من الحمام وقد لفّ منشفة حول جسمه النحيل والقوي العضلات: «عليّ أن أسافر لبضعة أيام من أجل العمل».

بدا شعره مجعّداً، ووجهه الوسيم القسمات ناعماً بعد أن حلق ذقنه فأذهلت روعته تابي وجف فمها قبل أن تتمكن من فهم ما قاله.

عندما أدركت تابي أنه سيتركها، تشنّجت ثم أنّبت نفسها لأنه لم يعمل خلال الأسابيع الأخيرة ولا يُتوقّع منه أن يحافظ على أسلوب الحياة إلى ما لا نهاية. لا، أفسدتها رفقته الدائمة وعليها أن تتعلّم سريعاً كيف تتأقلم مع غيابه. هل لهذا السبب بقي هادئاً ومتحفظاً خلال العشاء؟ هل كان قلقاً من ردّ فعلها؟ حسن، حان الوقت كي تُظهر له أنها قوية وأنها ليست من النوع الكثير الشكوى.

ردّت بخفة: «سأشتاق إليك لكننا سنكون على ما يرام».

صرف آشرون بأسنانه إذ توقّع منها أن تعترض أو حتى أن تعرض عليه أن ترافقه. إنها اللحظة التي ظنّ فيها أنها ستتعلّق به وستجعله يشعر بالاختناق. راقبها وهي تصعد إلى السرير، نحيلة وممشوقة كعود الصفصاف، وسرعان ما تملكته الرغبة بحيث شعر بدوار خفيف. غشت ستارة من المشاعر المتضاربة عينيه فترك المنشفة وأطفأ الأضواء قبل أن ينضم إليها. وراح يقنع نفسه كمن يخوض معركة أنه لن يلمسها الليلة؛ عليه أن يمضي هذه الليلة من دونها.

استدارت تابي التي التمعت عيناها في ضوء القمر نحو آشرون ومررت أصابعها بنعومة في شعر صدره الخشن. أغمض آشرون عينيه بيأس. يمكنه دوماً أن يستلقي ويفكّر في اليونان. إذا قال لا كعذراء خائفة، فستستاء على الأرجح وما من داعٍ لذلك. هل من داعي لذلك؟ لِمَ قد يخاطر بإغضابها؟ خطر له أنّ

الطلاق يمكن أن يحزنها لأنها تتصرف وكأنها مولعة به، وتتودد إليه في السرير إن لم يفعل أولاً، ولا تفوّت فرصة كي تحتضنه في ذراعيها... إلا أنها لم تفعل ذلك بعد ظهر اليوم على الشاطئ حين أخذها بين ذراعيه في محاولة منه لإظهار تعاطفه معها بعد ما أثارته أسئلته من شجن ومن ذكريات أليمة لديها. موجة قوية من المشاعر محت أفكاره عن السبب الذي منعها من التفاعل معه، وخطرت له فكرة أخرى لم يشأ أن تراوده. خطر له أنه لم يكن يوماً يجيد المسائل العاطفية. لعله تصرّف بشكل أخرق.

لم يحضنها آشرون لاحقاً كما اعتاد أن يفعل فشعرت تابي بالبرد في داخلها وبالهجر. تكوّرت في ناحيتها من السرير، تكرهه، تحبه، تريده، تعترف أنّ الحب هو أسوأ تعذيب بالنسبة إلى امرأة. وخطر لها بألم أنّ ما من فائدة في أن ترغب دوماً في ما لن يمنحها إياه، ولا يريد أن يمنحها إياه. لم يكن طلاقهما محتماً بل مكتوباً أيضاً في عقد ما قبل الزواج والذي لا فرار منه.

لعله لا يزال يكنّ بعض المشاعر لكازما التي لم يناقش أمرها علماً أنها فتحت الحوار بينهما مرات عدة كي تمنحه فرصة الكلام. لكن محاولة جعل آشرون يتحدّث عما لا يرغب في التحدّث عنه هو أشبه بمحاولة إخراج الدم من الحجر. وهي تعلم بحكم التجربة أنّ الناس يتجنبون الحديث في المواضيع التي تخجلهم أو تزعجهم ما يعني أنّ علاقته الفاشلة مع كازما كانت عميقة لتخلّف مثل هذه الحساسية الجلية والمميّزة...

في اليوم التالي، استفاقت تابي من نومها لتكتشف أنّ آشرون سافر باكراً ولم يترك لها حتى كلمة واحدة. أمضت يوماً هادئاً

مع أمبير وفي اليوم التالي بدأ صمت آشرون يزعجها. لم يكن مضطراً للتواصل معها بما أنه لن يغيب سوى ثماني واربعين ساعة كما أنها ليست ضعيفة بحيث تحتاج لأن يطمئن عليها كل يوم. لكن حين استلقت في السرير الذي بدا فارغاً من دونه، شعرت تابي باليوم يمتد أمامها كلوح أبيض، مليء بالتوقّع والحماسة والسعادة.

أزعجها مزاجها فدخلت الحمام حيث استحمت وارتدت ملابسها ثم خرجت لتلقي نظرة على صورتها في المرآة الطويلة في غرفة النوم وتساءلت لما لا تستطيع أن ترى بوضوح؟. واقتربت بشكل آلي لترى ما خطب المرآة فاكتشفت أنّ أحدهم كتب شيئاً ما عليها. قطّبت غير مصدّقة ما تقرأه.

«إنه يستغلك!»

لمَ قد يكتب أحدهم هذا على المرآة لتقرأه؟ يبدو جلياً أنّ الرسالة موجهة إليها شخصياً ويُفترض أنّ آشرون هو المقصود. ما معنى هذا؟ مهما كان المقصود إلا أنه يبيّن أنّ شخصاً ما دخل إلى غرفتهما أثناء وجودها في الحمام وترك الرسالة بهدف صدمها وإهانتها. على أيّ حال، لا يمكن أن يترك مثل هذه الرسالة سوى شخص من البيت، وهذه الفكرة جعلت جلدها كله يقشعر.

رفعت هاتف المنزل من دون تردد وطلبت التحدّث إلى ديمتري، رئيس الجهاز الأمني الذي انضم إليها حتى قبل أن تنهي حديثها ليرى المرآة بنفسه. أخذ المسألة على محمل الجدّ على الرغم من أنّ تعابيره لم تعكس أفكاره. تركت تابي ديمتري، الرجل القليل الكلام، ونزلت السلالم لتتناول الفطور.

10 ـ لقاء... ووداع

سألتها ماليندا بابتسامة مشرقة وهي تنضم إليها على مائدة الفطور، الأمر الذي ما كنت لتجرؤ على فعله في وجود آشرون: «هل يمكنني أن أسألك إلى أين ستذهبين اليوم؟»

اعترفت تابي: «سأذهب إلى بورتو سيرفو لأتسوّق. أنا أبحث عن هدية عيد ميلاد».

نصحتها ماليندا: «ثمة محال مجوهرات رائعة... أقصدي ساحة ديل شياتشري».

أومأت تابي برأسها وقد تملكها شعور بالذنب لأنها لا تحب هذه الشقراء التي سترحل مع نهاية الأسبوع لتستلم وظيفتها الجديدة في منزل آخر. منذ وصول تيريزا وتوليها أمر العناية بأمبير، بدا أن ماليندا تمضي الكثير من الوقت في التجوال في المنزل وفي مراقبة حركة دخولهم وخروجهم. وشكّت تابي ذات مرة في أن الشقراء تصغي إلى حديثها مع آشرون. لا بد أن المربية سجّلت الآن أنّ زواجهما المتحفّظ تحوّل إلى علاقة أكثر حميمية. أم أنّ هذا ما تتمناه هي فقط؟

لم يمضِ على غياب آشرون سوى ساعة واحدة وها هي تشعر بأنها محرومة. إنها مشتاقة إليه كثيراً، وتطلّعها إلى المستقبل

لم يتحسّن بعد أن تذكّرت سلوكه الغريب في آخر ليلة أمضياها معاً. التزم حينذاك الصمت وبدا مزاجياً في سلوكه وغير معني إذ لم يقل شيئاً ولم يفعل شيئاً، وتصرّف مثل...

قطع حبل أفكارها وصول ديمتري الذي وقف في الباب وقال: «آنسة بارنز؟ هل يمكنني التحدّث إليك؟»

ردّت ماليندا بابتسامة ازدادت إشراقاً إنما لم تترك أثراً على الرجل الأكبر منها سناً: «الآن؟»

ـ الآن هو الوقت المناسب.

تركت تابي أمبير في عهدة تيريزا بعد أن رأت أن حمل الطفلة معها في جولتها في السوق خلال فترة الظهيرة تصرّف غير حكيم. كانت الرسالة لا تزال على المرآة حين مرت بها متجهة إلى الحمام لتجدد أحمر الشفاه ما جعلها ترتجف. إنه يستغلك!. حسن، إنهما يستغلان بعضهما البعض في ما يتعلق بزواجهما، علماً أن الأمور تغيّرت بشكل جذري منذ أن بدآ يتشاركان السرير نفسه. هل آشرون يطارحها الغرام لأن الحميمية تجعل زواجهما يبدو زواجاً طبيعياً؟ على أيّ حال، لو رآه المصورون الصحفيون مع امرأة أخرى فيما يُفترض به أن يكون عريساً سعيداً في زواجه فلن تبدو الصورة مناسبة. إذن، هل تتعرّض للاستغلال على هذا الأساس؟ إنما كيف يمكنها أن تتحدّث عن استغلال في حين أنها مغرمة به؟ هل هذا يجعل منها امرأة غبية يعميها الحب؟ أم أنها تستغله بالقدر نفسه؟

ما إن اتصل به ديميتري ونقل إليه الخبر حتى فقد آشرون قدرته على التفكير بطريقة منطقية أو الحفاظ على أعصابه

وهدوئه. فقد صبره تماماً وتزايد قلقه وأراد فقط أن يعود أدراجه إلى سردينيا ليبقى إلى جانب تابي وأمبير ويحميهما. إنما ولسوء حظه لم يكن بالإمكان إصدار الأوامر في آخر لحظة كي تقلع الطائرة في أثينا وتطلّب الانتظار وقتاً أطول مما توقّع. وأطلق شتيمة لأنه تركهما وسافر ولعن قناعته بأنّ عليه أن يحمي تابي مما قد تفعله كازما بأيّ ثمن.

لمَ اختار أن يترك تابي في حين أنّ ما يريده هو البقاء معها؟ ما معنى سلوكه هذا؟ هل يعني أنه لا يستطيع الاعتراف بمشاعره الخاصة وأنه مستعد للهرب مما لا يمكنه فهمه؟ لم تكن مشاعره بهذه القوة والحدّة من قبل وهو ممزّق ما بين نوع من النشوة العاطفية بسببها ونوع من الذعر لمعرفته أنه عاجز عن السيطرة عليها. لم يسمح لهذا أن يحصل من قبل إلا أنه لم يكن لديه الخيار. ترك الذعر يتملكه واتخذه حجة وها هو يدفع الثمن الآن. وراح يفكر بتشاؤم: إذا ما حصل لهم أيّ شيء! وكوّر قبضتيه بعدائية فيما القبطان يشير إليه عبر الصالة المخصصة لكبار الشخصيات أنهم جاهزون للانطلاق.

قال ديميتري لتابي بهدوء: «أعتقد جازماً أنّ زوجك سيفضّل أن تبقي في المنزل اليوم».

إلا أنّ تابي لم تكن في مزاج يسمح بمعاقبتها كطفلة صغيرة وأدهشها أن يظن آشرون أنّه قادر على إصدار الأوامر لها عبر ديميتري، لاسيما أنه ابتعد عنها بهذه الطريقة ومن دون سابق إنذار. ما الأمر؟ لمَ يصرّ على أن تبقى في المنزل؟ هل هي مسألة

سيطرة وحسب؟ وديميتري المسكين يشعر بالإحراج لأنه مضطر لأن ينقل لها مثل هذا الكلام؛ استطاعت أن ترى هذا في الرجل.

قالت له: «آسفة لكن من المهم جداً أن أخرج اليوم. ثمة غرض ما أرغب في شرائه».

فرد ديمتري بتصميم: «إذن، سأرافقك وسأقود السيارة يا سيدة ديميتراكوس».

لم تشأ تابي أن تخوض في نقاش معه فأومأت برأسها موافقة لكنها علمت أنها ستناقش مسألة الوجود الأمني في حياتهم مع آشرون عند عودته. هل من الضروري أن تحيط بهم الحراسة كلما توجهوا إلى مكان ما؟ هل من خطر حقيقي يحدق بهم وهل هم معرضون فعلاً لأن يكونوا ضحية عملية سرقة أو عملية خطف؟ هل من خطر محدد يهدد آشرون؟

حذّرت ديميتري وهي تصعد إلى السيارة وترى سيارة أخرى مليئة برجال الأمن تلحق بهما: «ستشعر بملل شديد».

فأجابها بهدوء: «ما من مشكلة. أنا معتاد أن أخرج للتسوّق مع زوجتي. يمكنها أن تحدّق في واجهة محل ما لعشر دقائق قبل أن تقرر أنها رأت كل ما هو معروض فيها».

علمت تابي أنها ستتعبه أكثر لأنها لا تعرف حتى ما تريد شراءه وكانت تأمل أن تستوحي مما ستراه في الواجهات. ماذا يمكن أن تشتري لرجل يملك كل شيء؟ الدخل الشهري الذي خصصه لها تراكم في حسابها المصرفي ولم تضطر إلى إنفاق الكثير منه بفضل سخائه ما يعني أنها تستطيع أن تنفق الكثير وكما يحلو لها.

سار ديميتري خلفها فيما هي تجول على المحال الفخمة ومتاجر المجوهرات. لم يكن آشرون من النوع الذي يضع مجوهرات فقد اكتفى بخاتم الزواج في إصبعه. هل تشتري له ربطة عنق من حرير في حين أن خزانته مليئة بالكثير منها، ما الذي يمكن أن تقدّمه له في عيد ميلاده الواحد والثلاثين؟ وفيما هي تفكّر في هذه المسألة الشائكة، رأت قلماً يحمل توقيع أحد أشهر المصممين، وخطر لها أنه سيكلفها مبلغاً طائلاً. لكنها سرعان ما تذكّرت القلم الذي اشترته له أمه وقررت أن الثمن أقل أهمية من المعنى الذي يحمله، مع أنها لم تستطع أن تفهم لما تسعى جاهدة لشراء هدية ذات معنى لرجل لم يتكبّد عناء الاتصال بها؟. لعلها فكرة أنّ القلم سيبقى ويدوم أكثر من زواجهما وسيشكّل ذكرى ترتبط بما تشاركاه ذات يوم. وبّخت نفسها بنفاد صبر على هذه الأفكار الكئيبة.

اشترت القلم وطلبت أن يتم حفر اسمه وتاريخ ميلاده عليه. ستضطر لأن تستخدم البطاقة المصرفية التي أعطاها إياها. وفيما هي تتصرّف وكأنها اعتادت أن تنفق مثل هذه المبالغ الضخمة، شعرت في سرّها بالرعب من فكرة دفع كل هذا المال وقلقت من أن يظن آشرون أنها فقدت عقلها. أحست بأنها شاحبة ومتوترة من جراء هذه التجربة الصعبة، فقالت لديميتري إنها ترغب في احتساء فنجان من القهوة. قادها إلى مقهى في الهواء الطلق وأصرّ على أن يجلس على بُعد بضع طاولات منها.

راحت تفكّر والذنب يتملكها في أنها اشترت القلم الأكثر كلفة في تاريخ العالم وأنه سيصاب بالهلع عندما يرى الفاتورة

وسيندم لأنه أخبرها أنّ ما من سقف للبطاقة. كانت ترتشف قهوتها ببطء، وتستمتع بطعم الكافيين عندما انعكس ظلّ على طاولتها.

جلست كازما بجسمها الطويل والأنيق في المقعد المقابل لها وقالت شاكية: «لم أتمكّن من الوصول إليك بسهولة واضطررتني لأن ألحق بك من مكان إلى آخر».

فاجأها حضور هذه المرأة، فحدّقت تابي في السمراء الجميلة بعينين واسعتين ومتسائلتين: «ما الذي تفعلينه هنا؟»

سألتها كازما التي أدارت عينيها كمن لا يُصدّق أنها طرحت مثل هذا السؤال: «أنت هنا، وآش هنا... فأين يفترض بي أن أكون؟ أرفض أن أصدّق أنك من الغباء بحيث لا تتقبلين فكرة أنّ آش ملكي أنا».

تدخّل ديميتري الذي وقف بقامته الطويلة إلى جانب مقعد كازما قائلاً: «آنسة فيلييدس... أرجو منك أن تغادري»..

رمقته كازما بنظرة تحدٍ وقالت: «نحن في مكان عام ويمكنني التواجد حيث أشاء على هذه الجزيرة. نحن لسنا في اليونان الآن».

تابع ديميتري وهو ينظر إلى تابي بترقّب: «أقترح أن نغادر نحن يا سيدة ديميتراكوس».

أخذت تابي نفساً عميقاً وهمست مصممة على أن تسمع ما لدى كازما لتقوله إذ كانت على ثقة تامة من أنها لن تحصل على أيّ معلومة من آشرون: «سنرحل عندما أنهي فنجان القهوة».

تراجع ديمتري مقطباً إلى طاولة أقرب فيما أبلغتها كازما: «أنا أؤمن بالحديث المباشر. ما هو المبلغ الذي تطلبينه كي ترحلي وتنهي هذا الزواج السخيف؟»

حدّقت تابي مذهولة في المرأة التي تكبرها سناً: «أنت لست جادة في كلامك هذا».

ـ آه، أنا دوماً جادة حين يتعلق الأمر بآش. نحن لبعضنا البعض وكان ينبغي أن يتزوجني أنا وليس أنت لو لم يتصرف زوج أمي بغباء فيفرض عليه الأمر في الوصية. لا بد أنك تعرفين أنّ آش يتمتع بالكثير من الكبرياء.

انحنى ديميتري ليقول لها: «البقاء هنا والاستماع إلى مثل هذا الحديث فكرة سيئة جداً يا سيدة ديميتراكوس».

التفتت إليه كازما وانهالت عليه بسيل من الكلمات باليونانية وقد ارتسمت على وجهها نظرة مخيفة. أحست فجأة بأن نصيحة ديميتري بالانسحاب في محلها، فأخذت حقيبة يدها ووضعت بعض المال على الطاولة ثم وقفت. إنما، كان لديها ما تقوله قبل أن ترحل: «لن أتخلى عن آشرون مهما عرضت عليّ من مال فأنا أحبه».

فصاحت بها كازما بنبرة غاضبة صدمتها وجعلتها تتشنّج: «ليس بقدر ما أحبه أنا أيتها العاهرة!»

أمسك ديميتري بمرفقها ورافقها إلى خارج المقهى بخطى سريعة: «كازما فيليبيدس امرأة غير موزونة إلى حدّ خطر. حصل زوجك على أمر اعتقال بحقها على الأراضي اليونانية ولا يُسمح لها بأن تقترب منه أو أن تزعجه. لا يمكنك التحدّث إليها. لا

يمكنك أن تعتمدي المنطق في الكلام معها، وقد اكتشفنا هذا بالطريقة الصعبة».

اعترضت تابي في محاولة للدفاع عن نفسها: «كان على آش أن يحذّرني. لو حذّرني لغادرت على الفور. لاحظت يوم زفافنا أنها مهووسة به لكني لم أدرك أنها مشكلة كبيرة في حياته».

ـ لم يتوقّع منها أن تتبعك إلى هنا. لم يكن لديه أدنى فكرة عن وجودها على الجزيرة. على أيّ حال، إنه في طريق العودة الآن فيما نحن نتحدّث.

شعرت تابي بالارتياح. سيُضطر أخيراً لأن يخبرها القصة بأكملها. لكنه اضطر للحصول على أمر قضائي ليبقي كازما بعيدة عنه؟ ما الذي دفعه لأن يحيل هذه المرأة إلى القضاء؟ كيف استطاع أن يفعل هذا فيما والده لا يزال على قيد الحياة؟ هل كانت كازما تتصرّف كشخص مهووس؟

كانت السيارة تشق طريقها على الدرب الساحلية حين لاحظت أن ديمتري لا ينفك ينظر في المرآة بقلق. التفتت تابي إلى الخلف لتلاحظ الأضواء اللامعة لسيارة رياضية حمراء خلفهما. بدا شعر السائق طويلاً وأسود كشعر كازما.

قال لها ديميتري بصراحة: «إنها تلاحقنا. احرصي على وضع حزام الأمان. عليّ أن أقوم بمناورات للتخلّص منها لكني أبلغت الشرطة على أيّ حال».

ـ مناورات للتخلّص منها؟

وحبست أنفاسها عندما أحست بالسيارة تصطدم بمؤخرة

سيارتهما وقالت له: «إنها تحاول أن تطيح بنا؟ هل هي مجنونة في تلك السيارة الصغيرة؟»

لم يجبها ديميتري بل بقي مركزاً على الطريق إذ اضطر لأن يزيد السرعة. راح قلب تابي ينبض بسرعة فائقة وهي تراقب السيارة الحمراء التي تحاول اللحاق بسيارتهما. وراح ديمتري يلف المنعطفات بسرعة جعلت تابي تصاب بدوار وكانت لا تزال تراقب سيارة كازما حين انحرفت عن الطريق لتصبح في مواجهة سيارة أخرى تسير في الاتجاه المعاكس.

- يا إلهي... لقد اصطدمت بسيارة أخرى!

داس ديمتري على الفرامل بقوة وقاد السيارة إلى الخلف. ترجّل منها وانضم إلى الفريق الأمني الذي لحق بهما في السيارة الأخرى والذي وصل إلى مكان الحادث لمساعدة الضحايا. اصطدمت السيارة الرياضية الحمراء بجدار وتحطّم جزء منها. نزلت تابي من السيارة ببطء واقتربت من موقع الحادث الذي يشهد حركة وجلبة. كان ديمتري يتحدث بسرعة عبر الهاتف حين اقتربت منه فقال لها: «ارجعي إلى السيارة يا سيدة ديميتراكوس. لا حاجة لأن تري هذا المشهد. الآنسة فيليبيدس توفيت».

- ماتت؟

شعرت تابي بالصدمة إذ بالكاد استطاعت أن تصدّق أن المرأة التي كانت تتحدث إليها قبل دقائق قليلة رحلت إلى الأبد.

- لم تكن تضع حزام الأمان... طارت من السيارة.

وسألت تابي: «ماذا حصل لركاب السيارة الأخرى؟»

- من حسن حظهم أنهم بقوا على قيد الحياة. أصيب الراكب بجرح في الرأس فيما أصيب السائق في ساقه.

أومأت تابي برأسها وعادت بخطى بطيئة نحو السيارة وقد أحست بأنها منفصلة عن الواقع وعما يجري من حولها. وكان هذا الشعور الذي بالكاد أدركت أنه الشعور بالصدمة، لا يزال يتملكها حين أدلت بإفادتها في مركز الشرطة، وقد رافقها محامٍ تطوّع لأن يدلي بمعلومات لم تستطع أن تفهمها باللغة المحلية. وعندما انتهت، انتقلت إلى غرفة انتظار حيث قُدّم لها فنجان من القهوة وبقيت هناك حتى دخل عليها آشرون. قطع الغرفة باتجاهها والتوتر بادٍ عليه ثم رفعها من مقعدها بيدين قلقتين.

سألها آشرون بقلق وقد بدت ملامحه قاسية وصلبة فيما هو يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها: «هل أنت بخير؟ أقسم لي ديمتري أنك لم تصابي بأذى لكني خشيت أن أصدقه».

أجابته بصوت مرتجف: «حسن، كنت بخير إلى أن جعلتني أريق القهوة على ملابسي».

ووضعت الفنجان من يدها وراحت تمسح البقع التي لطّخت قميصها الزهري الشاحب قبل أن تسأله: «هل أصبح بإمكاننا أن نرحل؟»

فهمس آشرون بعنف: «نعم، أدليت بإفادتي. كانت كازما تحمل معها سكيناً!»

كررت تابي بهلع: «سكين؟»

- لولا وجود ديمتري معك لهاجمتك!

ورفع يداً غير ثابتة ليمرر أصابعه الطويلة السمراء في شعره

الأسود قبل أن يردف: «شعرت بخوف شديد حين علمت أنها هنا على الجزيرة. أحسست بالمرض».

ذكّرته تابي بهمس: «لقد ماتت».

أطلق آشرون النفس الذي حبسه وقال بصوت مثقل: «أخوها سيمون في طريقه إلى هنا من أجل ترتيبات الجنازة. إنه رجل لائق. آمل ألا تمانعي لكني طلبت منه أن يقيم عندنا».

ـ أنا لا أمانع بالطبع. تستحق عائلتك تقديرك واحترامك مهما حصل.

وأخبرها آشرون: «ستعود ماليندا إلى لندن. إنها المسؤولة عن الرسائل على المرآة».

سألته تابي مذهولة: «رسائل... هل كان هناك أكثر من رسالة؟»

أخبرها آشرون عن الرسالة التي رآها في الفيلا في توسكانا وكيف اكتشف ديمتري على الفور أنّ ماليندا هي الفاعلة عندما أعادت المربية فعلتها. واجهها ديمتري في الصباح نفسه بعد الفطور، فأقرت ماليندا بأن كازما عرضت عليها في لندن مبلغاً طائلاً لتترك الرسائل ولتتجسس على آشرون وتبقيها على اطلاع على مكان تواجدهما. وماليندا هي من نبّه ديميتري إلى أن كازما على الجزيرة، وهو الخبر الذي أثار قلق آشرون ودفعه للعودة على الفور.

فيض الأسئلة بشأن كازما التي أزعجت تابي في وقت سابق من اليوم عادت سريعاً للظهور، إلا أنّ النظرة في عينيّ آشرون الداكتين والجمود في قسمات وجهه أخرستاها. رافقها إلى

السيارة فصعدت على متنها مقدّرة برودة جهاز التكييف على جسمها الحار.

اعترف آشرون بصراحة وهو يطبق يديه على يديها: «لديّ الكثير لأشرحه».

كرد فعل غريزي، رفضت تابي هذا التلامس وسحبت يديها لتريحهما على حجرها قبل أن تقول: «بعد الطريقة التي تصرّفت فيها الليلة الماضية وعدم اتصالك بي منذ ذاك الحين، فإن الامساك بيديّ أشبه بمزحة. لا داعي لأن تدّعي ما لا تحسّ به كي تهدأني أو تواسيني. لم أتعرض لأيّ أذى كما ترى. كان يوماً رهيباً لكني سأتجاوزه من دون أن استند عليك».

ـ لعلني أريد أن استند إليك.

رفعت تابي حاجبها غير متأثرة بهذا الاقتراح: «أفضّل أن أقع وأن أعود وأقف بنفسي. اعتدت أن أفعل هذا طيلة حياتي وتدبّرت أموري جيداً حتى الساعة».

زمّ آشرون فمه واعترف رغماً عنه: «كان عليّ أن أخبرك عنها قبل أسابيع لكن موضوع كازما يحرّك الكثير من الذكريات... ومن ردود الأفعال السيئة».

وأخيراً أدركت تابي ما يجري فقالت: «كازما هي السبب الذي دفعك للاعتقاد بأن أحداً ما دفعني على السلالم في الفيللا».

ـ لعلها جعلتني كثير الشكوك لكنها هدمت علاقتي بوالدي قبل وفاته.

ـ لهذا السبب كتب تلك الوصية المجنونة.

ـ أخبرتك أني لم التقِ عائلة والدي إلا قبل ثمانية عشر شهراً. وافقت في بداية الأمر لأني رأيت أنّ الأمر يعني له الكثير. ما لم أذكره هو أني التقيت كازما من دون أن أعلم أنها كازما في الأسبوع الذي سبق حفل العشاء الذي أقامه في بيته.

قطّبت تابي ورددت كلامه: «من دون أن تعرف أنها هي؟ كيف؟ أعني لماذا؟»

أجابها بمرارة: «أشكّ في أن أتمكن من تفسير هذا من وجهة نظر كازما. قدّمت نفسها لي باسم اريادن. كانت تعرف بالتأكيد من أكون. توقّفت في باريس بين رحلتين وكانت تقيم في الفندق نفسه. لا اعتقد أنّ الأمر مجرد صدفة، اعتقد أنها خططت للأمر. كنت وحيداً وأشعر بالملل. وضعتني كهدف ووقعت أنا في الفخ... ولا يمكنك أن تفهمي كم أشعر بالندم لأني وقعت في الفخ».

تأملته تابي بعينين حائرتين وسألته: «الفخ؟»

أخبرها آشرون بصوت أجش وقد زاد اللون الأسود بروز خدّيه: «قضيت ليلة واحدة معها. بضع ساعات مسروقة من يوم مثقل بالأعمال والسفر. أنا صادق هنا... لم يكن الأمر يعني لي أكثر من ذلك. وعلى الرغم من أنني عاملتها باحترام إلا أنني لم أدَعِ في أيّ لحظة أني أريد أن أراها مجدداً».

أشاحت تابي بعينيها، وخطر لها أن المعاملة باحترام لم تحل دون شعور كازما بالنبذ والرفض وهي التي اقنعت نفسها بأنها يمكن أن تتوقّع جواباً آخر.

ـ تقرّبت مني في مطعم الفندق. بعدئذ، راحت تتصرف

وكأنها تعرفني جيداً. أعترف صراحة أنّ التجربة كانت غريبة ومخيفة فاعتذرت وعدت إلى غرفتي.

ابتلعت تابي ريقها بصعوبة بسبب هذا القدر من الصراحة الذي لم تتوقّعه منه. وسألته: «لكن إن كانت تعرف من أنت فلِمَ كذبت بشأن هويتها؟»

هزّ آشرون كتفه وأجاب: «يبدو جلياً أنها فعلت ذلك لأنها أدركت أني ما كنت لألمسها لو علمت أنها ابنة أبي الصغيرة الغالية».

استفهمت تابي: «ابنته الصغيرة الغالية؟»

ـ أصبحت والدة كازما أرملة فيما لا تزال هي طفلة. ربى والدي كازما من عمر ثلاث سنوات. كانت نور عينه، طفلته المدللة ولم يرَ فيها أيّ علة أو خطأ.

وصمت للحظة قبل أن يضيف: «عندما وصلت إلى العشاء في منزل العائلة بعد مرور أسبوع على لقائنا في الفندق، صُدمت عندما أدركت أن كازما هي ابنة زوجة أبي وشعرت بغضب شديد لأنها كذبت عليّ ووضعتني في هذا الموقف لكن هذا لم يكن كل ما عليّ أن أقلق بشأنه. وقبل أن أقرر كيف عليّ أن أتصرف، وقفت هي وأعلنت أنها تخبئ مفاجأة صغيرة للجميع. والمفاجأة هي أننا نتواعد».

تفاجأت تابي كما لا بد أنه تفاجأ من تطوّر الأحداث هذا: «آه، يا إلهي... وتلك... تلك الليلة الوحيدة في الفندق كانت كل ما ربطك بها».

ـ نعم بالفعل إنما ليس بالنسبة إلى كازما. كانت مخيّلتها

واسعة وناشطة وفي الأشهر التي تلت بدأت تتصرف بهوس، فتطير حول العالم وتظهر حيثما أتواجد. حاولت أن تفرض نفسها في حياتي وراحت تخبر أبي الكثير من الأكاذيب عني. أخبرته أني خنتها وانها حملت مني ثم أخبرته أنها أجهضت. صدّق كل ما قالته ولم يقتنع أبداً أنّ علاقتي بابنته هي من نسج خيالها. وبعد أن ارتكبت الخطأ الأول بالتورّط معها تلك الليلة في الفندق، شعرت بأني جلبت هذا الكابوس لنفسي.

ـ لا أعتقد هذا...

أشار بعبوس: «أقمت علاقة جنسية معها بشكل عابر لكن المسألة لم تكن عابرة. عاشرت امرأة غريبة تماماً ولعلني أستحق ما حصل لي».

أعلنت تابي بصراحة: «ليس وقد خططت كي تخدعك عن عمد ومن ثم حاولت أن تربطك بعلاقة. لست راضية عن الطريقة التي تصرفت فيها معها إنما يبدو جلياً أنها شخص غير متزن».

ـ اعتدت على امرأة أمضيت بعض الوقت معها العام الماضي. ولهذا السبب، قلقت كثيراً على سلامتك وسلامة أمبير.

ـ ماذا فعلت؟

ـ دخلت عنوة إلى شقتي ولكمت المرأة فيما هي تصيح في وجهها أني ملكها. رجاني والدي أن استعمل نفوذي لئلا تتحوّل الشكوى إلى القضاء لكن الكيل كان قد طفح عندي. كانت كازما خطيرة وتحتاج إلى علاج لكن طالما أن عائلتها ترفض الاقرار بذلك وتغض الطرف عن أفعالها وطالما أنا أحتمل تصرفاتها فستبقى حرة لتفعل ما تشاء. اقتنعت المحكمة بأنها

تكذب وأن ما من علاقة بيني وبينها ما يعني أنّ ما من عذر يبرر تهجمها على المرأة الأخرى في شقتي وأنه لا يمكن أن تدّعي أنّ ما حصل هو مجرد خلاف عائلي.

ـ هل هذا أقنع والدك بأنك تقول الحقيقة؟

ـ لا، تمكنت كازما من أن تقنعه بأني رشوت بالتأكيد أحداً ما وأني أجبرتها على التزام الصمت لأحمي سمعتي. لعل الفائدة الوحيدة التي جنيتها هي أني تمكنت بعد هذه الحادثة من الحصول على أمر قضائي يمنعها من الاقتراب مني على الأراضي اليونانية.

هزّت تابي رأسها الذي ضج باعترافاته وسألته: «لمَ لم تخبرني عنها؟ لمَ لم تشرح لي الحقيقة؟»

انقبضت ملامح وجهه قبل أن يجيب: «شعرت بالخجل من القصة برمتها كما لم أشأ أن أخيفك. ثروتي لم تحمني من كازما التي كانت قادرة على أن تصل إليّ في أيّ مكان. أنت لا تعلمين كم شعرت بالضعف حين تمكنت من اقتحام حفل الزفاف لأني لم أشأ أن أثير المشاكل بحضور أسرة أبي. كما لم أشأ أن أظهر للعلن مشاكلي معها في حياة أبي. لقد سببت له ما يكفي من الحزن والألم بقصصها الغريبة عن سوء معاملتي لها».

استفهمت تابي التي حاولت جاهدة أن تفهم هذه الناحية من القصة: «إذن، لِمَ حاول أن يزوّجك إياها؟ هذا غير منطقي».

ـ رأى أنها تحبني واعتقد أني أدين لها بخاتم زفاف. حمّلني مسؤولية تصرفاتها الهستيرية وسلوكها الغريب.

قالت تابي وهي تضع يدها فوق يده: «لعله وجد هذا أسهل من التعامل مع المشكلة الحقيقية ومعالجتها أيّ معها هي. كان ليصدقك أكثر لو تسنّت له فرصة معرفتك جيداً. تمتعت كازما بالأفضلية فقد وثق بها ومنحها سلطة كافية كي تخضعك لمحنة قاسية».

ذكّرها آشرون بصوت فاتر: «انتهى الأمر الآن. أخوها سيمون صدقني وحاول أن يقنعها باللجوء إلى معالج نفسي. ربما لو أصغت إليه وعملت بنصيحته لما توفيت اليوم».

عارضته تابي بصوت ثابت: «الذنب ليس ذنبك. لا يمكنك أن تعالج كل مشاكلها النفسية».

صاح آشرون بصوت عالٍ: «ليس مثيراً أن تشعري بالشفقة عليّ».

ردّت تابي بشكل أخرق: «أنا لا أشفق عليك إنما أعتقد فقط أنك مررت بمحنة. لا عجب في ألا تحب النساء اللواتي يبالغن في الشكوى وفي التعلّق بك بعد هذه التجربة».

واعترف آشرون: «لا أمانع إن شكوت وتذمرت من حين إلى آخر».

التفتت إليه تابي مدهوشة وقالت: «توقف عن لعب دور الرجل اللطيف معي... فأنت تضيع وقتك».

عندئذ، سألها آشرون بصوت خشن فيما سيارة الليموزين تتوقف أمام منزل الشاطئ: «ماذا تعنين؟»

أجابته تابي بسرعة وهي تترجل من السيارة وتدخل المنزل:

«لا داعي لأن تسحرني. كان لكل منا أسبابه الوجيهة كي يتزوّج وهذا كلّ ما نبتغيه من اتفاقنا. حصلت على زوجة وأنا آمل أن أتمكن من تبني أمبير».

فأبلغها آشرون بعناد: «لكن هذا ليس شعوري أنا».

ـ لسنا روحان توأمان وليس من المطلوب أن نكون كذلك.

أجابته تابي بذلك وهي تدخل إلى غرفة الاستقبال التي شُرّعت أبوابها المؤدية إلى الشرفة المطلّة على منظر الخليج الصغير. كان النسيم العليل يحرّك الستائر بخفة، هذا النسيم الذي بدا أنه لا يفارق الشاطئ أبداً. وتابعت تقول: «أعتقد أنّ علينا أن نتحدّث بصراحة».

في الخارج، استندت تابي إلى الحاجز الحديدي الذي يحيط بالشرفة وطوت يديها على صدرها في موقف دفاعي. كانت تعرف ما عليها أن تقوله. يكاد قلبها ينفطر من هذا الادعاء الغبي والخطر بأنها عروس حقيقية تقضي شهر عسلها بسعادة مع زوجها الحقيقي! كيف تركت هذا يحدث؟ كيف سمحت لنفسها بأن تقع في حب رجل يفعل ببساطة كل ما عليه أن يفعله كي يظهر كعريس جديد سعيد؟

استفهم آشرون الذي كان لا يزال عند الباب: «ماذا تعنين؟»

نظرت تابي إليه بعينين حرصت على ألا ترياه. بدا رائعاً؛ لطالما كان رائعاً من قمة رأسه بشعره الأسود المجعد قليلاً وصولاً إلى أخمص قدميه.

وعاد يحثها على الكلام: «تابي؟»

ـ أنا لست مثلك. أنا أسمي الأشياء بمسمياتها ولا أجمّلها.

قاطعها قائلاً بصوت واضح: «وأنا أقدّر هذا فيك... أقدّر أنك تعنين ما تقولينه ولا تواربين أبداً».

ردّت تابي كتفيها إلى الخلف ونظرت إليه بعينين بنفسجيتين واسعتين وجذابتين قبل أن تقول: «اسمع، دعنا ننهي هذه المهزلة هنا وفي هذه اللحظة. كانت ماليندا تتجسس علينا وقد رحلت. لعبنا دور العروسين السعيدين لأسابيع ويمكننا الآن أن نعود بالتأكيد إلى علاقتنا الطبيعية»

ـ الطبيعية؟

تساءلت تابي ما خطبه إذ لم يكن من عادته أنّ يتراجع في أي نقاش. كما أنه بدا منهكاً ومتوتراً وقد شحب وجهه وجمدت ملامحه تحت بشرته البرونزية. وذكرته بنبرة متألمة: «نحن غريبان يجمعنا اتفاق قانوني يا آش. التزمنا بالشروط وسخّرنا كافة الامكانات لنجاح المسرحية ويمكننا الآن بالتأكيد أن نعود للتصرّف بشكل طبيعي خلف الأبواب المغلقة على الأقل»

ضغط عليها وقد كوّر قبضتيه إلى جانبيه: «أهذا ما تريدينه؟ ألا تظنين أنه من الأفضل أن نؤجّل هذا القرار ليوم آخر لا نكون فيه تحت الصدمة؟»

رفعت تابي ذقنها، وقد انقبض قلبها بين ضلوعها فشعرت بألم أشبه بطعنة سكين حاد. وهذا بالطبع ليس ما تريده. إنها تريده وهي متيّمة به إنما عليها أن تحمي نفسها وعليها أن تُجبر نفسها على تقبّل فكرة انّ ما يتشاركانه هو مجرد ادعاء: «لا».

سألها آشرون بتصلّب: «أتريدين أن نعود إلى نقطة البداية؟»

أرخت تابي كتفيها: «لا، جلّ ما أريده هو أن نكون صادقين وصريحين مع بعضنا البعض وألا ندّعي أو نمثّل».

أخذ آشرون نفساً بطيئاً وعميقاً، والتمعت عيناه الداكنتان كألعاب نارية تحت درع رموشه السوداء الجميلة ثم قال: «لم أكن أدّعي أو أمثّل..».

استعاد ذهن تابي المشوّش كافة اللحظات الرومانسية والمثيرة، ومشاهد إمساكهما بإيدي بعضهما البعض والمرح فرمشت مذهولة وقالت: «بالطبع كنا ندّعي ونمثّل».

تأملها آشرون بثبات لكن تابي ادركت أنه يضع واجهة ليخفي خلفها توتره الشديد. وقال: «لعلنا بدأنا بهذا الشكل لكن الأمور تحوّلت وتغيّرت لتصبح حقيقة».

سألته تابي ودقات قلبها تتسارع بجنون: «حقيقة... كيف؟»

رفع آشرون ذراعيه وفتح يديه بحركة تشير إلى أنه يرفع عن نفسه أيّ حماية ثم أجاب: «وقعت في حبك..».

كادت تابي تقع من شدة الصدمة بعد أن رفض عقلها أن يتقبّل فكرة أنه قال لها إنه يحبها. وقالت بصراحة وصدق: «أنا لا أصدقك. أنت تخشى وحسب أن أنقض اتفاق الزواج وتخسر شركتك... إنما لا تخشى ذلك لأني لن أفعل ذلك بك. ما زلت مصممة على تبني أمبير كما كنت من قبل ما يعني أني لا أستطيع أن أفعل هذا حتى لو أردت».

صاح بها آشرون بنبرة خشنة: «عندما أقول «أحبك» للمرة الأولى في حياتي لامرأة فيمكنها على الأقل أن تستمع إلى ما أقوله وتتوقف عن التفوّه بالترهات!»

www.elromancia.com

هذا الخطاب الصغير صدم تابي وأخرسها. هل هو جاد؟ إنه لا يمزح، ولا يدّعي ولا يحاول التلاعب بها؟ حدّقت فيه غير مصدقة.

وأضاف آشرون بصوت شاكٍ وغاضب من ردّ فعلها: «وكان من الصعب جداً عليّ أن أعترف بذلك!»

همست تابي بصوت مرتجف: «أنا مصدومة. لم يخطر لي أنك تكن لي أيّ مشاعر».

اعترف آشرون بصوت أجش: «بذلت قصارى جهدي كي لا أكن لك أيّ مشاعر. حاربت ما أشعر به في كل خطوة. إنما في نهاية الأمر نلت مني ووصلت إلى قلبي إلى حد أني هربت».

همست تابي غير مصدقة: «هربت؟»

ـ شعرت بالكثير من الغرابة ولهذا السبب سافرت من أجل العمل... لأمنح نفسي فرصة كي أتنفس. لكن ما إن ابتعدت حتى أدركت أني لا أريد سوى أن أعود وأكون معك.

رمشت تابي ببطء، مكافحة كي تقوم برد فعل على هذا الشرح في حين أن رأسها المجنون ملىء بعبارة واحدة: إنه يحبها. إنه يحبني! تذوّقت هذه الفكرة، استمتعت بها وودت لو تطير وتعبر الشرفة لترتمي عليه امتناناً، لكنها ولحسن الحظ حافظت على ما تبقى لديها من قوة لتثبت في مكانها ولا تبارحه. وقالت: «لقد خفت، أليس كذلك؟»

أومأ آشرون: «قلقت بعض الشيء عندما أدركت ما خطبي».

دنت منه تابي قليلاً: «لا، ما من خطب بك. إنه أمر جيد، أمر رائع... أنت تحبني. أنا أحبك».

سألها آشرون بفظاظة: «ما دمت تبادليني الشعور نفسه فلِمَ جعلتِني أمر بهذا الجحيم كله؟»

كادت تابي تضحك وهي تتأمل ملامحه الوسيمة الغامضة والرجولة الخالصة التي تنضح منه: «هل الحديث عن الحب جحيم وعذاب؟»

وضع آشرون يده على كتفها النحيلة وتنفّس الصعداء قائلاً: «ظننت حين قلت ذلك أن الأمر سيتحوّل إلى جحيم إنما ما كنت أخشاه هو ألا تبادليني الشعور وأن ترغبي في أن تبقى العلاقة مزيّفة».

أطبقت تابي ذراعيها حوله ودنت منه قبل أن تقول: «لا، الحقيقة والواقع أفضل من الزيف. إذن، هل هذا يعني أننا متزوجان فعلاً؟»

أكّد آشرون وهو ينحني ليحملها بين ذراعيه: «بالتأكيد. وهو يعني أيضاً أننا سنصبح أبوان بالتبني لأني أصبحت نوعاً ما مولعاً بأمبير أيضاً. يبدو أنّ مسألة الحب هذه معدية..».

ـ واو...

ارتجفت تابي وهو يحملها إلى الأعلى، إلى غرفتهما فيما تراجعت تيريز التي تحمل الطفلة بين يديها وقد ارتسمت على فمها ابتسامة دافئة. وسألته تابي: «لكن كيف حصل هذا؟»

وضعها آشرون على السرير بعناية رجل خبير في التعامل مع النساء وحدّق فيها لما بدا لها كدهر من الزمن قبل أن يرد: «أعتقد أنّ هذا بدأ حين أدركت أني أعيش مع امرأة مستعدة لأن تضحي ببيتها وعملها كي تهتم بصديقتها المقرّبة المريضة

وطفلتها. أحترم هذا القدر من عدم الأنانية ومن الاخلاص. أحترم ما كنت مستعدة لأن تفعليه كي تحصلي على حضانة أمبير رغم أني كنت قاسياً وخشناً حينذاك. أصريت وتحمّلت... وواجهتني من دون تردد».

همست تابي مدهوشة: «ووقعت في الحب بسبب هذه التفاصيل؟»

أجابها آشرون وفي عينيه اللامعتين نظرة حنان لم ترها قط من قبل: «من هذه التجارب خرجت امرأة لا أستطيع أن أعيش من دونها... إذا بقيت مصرة على الزواج الزائف وعلى الطلاق يا عزيزتي فلا أعلم ماذا يمكن أن أفعل».

اعترفت تابي وقد التصقت بصدره العريض: «لا أريد الطلاق... لا أريد أبداً أن أتركك».

همس آشرون بصوت أبح: «سأحقق لك هذه الأمنية على الفور».

وأطبق بفمه على فمها ما أرسل موجة دافئة في جسدها المسترخي.

وبعد حوالى ساعة، نهض آشرون من السرير ليحمل سرواله ويبحث في الجيب ثم يُخرج علبة مجوهرات وضعها في يدها معترفاً: «أعلم أنّ اليوم ليس عيد ميلادك بل غداً لكني لم أعد أطيق الانتظار».

فتحت تابي العلبة لتجد خاتماً غريباً على شكل وردة مع حبة ياقوت في وسطها.

سألها آشرون بقلق: «ما رأيك؟ أردتك أن تعلمي أنه مصنوع

على شكل الوشم الذي تضعينه لأنه سيذكرني دوماً بما جعل منك المرأة المميزة التي أنت عليها اليوم».

ـ إنه... رائع!

هذا ما قالته وهو ينزع خاتم أمه من إصبعها ويستبدله بالخاتم الجديد. عكست حبات الألماس على أوراق الوردة أشعة الشمس وشكّلت قوس قزح على أغطية السرير البيضاء. وأردفت تسأله: «لكن لمَ تظن أني مميّزة جداً في حين أني امرأة عادية جداً؟»

ـ أنت مميّزة لأن قلبك لا يزال كبيراً وروحك رائعة على الرغم من كافة الأمور السيئة التي عرفتها في حياتك. أنت تحبين أمبير، وتحبينني...

شددت تابي بحرارة وصدق فيما هي تبتسم له: «كثيراً. علماً أن حبك لي قد يصبح أقل عندما تكتشف المبلغ الذي أنفقته من بطاقة الاعتماد».

عارض آشرون كلامها: «مستحيل. أنت الشخص الأقل تبذيراً وإسرافاً».

حذّرته آملة أن يقدّر هدية القلم التي ستقدّمها له يوم عيد ميلاده بعد ثلاثة أيام: «يمكن أن تغيّر رأيك بشأن هذه النقطة بالذات».

همس بنعومة وهو يركّز انتباهه على وجهها المبتسم: «أحبك».

أخيراً، استمتعت تابي بما اعترف به، لقد وقع في حبها، إنه

www.elromancia.com

يحبها فعلاً. وسمحت للسعادة بأن تتراكم في داخلها لتحررها من القلق كله. بطريقة ما، وجد شخصان كرها بعضهما البعض من النظرة الأولى بسبب أفكارهما المسبقة، الحب وأسسا أسرة وبيتاً سعيدين. وأسكرتها فرحة هذه الأعجوبة.

شدّت تابي بطنها وتأملت نفسها في المرآة. لا، لن يفيدها هذا: فهي حامل وما من مفر من بروز حملها مهما كانت ملابسها متقنة التفصيل. ونزلت السلالم لتتحقق من الترتيبات الأخيرة لحفل عيد ميلاد أمبير الرابع والابتسامة ترتسم على وجهها.

تولى متعهّد حفلات تنظيم الحفل وأعدّ كل شيء لتسلية أصدقاء أمبير في دار الحضانة.

وضعا في حديقة منزلهما في لندن قلعة مخصصة للوثب، قلعة اشترياها بعد ولادة طفلهما الأول اندروس الذي أصبح اليوم طفلاً قوي البنية وكثير الضجيج. قطع اندروس، الذي لحقت به مربيته تيريزا التي أصبحت جزءاً من العائلة كالأولاد، البهو ليرفع ذراعيه مطالباً أمه بأن تحمله.

حاولت تابي أن تتذمر من وزن ابنها لكن حمل طفل يتقدّم في الحجم والوزن على من هم في مثل سنه وهي حامل في شهرها الثامن يشكّل تحدياً. احتضنها بقوة، وداعبت خصلات شعره السوداء المجعّدة مثل أبيه عنقها فيما التمعت عيناه الزرقاوان في وجهه الصغير الباسم. ما زالت تابي تخشى أحياناً أن ترمش بعينيها فتختفي حياتها العائلية السعيدة وتكتشف أنها كانت عالقة في حلم يقظة رائع ومقنع. لكنها تنظر إلى آشرون والأولاد فتهدّئها الروابط الوثيقة بينهم.

لم ترَ في آشرون صورة الأب عندما التقته للمرة الأولى، إلا أن سحر أمبير أثار فيه رغبة في أن يصبح له ولد من لحمه ودمه. عندما انتهت اجراءات تبني أمبير القانونية وأصبحت ابنتهما رسمياً، كانت تابي حاملاً بابنها اندروس. أما الحمل بالطفلة التي في أحشائها الآن فجاء عن طريق الخطأ، بفضل رغبة شديدة في ممارسة الحب على شاطئ منزل سردينيا حيث اكتشفا للمرة الأولى أنهما يحبان بعضهما البعض، وهو المنزل الذي يترددان إليه اكثر من أيّ ملكية أخرى من ملكيات آشرون، علماً أنهما وسّعاه سريعاً ليضيفا إليه غرفة نوم جديدة.

أقامت أرملة والده وولديها معهما في منزل سردينيا ليحضروا جنازة كازما. كانت مناسبة حزينة وكئيبة لكنها ساهمت في بناء جسر من التواصل بين آش وعائلة والده. اعترفت ايناس، أرملة والده، بأنها كانت قلقة على صحة ابنتها العقلية لكن والد آش رفض أن يواجه هذه الحقيقة. وكان لسيمون، شقيق كازما، أولاد صغار فارتبط الثنائيان بصداقة حميمة منذ لقائهما الأخير الحزين.

فُتح الباب الرئيسي فنزل اندروس على عجل من بين ذراعيّ والدته ليرمي بنفسه بعنف على والده وهو يصيح بأعلى صوته: «بابا!»

راقبت تابي آشرون وهو يرفع ابنه وارتسمت على ثغرها ابتسامة دافئة لأنها لم تحب آشرون يوماً بقدر ما أحبته حين رأته مع أولاده. كان لطيفاً، محباً وصبوراً، وهي الأمور التي لم يعرفها كلاهما في طفولتهما.

ـ ظننت أنك لن تصل في الوقت المناسب.

سألها آشرون: «أين صاحبة العيد؟»

نزلت أمبير السلالم راكضة، والحماسة مرتسمة على وجهها، ثم ارتمت بين ذراعيّ والدها إنما بحماسة أقل من أخيها الصغير. قالت الفتاة الصغيرة التي ارتدت فستاناً جديداً للحفل: «أنت هنا! جئت من أجل حفلة عيد ميلادي».

قال آشرون وهو يقدّم لها هدية أخفاها خلف ظهره: «بالطبع».

وراح يضحك حين فتحت مدبرة المنزل الباب لتدخل صديقة أمبير المفضّلة وأمها، وغادرت الفتاتان الغرفة مسرعتان.

ـ يا له من اهتمام، ظننت أني الشخص المفضّل هنا.

سارعت تابي تطمئنه قبل أن تتجه للترحيب بالضيوف الذين بدأوا بالتوافد: «ستبقى المفضّل لديّ دوماً».

راقبها آشرون بإعجاب صامت وهي تلعب دور المضيفة. هذه هي تابي، أفضل اكتشاف في حياته، تابي الحنون والدافئة والفرحة وهي مُحبّة أكثر من أيّ شخص آخر عرفه في حياته. ولم يتفاجأ لأن حبّه لها يتضاعف ويتزايد مع مرور كل سنة من حياتهما معاً.